

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والثمانين

١٠ مايو سنة ١٩٣٦

١٠ صفر سنة ١٣٥٥

بعد ستين سنة

ذكريات في عمر الصبا

لاحد منشي المقتطف

مضى على المقتطف ستون سنة كاملة . ولذلك يلقبونه بشيخ المجلات العربية واعني بذلك انه أقدمها عهداً ولا ادعي انه شيخها علماً . ولكن قراءه لم يعتادوا ان يقرأوا فيه منذ انشائه الا ما يقتطفه لهم من ثمر ناضج وينقله اليهم من رأي خبير ويطلعهم عليه من خلاصات البحوث العلماء ونتائج تجارب الخبيرين وعجائب اكتشافات المكتشفين وغرائب اختراعات المخترعين ونحو ذلك مما قل ان يؤثر عن الشبان ويغلب ان يختص بالكهول والشيخوخ . فلا غرابة اذا كان قراء المقتطف لم يتصوروا منشئيه (وخصوصاً اذا لم يكونوا يعرفونها) الا شيخوخاً منذ بدء انشائه كما صاروا اخيراً وكما لا يزال احدهما (كاتب هذه السطور) الى هذا العهد . ومن الشواهد على ذلك انه في سنة ١٨٧٦ كان المغفور له رياض باشا وزير المعارف المصرية في عهد المغفور له الخديوي اسمعيل باشا فلما اصدرنا المقتطف في بيروت تلك السنة واطلع دولته عليه انزله منزلة رفيعة في اعتباره وجرت بيننا وبينه مراسلة حفظناها له بالشكر والثناء على الفضل الى هذا اليوم . وفي سنة ١٨٨٠ زونا كلانا مصر وكان دولته رئيساً للنظار حينئذ . وأتينا ديوان الوزارة للتسليم على دولته . ودفعنا بطاقة الزيارة لمن يناط به أمرها فلم يحفل بها كثيراً لانه رآنا شابين مجهولين عنده . ولكن اتفق انه كان بجانبه احد موظفي الداخلية المرحوم اسكندر بك زلزل وكان قد سمع غام من بعض اقاربه فأدخل بطاقتينا الى دولته . ولما اطلع عليهما وقرأ اسمينا فيهما نهض عن كرسيه

ووقف امام باب غرفته لاستقبال زائريه فوجدنا في وجهه فأعرض عنا حاسباً اننا نقضم الباب وسأل قائلاً اين حضرات منشئي المقتطف فأشاروا الينا ولا تزال حتى هذه الساعة تتصور ما عراه من الدهشة والاستعراب وتبسم كما تبسمنا حينما أيقن ان ذينك الشيخين منشئي المقتطف هما الشبان الخجيان الواقفان امامه وهذا الذي رأيناه من رياض باشا وصرح لنا به رأينا وسمعنا امثاله من آخرين على توالي الايام

ولهذا اقترح علي الاستاذ فؤاد صرّوف رئيس تحرير المقتطف اليوم أن أورد طرفاً مما أذكره عن المقتطف ومنشئيه في اوائل عهده عسى ان يكون في ذلك فائدة للاحداث في بدء نزولهم الى ميدان الجهاد وخوضهم معترك الحياة

أنشئت المدرسة السورية الكلية المعروفة اليوم بجامعة بيروت الاميركية سنة ١٨٦٦ وكان اخي وشريكي المرحوم يعقوب صرّوف من تلامذة اول فرقة نالت شهادتها وتخرجت منها سنة ١٨٧٠ وقضى ثلاث سنوات مشغلاً بالتعليم في مدارس تعد التلامذة لها ثم عينته الكلية معلماً ومساعداً لاستاذ الطبيعيات والكيمياء فيها سنة ١٨٧٤

ودخلت انا تلك الكلية في خريف سنة ١٨٧٠ ونلت شهادتها وتخرجت منها في خريف ١٨٧٤. فقضينا كلانا سنة ١٨٧٤ وهو معلم وانا تلميذ في فرقة المنتهين ولما نلت الشهادة عينني الكلية معلماً للرياضيات ومساعداً لاستاذ علم الهيئة ومدير مرصدها الفلكي والمتيورولوجي — العلامة الشهير المرحوم الدكتور كرنيلوس فانديك من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في سورية ان لم أقل في سائر الاقطار الشرقية — وابتدأت الصداقة بيننا منذ تلك السنة واشتدت على توالي الايام حتى لم تقوَ عليها صرّوف الدهر ولا حلّ وثاقها حلول المنايا

وكنّا في ساعات فراغنا كثيراً ما نجتمع معاً فيفضي احدنا الى الآخر بما سمع وما رأى وعلم وتعلم في يومه فاذا نحن كلانا معجبان اعجاباً عظيماً باجتهاد اساتذتنا وخصوصاً الاميركيين منهم: يأتي احدهم من بلادهم وهو يجهل لغتنا وعاداتنا واخلاقنا فيكبّ على تعلم لغتنا وحفظ كل ما يتصل بعلمه من عاداتنا وما يلحظه ويختبره من اخلاقنا ويحرص على كل دقيقة من وقته فلا يقضيها الا في قضاء واجب او عمل نافع بحيث لا يطول عليه الزمن قبلما يتعلم لغتنا ويدرس علومها وآدابها ويقرأ كتبها ويعرف الشيء الكثير عن بلادنا واخلاق اهائها وعاداتهم ويصبح قادراً على التأليف فيها والترجمة من لغته اليها. وأدّى بنا هذا الإعجاب بهم الى الغيرة منهم والرغبة في ان نحذو حذوهم ونحرص على وقتنا حرصهم وتنظم معيشتنا على نمط تنظيمهم لمعيشتهم فجعلنا نقضي ثلث اليوم في الراحة والنوم ونخص ساعات معدودة بتناول الطعام والرياضة البدنية وما بقي نقضيه في الاستعداد لواجباتنا التعليمية والدرس والتحصيل لزيادة معارفنا العلمية ولقضاء

حاجاتنا الخصوصية بحيث يستغرق ذلك من ١٢ الى ١٤ ساعة يومياً . وعقدنا النية على ان نحافظ على وقتنا هذا بكل جهدنا فوجدنا ذلك صعباً في بادئ الامر ولكنه سهل وازداد سهولة على نادي الايام حتى كنا اذا خالفناه نشعر بنوع من الاسف والالام كمن يأتي امرأ اداً . ثم جعلنا نطالع ما يتصل بالكلية من الجرائد والمجلات العلمية الاجنبية على اختلاف انواعها واشتدت رغبتنا في مطالعتها بعد ما ذقنا لذة ما فيها من كل بحث طريف واكتشاف جديد واختراع غريب حتى صرنا نسابق الآخرين الى اختطافها حين وصولها لقراءتها قبل ان يفتردها سوانا . فكان تأثير ذلك فينا ان ولد فينا الرغبة في اذاعة ما تعيه صدورنا واشتد شوقنا الى الانتظام في سلك الكتاب والمؤلفين من قومنا واشراك غيرنا معنا من ابناء وطننا في الاستفادة مما كنا نحن نستفيد منه وهذا ما حدا بنا الى العزم على انشاء جريدة علمية صناعية شبيهة من وجوه مختلفة بالجرائد الافرنجية التي كانت تصل اليها لتكون صلة بين علوم الشرق والغرب وتقل الى اخواننا اهل الشرق ما يجد علمه عند اهل الغرب

وترددنا مدة في بادئ الامر عن اخراج هذه الفكرة من القوة الى الفعل لاعتبارات لازال بعضها وجهاً الى يومنا هذا ، فان مطلبنا الأول من انشاء هذه الجريدة كان شرح العلوم وبسطها لتأديتها الى افهام العامة وعدم الاقتصار على الخاصة الذين هم في غنى عنها . والعامة كانت في تلك الايام تنفر من العلوم الطبيعية خصوصاً إما لأنها لا تعلم مبادئها فلا تفهمها وإما لاعتقادها انها تخالف الاديان وتناقض ما في الكتب المنزلة فتفر منها . والخاصة ايضاً كانت معارفها في ذلك الزمان لا تتجاوز غالباً العلوم البسيطة وكان اكثرها يرى ان تعلم العلوم العالية لا يعين على كسب الرزق فيضر ولا ينفع والاولى الاعراض عنها وتعلم الحرف التي يعيش الانسان باحترافها . ولذلك كنا نحشى اننا اذا انشأنا جريدة علمية كالتي نفكر فيها يعرض الجمهور عنها فنعود عنها خائبين لعدم استغنائنا عن مساعدة الجمهور لنا في حمل عبئها ونحن في مستقبل العمر وراثنا ضئيل لا يكفي لسد حاجتنا واليدل فوق طاقتنا . ثم اننا كنا نحشى ان الخاصة ايضاً لا يؤازروننا لان اكثرهم كانوا من طلاب اللغة العربية والمتأدين بآدابها والرافعين لوائها كالمرحومين الشيخ احمد فارس والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب وامثالهم من علماء الشام وغيرها . وكانوا هم واتباعهم قلما يقدرون لغير اللغة العربية قدراً ولا لعلم غير علوم اهلها وادبائها فلما واذا قلت لهم ان زيداً اكتشف كذا وعمرأ صنف كذا من علماء عصرنا ازدروا قولك واجابوك على الفور

« ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكها فقلت الفضل للمقدم »

وكذلك الباقون من المتعلمين والمتأدين بعلوم لغات اخرى وآدابها من يونانية ولا تينية وفقهية

ولاهوتية الخ. يرون ما يشبه رأيهم. ولم يكن للعلوم الحديثة وخصوصاً الطبيعية نصيب إلا في المدارس حيث ينحصر تعليمها في طلبتها وفي جماعة شعارهم « كم ترك الاول للاخر » ثم ان جمهور الخاصة والعامة كان معتاداً قراءة جرائد الاخبار والسياسة وبعض الجرائد الدينية والرسائل الادبية ولا يكاد يهتم غيرها وزد على ذلك كله ان الحكومة العثمانية لا ترخص بصدور جريدة في بلادها الا بشق النفس والتوسل بأقوى الوسائط وأنقذها ولم يكن لنا سبيل حينئذ الى شيء من ذلك

فهذه العقبات حالت دون الوصول الى غايتنا مدة . ولكننا كنا كلما سنحت فرصة ملائمة ولاحت بارقة امل يشتد الشوق بنا الى تحقيق رغبتنا وخصوصاً بعد ما كاشفنا اسانذتنا واصدقاءنا برغبتنا وشددوا عزائمنا ولذلك اعتمدنا في اواخر سنة ١٨٧٥ على ان تصدر في اول الامر جريدة شهرية قليلة الصفحات رخيصة قيمة الاشتراك ونعرضها على الجمهور على سبيل التجربة لمعرفة مقدار اقباله عليها—أقول تصدر «جريدة» ولا أقول «مجلة» لان الكتاب لم يكونوا قد اصطلاحوا على كلمة « مجلة » للتمييز بينها وبين الجريدة في ذلك الحين

وسمينا الجريدة المقتطف ثم استعنا باستاذنا المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك للحصول على الرخصة من الحكومة لانه كان من اعظم المشددين لعزائمنا والمرغبين لنا في اصدارها الخدمة ووطننا. فقد كان له من على احد صاحبي كتاب آثار الادهار اخي المرحوم خليل افندي الحوري مدير معارف سورية حينئذ لكثرة ما كان يمدّه بما يحتاج اليه من المعرفة والمشورة تأليف كتابه فسعى لنا معه سعيًا موفقًا وحصلنا على الرخصة بعد الانتظار شهراً مع ان غيرنا لم يكن يحصل عليها الا بعد الانتظار اعواماً في كثير من الاحيان وأصدرنا العدد الاول على سبيل المثال وحاولنا ان نرضي به جمهور القائلين بفضل المتقدمين وجماعة المعترفين بعلم المتأخرين المتمثلين بقول الشاعر واني وان كنت الاخير زمانه لا تـ بما لم تستطعه الاوائل

وضمناه مقالة في علماء الهيئة عند العرب كالحليفة المأمون وثابت بن قرة والبتاني والحوكندي والادريسي وذكرنا فيها طرفاً من علمهم ومكتشفاتهم وأردفناها بمقالة اخرى « في اللغة الحميرية والقلم المسند » ذكرنا فيها طرفاً مما اكتشفه الباحثون والمنقبون من الانكليز والفرنسيين من خرائب المدن الحميرية وآثارهم المكتوبة بالخط المسند بعد الذي ذكره مؤرخو العرب من اخبار بلاد حمير وأسماء ملوكها ودونوه في كتبهم كحمزة الاصفهاني وأبي الفدا وابن خلدون والنويري والهمذاني . وصدرناه بالمقدمة التالية التي يستدل القاري منها على بعض ما كانت الاحوال تقتضيه في تلك الايام



الركنور - يعقوب صرثوف في كرهوانه
(١٨٥٢ — ١٩٢٧)

« لا ريب أن كل من يقف على هذا المثال يسره العمل الذي باشرناه خدمة للوطن وإجابة لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد ولم نستشر فيه أحداً من ذوي الرأي الصائب إلا حشاً عليه وأبان لنا شدة احتياج الوطن إلى ما يتسهل به الوصول إلى العلم والصناعة كهذا العمل وأمثاله . ولما رأينا مناسبة الاحوال لنا ووجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرة على ما بنا من القصور مستعينين به تعالى وولنا الرخصة السامية فيه من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتو خليل افندي الحوري الذي اشتهرت غيرته على مصالح الوطن وقد أصبحنا مديونين لاساتيد المدرسة السورية بالمساعدات التي وعدونا بها . ولنا الأمل الوطيد ان هذه الجريدة تقع عند الجمهور موقع القبول وترغب الطلاب في إحراز العلم وإتقان الصناعة وحياء رميمها وترميم بالها لشدة افتقارنا اليهما كليهما . على ان كثيرين يزعمون أننا قد بلغنا من العلم غاية ما يحتاج اليه وان الاخرى بنا ان تقتصر على طلب الصناعة وذلك غير سديد . أما ترى ان الصناعة مؤسسة على العلم وانها انما تُتقن بتهديب العقل والذوق وان الصانع الخاذق هو العالم بأصول صناعته وحقائقها وهذه لا تُعرف جيداً إلا بدرس ما تأسست عليه من المبادئ العلمية . وكفانا برهاناً على ذلك ان الافرنج وغيرهم من الذين أتقنوا الصنائع يجتهدون في تعليم الافراد غاية الاجتهاد وبعضهم يوجبها شرعاً فالأخرى بنا ان نقصد العلوم من حيث تؤدي الى الصناعة جادين في تلك غير مهملين هذه ولا حاجة بعد الى الاطالة في ذلك فكل من وقف على مبادئ العلوم يرى لزوم معرفتها للصانع ولو اجمالاً

« ولعل هذا المثال يدل على طريقة بحثنا في المواضيع غير انها تكون في ما بعد أكثر استيفاء كما هو مذكور في محله وربما كانت أسهل فهماً لأننا سنقرر المبادئ ثم نبني عليها وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادئ العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليه لضيق المقام وسنسلك تارة مسلك التعليم وأخرى مسلك الشرح ونوجز تارة ونسهب أخرى حسب الاقتضاء . ولما كانت مواضعنا لا تتدخل في المباحث الدينية ولا السياسية إلا من باب العلم فكل ما يرد إلينا خارجاً عن هذا الباب غير مقبول . وأما الكتابات العلمية والصناعية فندرجها تحت اسم منشئها واذا تيسر نفوذ هذه الجريدة أثمنا لها مكاتبتين مخصوصين وكبرنا حجمها وقصّرنا مدة صدورها وبالله التوفيق

« وقد رأينا على ما تعلمنا علماً واختياراً ان نذكر بعض ما يجب مراعاته في درس المباحث العلمية والصناعية لتم به فائدة المطالعة على أقرب طريق وان كان ذلك إعادة للعالم فيه فإفادة للطالب « أولاً — العلم يوصف بالذقة ولكن لذته لا يُشعر بها إلا بعد ان يُذاق جيداً كما ان طعم الطعام لا يُعرف إلا بعد ما يحلله اللعاب وتشعر به الاعصاب فرب علم يسكر به العالم لذته بجده الخالي الذهن منه عديم الذقة . فاذا طالعت موضوعاً في علم من العلوم ولم يجد من القيمة

في نفسك ما يجده في نفس غيرك فاعكف عليه فلما تجده قليل الاعتبار وكما ازدادت فيه تعمقاً ازدادت لذّة وكما انه لا بدّ دون الشهد من ابر النحل هكذا لا بدّ دون العلم من السكد وتشغيل الدماغ لترويض العقل

«ثانياً— اكثر ما يدرّج في المقتطف يقتضي له امان نظر فاذا قرأته قراءة قصّة لم تستفيد منه شيئاً واذا امنت النظر في بعضه وأهملت البعض الآخر من موضوع واحد استفدت فائدة ناقصة وربما استفدتها فاسدة لتوقّف صحتها على ما أهملت . فتروّ في ما تقرأ ولا تنته من جملة حتى تكون قد ادركتها جيّداً وتمعّن طويلاً فالقيل مع فهم خير من كثير بلا فهم . ولا تعتمد على الذاكرة فقط فان الحفظ غيباً يقطع النظر عن المعنى لا يفيد الا نادراً والمعتمد على الذاكرة فقط اول مقصر في ميدان العقول وبت الاحكام . واذا مللت من موضوع او كلّ غضب الدماغ فتركه ريثما تستريح ثم عد اليه وهكذا حتى يتضح لك فيسهل عليك حفظه حينئذٍ ولما يخشى عليه من آفة النسيان وذلك وان تعمّر اولاً يهون اخيراً

«ثالثاً — اذا استوعبت موضوعاً فأطل المذاكرة فيه ليرسخ في ذهنك قال الشاعر :

وأطل في العلم مذاكرة فحياة العلم مذاكرته

«واجهد في ان تقرن العلم بالعمل فذلك من أفضل ما يثبت العلم في عقلك ويؤيّد صحته ويجني ثمرته . وحيثما علّم وعُمِل زادت الفائدة اضعافاً . وسيأتي عليك ذكر كثير من الآلات البخسة الاثمان على عظم فائدتها وشدة لزومها فلا تبخل على نفسك ووطنك بها وستفيد على ذكر حوادث لا تحصى واقعة تحت الحس لا تكلفك الا الملاحظة والتأمل انما يجب ان تفضل ملاحظتها على الاحاديث الفارغة وقضاء الحياة سدى . وقد وجدوا بالاستقراء ان العلوم الرياضية تقوّي العقل وتدرّبه على الاتجاه بكل قواه نحو امري ما والانحصار في موضوع فلا يتشتت والعلوم الطبيعية توسّعه : ترقيه وتلدّه له لسموها وطلاوة مباحثها والعلوم العقلية تعصمه مراعاتها عن ارتكاب الخطأ في فهم القضايا والعلوم اللغوية عن ارتكاب الخطأ في تأدية المراد الى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ولا يفقل عنها . هذا وانما مقررّون يعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المعذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرّد بالكمال

وانتظرنا شهراً بلغ سرورنا فيه مبلغاً عظيماً لاننا وجدنا ان مثالنا وقع موقع القبول عند الجمهور فأقبلوا عليه اقبالا فاق انتظارنا فتوكلنا على الله في اصدار مجلّتنا وحسبنا المثال العديد

الاول وصدوره في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ وأخذ الله بيدنا فاستمر صدورها الى سنتها الستين فهي أقدم مجلة عربية حية حيث تقرأ اللغة العربية في الاقطار الشرقية والغربية وجعلنا دائماً بحري الابحاث التي لا تخلو من طلاوة وفائدة لهواة القديم والحديث وللراغبين في الصناعة وتجربة ما يجدونها وكذلك الشذرات والنبد السهلة الفهم تتخلل الابحاث العويصة حتى اذا مل القارئ هذه ارتاح الى قراءة تلك وأقبل بعض اساتذتنا وأصدقائنا من طلاب العلم على مساعدتنا فنشرنا فصولاً للدكتور فانديك في تاريخ اطباء الشرق عموماً والعرب خصوصاً أعجبت محبي القديم كثيراً كما أعجبهم وأعجب محبي الحديث ايضاً النظام الشمسي والفرق بين علم المتقدمين به وعلم المتأخرين وكذلك مقالة عن القمر حوت مجمل علمنا به حتى اليوم من قديم وحديث . وأعجب الوالدات بما يكتبه اصدقاؤنا الاطباء عن الاعتناء بصحة الاطفال وما يكتبه السيدات المثقفات في تدبير المنزل الى غير ذلك مما لم يكن يطلع الجمهور عليه في الصحف الشائعة حينئذ الا نادراً . وجعل القراء يسألوننا عما أشكل عليهم فهمه او ما يريدون علمه فأفرغنا جهدنا في اجابة طلبهم لعلنا ان ذلك يزيد اجتذابهم الى قراءة مجلتنا مع علمنا انه يحمانا مشقة زائدة كما ثبت لنا بالاختبار ايضاً فكم من جواب على مسألة واحدة كان يستغرق وقتاً طويلاً ويضطرنا الى مراجعة كتب كثيرة ولكننا لم نستثقل ذلك لانه يزيدنا علماً ومعرفة كما يجيب طلب السائلين . وقد أدى بنا ذلك على تمادي الايام الى الغوص على درر العلم والمعرفة في بحر مكتبة الكلية الواسعة . وأقول ولا ابالغ انه بعد مرور الاعوام لم يكد يفوتنا كتاب من كتبها العديدة التي نفهم لغاتها على اختلاف علومها وأبحاثها الا اطلعنا عليه واغترفنا كثيراً او قليلاً مما فيه اجابة لما يسألنا السائلون عنه

على ان سهر الايام والليالي على التنقيب في الكتب القديمة والحديثة واجهاد الدماغ في حل المسائل العويصة او تحرير المقالات الدقيقة كان أشهى الينا وأسهل علينا من مراجعة حسابات بعض المشتركين او مكتابة الوكلاء لحضهم على زيادة المشتركين او تحصيل قيمة الاشتراك من الماطين ونحو ذلك من اشغال المجلة المالية والمطبعة مما تعافه نفسنا ويمجه ذوقنا . فلذلك رأينا ان نتخاض مما لا ذوق لنا فيه ونتقطع الى ما تصبو نفسنا اليه فاتفقنا مع صديق الصبا اخي المرحوم شاهين بك مكاريوس الذي كان بارعاً بالامور المطبعة وادارة اشغال الجريدة المالية وعينه مديراً لاشغال المقتطف ثم تحولت العلاقة بيننا على توالي الايام واختلاف احوال الزمان والمكان الى شبه شركة عائلية اصحابها « صرّوف وونمر ومكاريوس » اسمائنا نحن الثلاثة

قلت « اختلاف احوال الزمان والمكان » لان مجلتنا وان كانت جعلت ديدنها تحامي الابحاث الدينية والسياسية حذراً من مغباتها لم تسلم مع ذلك من محن خيف في اوائل نشأتها ان

تزعزع أساسها وتهدم بنيانها لو لم يقيض لها القدر ما زاد عن حوضها ووطد أركانها — والذي يراجع سني المقتطف يجد فيها ذكراً وإشارات إلى كثير من هذه الحن ولكنني اقتصر على ذكر ثلاث منها لضيق المقام — أحداها في الشهر السادس من بدء صدور المقتطف وسببها جواب عن سؤال عن دوران الأرض في مقالة ختمناها بقولنا « ولعل المطالع لا ينتقد علينا إذا قلنا أن الذين يعترضون على دوران الأرض إما أن يعترضوا تعصباً زاعمين أنه يخالف ما في الكتب المنزلة وهو وهم محض أو يعترضوا ابتغاء الشهرة كما فعل « كاسر مزارب العين ». وهو مثل عندامة سورية يضرب لمن يبغي الشهرة بعمل ما يضر الناس . والإشارة فيه إلى كاتب نشر « أمالي فلكية » كثيرة الأغلاط العلمية . فهاج كلامنا هذا قطباً من أقطاب الطوائف المسيحية وهو نائب بطريرك الطائفة الأرثوذكسية وكان من أبلغ خطبائها ومن أكبر علمائها المحدثين في زمانه وله منزلة سامية لجلالة قدره ولكلامه نفوذ عظيم . فأرسل إلينا مقالة حمل فيها على المقتطف حملة منكرة بحجة أنه يعلم الناس تعليماً مخالفاً لما في الكتب المنزلة بادعائه أن الأرض تتحرك والشمس ثابتة . فقدمت ندامة الكسعي على كتابتي تلك العبارة في ختام المقالة التي كنت أنا كاتبها وخفت أن يقضى بسببها على المقتطف كما قضى على العلامة غلييو لقوله إن الشمس ثابتة والأرض متحركة وحاولت ردّ تلك الحملة بالحسنى فلم أفجح واضطرتنا إلى نشر المقالة في المقتطف لإصرار صاحبها على نشرها . وبينما نحن نحسب لتأثيرها حساباً كبيراً إثر نشرها أتاها الغوث من مصر القاهرة على غير انتظار . فقد كان المغفور له رياض باشا وزيراً للمعارف المصرية حينئذ في عهد المغفور له الخديوي اسمعيل باشا كما تقدم عليه الكلام فلما أطلع على المقتطف أرسل إلينا يقول إن رأي ثبوت الأرض الذي يراه حضرة المأمور البطريركي مغلوط وفاسد ديناً وعلماً . وشفع ذلك برسالة مطبوعة بقلم العالم الكبير المرحوم عبد الله بك فكري وكيل نظارة المعارف حينئذ عنوانها « مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية » اثباتاً لموافقة علم الهيئة الحديث ودوران الأرض لدين المسلمين فنشرنا منها شيئاً كثيراً وكان لها وقع عظيم عند الجمهور وبذلك خرج المقتطف من هذه المعصية فائزاً وزاد القراء عليه إقبالاً

والحنة الثانية سببها جواب المقتطف عن سؤال عن السحر بأن السحر باطل غير صحيح وهو من شعومات المشعوذين وخداع المخادعين . وكانت جريدة البشير وهي لسان حال الآباء اليسوعيين في بيروت تتعقب المقتطف لتأخذه بجريرة كل عبارة يمكن أن تؤولها بما ينفر القاري منه أو يوغر صدره عليه وذلك لأسباب يظهر أنها زالت الآن والحمد لله فلا نحياها بالعودة إلى ذكرها . فما قرأت جوابنا على السحر حتى تناولت المقتطف باللوم والتعنيف وقامت تحذر القراء من قراءته بحجة أنه مخالف للدين وخصوصاً دين المسلمين . ولكن أنبرى لها المرحوم



البرکنو - فارس عمر

الامام الشيخ يوسف الاسير حفظاً لها ودفع افتراءها على المقتطف وكانت النتيجة خروج المقتطف من هذه المحنة ايضاً فائزاً غانماً وزادت مكانته في اعتبار القراء عموماً . وعلى توالي الايام زاد اقبال العلماء والكتّاب على المقتطف واتسع انتشاره في الاقطار العربية جميعاً وكثرت علاقاته بأهل العلم والادب والفضل بحيث لم يكده فوتنا التعارف او التراسل مع كثيرين من مشاهيرهم المشارقة او المغاربة سواء كانوا في بلاد العرب او حيثما تقرأ اللغة العربية في ايران والهند الى اواسط آسيا . وازدادت المواد التي ترد على المقتطف في كل شهر حتى لم يعد فيه متسع لقسم عظيم منها وخصوصاً لما كثرت المناظرة بين العلماء الرياضيين في سورية ومصر وفي طليعة هؤلاء الاخيرين السريّان المرجومان شفيق بك منصور وادريس بك راغب . فرأينا حينئذ ان الوقت قد حان لتكبير المقتطف احجازاً لوعدنا في بدء صدور فزدنا عدد صفحاته وجعلناها ٦٤ صفحة شهرياً بدلاً من ٢٤ وذلك من اول سنته السادسة . وانشأنا مع فريق من علماء سورية واطبائها المجمع العلمي الشرقي وجعلنا المقتطف لسان حاله لنشر محاضرات اعضائه ومقالاتهم فيه . واتسع الميدان لاقلام الباحثين والكتّاب حتى عمّ الابحاث التي كانت تهيج خواطر العالم في تلك الايام بانتشار آراء دارون ورفاقه العلماء في النشوء والارتقاء . وكثر الاخذ والعطاء حينئذ بين الكتّاب والباحثين على صفحات المقتطف . وحدث لسوء الحظ في السنة الثامنة من سني المقتطف اضطراب في دوائر العلم التي نشأ وترعرع فيها ودارت الحوادث دورتها وامتدت ايدي الكائدين له على غير ذنب ولا جريرة منه سوى انتشاره والاقبال عليه الى نصب الشراك له مما نمسك الكلام عنه لا نتقال الجميع الى رحمة ربهم غفر الله لنا ولهم . وكانت عاقبة هذه المحنة ان المقتطف زایل مهد العلم الذي ربي فيه وهجر بيروت الى الكفانة في سنته التاسعة اي سنة ١٨٨٥ . وهو من ذلك الحين الى ان اتم الستين منفي في ظلال مصر راتع في نعيم وادي النيل يدعو للملكية وحكومته بالعرز والتأييد ولاهليه اهليه واخوانه اخوانه بالعيش بالرغيد والمستقبل السعيد

بقي عليّ ان اقول كلمة لجلاء موقفي من المقتطف بعد صدور المقطم . فبعد الهجرة الى مصر فتحنا مطبعة كاملة العدة لطبعه وطبع ما يأتينا من الخارج لنستعين به على سدّ نققاتنا ونفقاته . وكانت عواقب الحوادث العاراية قد اوقعت مصر في ازمة مالية ظلت ثلث من عسرها اعواماً . فلم يرد على المطبعة مطبوعات يسد الربح منها الحاجة او تكفي لادارة المطبعة فأنشأ المرجوم شاهين بك مكاريوس اللطائف وكنا نحررها الفصول التاريخية والمواضيع السهلة الطلية رجاء ان تزوج بين العامة وتساعد على ادارة المطبعة فلم يأت ذلك بالفائدة المرومة . ولذلك خطر لبعضنا ان نصدر جريدة اسبوعية تنشر الاخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية فعارضت في ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم وتخوفاً من عواقب الدخول في مآزق السياسة حتى اشتدت

الحاجة الى تدبير عمل كاف للطبعة . وجعلنا تفكر إما في اصدار جريدة اسبوعية او المهاجرة الى الولايات المتحدة الاميركية كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة الى الديار المصرية . ولكن تغلب رأي شريكي رحمهما الله على رأيي وأزمعنا اصدار جريدة اخبارية اسبوعية تكفي مع المقتطف لادارة حركة المطبعة وتثمين رأس المال الذي انفق عليها . وبينما نحن نستعد لذلك شاء القدر ان يتصدى لنا من استخف بعزّة نفسنا واستغفّرنا الى استبدال الجريدة الاسبوعية بجريدة يومية رغمّا عنا . وسبحان من قسم الحظوظ فقد قسم لي أن أحمل أعباء هذه الجريدة اليومية وأقعد راحتي ولذتي وما تميل اليه فطرتي من الاشتغال بالعلم وتحرير المقتطف رجاء ان يكون دخل الجريدة اليومية عوناً لنا على إدامة المقتطف وانقطاع زميلي الى تحريره عن كل عمل سواه . ولا أتعرض هنا لذكر شيء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض معاركها على مبدأ الاشتغال بالعلم في قول الصدق والاتصار للحق لا يثني عنى أرهاق بوعيد ولا وعود بمال ورتب ونياشين وما قاسيت من المتاعب التي كثيراً ما غادرتني اقضي الليالي وأنا اتقلب على فراش الهموم والغموم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس التي تحاك لنا في الظلام وان اكتم خبرها في اعماق صدري مخافة ان يدري بها شريكي فيضطربا فلا يستطيع احدهما متابعة الدرس والمطالعة وتحرير المقتطف بما يقتضي لذلك من راحة البال وصفاء الذهن ولا يستطيع شريكي الاخر القيام بأشغال المطبعة والجريدة والمجلة بما يقتضي من الامن والاطمئنان . واذا قلنا قلتي واضطربا اضطرابي بارت الاشغال وساءت حال العمل والعمال ولذلك بلغ مني اني كنت اتلقى اخبار الحكم عليّ بالاعدام من الناقين عليّ بسبب سياسة المقطم وانا صامت حتى ألفت الصبر على المسكايد ولم أعد أعبأ بتلك الاحكام بعد ما تكررت عليّ ثلاثاً بالاعدام وهي لا تزال محفوظة بين اوراق ليقرأها من تقع اليه بعدي ويترحم على مصدرها كما اترحم انا عليهم اليوم بعد ما بلغت من العمر عتياً ولم يبق احد منهم حياً فبعضهم مات حتف انفيه وبعضهم مات غيلة او بانقاذ حكم الاعدام فيه . وعماقيل سنجتمع امام الديان العادل جميعاً فلست بواجد عليهم بل اسأل الففران لي ولهم لاني كنت احسبهم ظالمين فاطعن في ظلمهم وكانوا يحسبونني جانياً مذنباً فيحكمون عليّ حسب اعتقادهم . وما دمت في قيد الحياة فأرجو من فضل ربي ان يمن عليّ بالصحة طول ما بقي لي ، والتحرر من اغلال الاشغال التي لا ازال مكبلاً بها طوعاً لمقتضى الحال لاستأنف دروسي حيث تركتها واعدت الى التحرير في المقتطف في اواخر عمري اجتناً للذة التي كنت أمتع بها في اوائل امري هذه بعض الخواطر والذكريات التي استخرجتها الذاكرة من دفائن ستين عاماً من اعوام التجربة والاختبار أوردتها عسى ان يجد فيها احداث هذا العصر شيئاً يساعدهم في مستقبل ايامهم واسأل الله الخير لي ولهم



محمد علي طلوع پاشا



الدكتور مصطفى الشرايبي

نحية وزير المعارف المصرية

معالي محمد علي علوية باشا

ان مجلة المقتطف هي المجلة الشرقية الوحيدة التي رافقت الشرق في نهضته العلمية والثقافية والأدبية، وارتقت مع ارتقائه، وكان لها أثر عظيم في نشر العلوم والمعارف على طريقة علمية صحيحة سهلة المأخذ. وان القاء نظرة على ما وصلت اليه المجلة في الوقت الحاضر، ومقابلتها بما كانت عليه في الزمن القديم، تبيننا بالفرق بين حالة الشرق العلمية في يوم انشائها وحالته في الوقت الحاضر

واني ككل شرقي عربي اعترف بالفضل العظيم لهذه المجلة، وما أسدته للعالم العربي من خدمات جمة. كما قامت بتوضيحات في سبيل نشر هذه الثقافة التي جعلتها في متناول كل يد. فقد اختارت موضوعاتها من خلاصة الافكار العلمية، وبسطها احسن تبسيط، وصار الشرقي يقرأها، وكأنه يقرأ أحسن مجلة غربية وشرقية في نوع العلوم والمعارف والادب. وان الثقة التي حازتها هذه المجلة في قلوب الشرقيين يندر ان تدانيها ثقة أخرى بفضل العناية التي يقوم بها قلم التحرير في دقة وتحرر للصحة والسهولة. وان من الجحود ان تنكر ما لهذه المجلة من فضل على نهضة الشرق

وبمناسبة مرور ستين عاماً على تأسيس المقتطف أبعث له بالتهنئة بصفى الشرقية المصرية والعربية، وبصفى وزيراً للمعارف المصرية، وأرجو لها دوام الارتفاع والنجاح

تحية وزير المعارف السورية

معالي الأمير مصطفى الشهابي

من بعض الأدلة على تأثير المقتطف في النهضة الفكرية في الشرق العربي تلك الحادثة التي أسردها على القارئ في الكلمات الآتية :

كنت قبيل الحرب الكبرى تلميذاً في مدرسة غرينيون الزراعية العليا في فرنسا وكان في جملة التلامذة نقر من المصريين ومن الشاميين . ففي ذات يوم فوجئنا بزيارة الزعيم الشامي الكبير صديقنا الدكتور شهنندر فجعلنا نطوف به في مخبر المدرسة وحقوقها وحدائقها ورياضها وسقائف آلاتها وحظائر حيواناتها . وكنا نسمي بعض الأشياء التي نريه إياها باسماء فرنسية لا كنا نجهل ألفاظها العربية ، فكان الدكتور يلفت نظرنا برفق الى وجوب تحري الألفاظ عريية لتلك المسميات ، ومما قاله لنا ان في أبحاث المقتطف الزراعية جملة صالحة من المصطلحات العريية تفيد مراجعتها كل تلميذ زراعي وكل كاتب في العلوم الزراعية . فصرت منذ ذلك الحين أراجع الابحاث المذكورة في مجلدات المقتطف وأستخرج منها تلك المصطلحات حتى اجتمع لدي منها زبدة أغرتني بمتابعة هذه الدروس اللغوية فتابعتها الى ان وضعت منذ سنتين « معجم الألفاظ العريية للمعاني الزراعية »

هذا مثال صغير ذكرت فيه تأثير المقتطف في لغتي العلمية في مستقبل العمر . ولا شك ان من تأثروا بهذا العامل في انحاء البلاد العريية عدد كبير . والذين يتذوقون سلاسة اللغة العلمية في مجلدات المقتطف ويميزون غث هذه اللغة من سمينها يدركون ان

الدكتور يعقوب صروف رحمه الله كان ممن لا يشق لهم غبار في مضمار الانشاء العلمي وانه كان يُعدُّ في حياته اكبر كاتب عربي في الموضوعات العلمية ولذلك عددنا المقتطف مدرسة جيدة للانشاء العلمي والمصطلحات العلمية

اما العلوم نفسها فالمقتطف مدرسة لها اي مدرسة ، وأما تقدم العلوم العصرية فالمقتطف فيه جولات طالما استفاد منها الذين أمسوا بمجمل العلوم الحديثة وخطة المقتطف لا ترمي الى نشر الموضوعات العلمية المسببة التي انما تكتب للأخصائيين ، بل خطته بسط العلوم الحديثة بجملة وتقريبها من مدارك المستثمرين من ابناء لغة الضاد . ولهذا رأينا للمقتطف تلامذة في انحاء البلاد العربية كافة ، ومن هؤلاء التلامذة كتاب وشعراء وصحافيون وتجار وزراة انكبوا على تلاوة المقتطف فكان لهم مدرسة غذت عقولهم ووسعت مداركهم وهذبت اخلاقهم وصقلت اقلامهم فعدوا من عناصر الامة المتعلمين المثقفين . ومن هؤلاء ايضاً نفر انقطعوا عن المدارس لاسباب شتى وعكفوا على تلاوة المقتطف والتثقف بموضوعاته دون غيرها فكفهم مؤونة الدراسة او بعضها

وربما ظن بعضهم ان خريجي المدارس العليا لا يجدون في المقتطف مادة يستفيدون منها . والحقيقة ان هؤلاء ايضاً بل هؤلاء خاصة هم في حاجة الى مقالات المقتطف لان موضوعات تلك المقالات كثيراً ما تختلف عن التي درسوها في المدرسة . فالمدرسة العليا تعلم تلميذها نوعاً واحداً من انواع العلوم في الاعم ، اما المقتطف ففيه انواع عديدة من العلوم والآداب والفلسفات المختلفة مما يحتاج اليه طالب الثقافة في جميع اطوار حياته . ولهذا السبب وجدنا خريجي المدارس العليا في طليعة قراء المقتطف

المقتطف والحركة الفكرية

للكنور - محمد حسين هيكل بك

سيداتي وسادتي — اقف هذا الموقف كصحفي . وأنا سعيد بذلك غاية السعادة . مغتبط به اكبر الغبطة . فللصحافة مهمة سامية تقوم بها . وهذه المهمة تزداد سموًا كلما تجرّدت من مطامع المادة لانها تصبح تضحية للحياة في سبيل خير الجماعة . واعتبطت بأن اقف هذا الموقف لان حياتي الصحفية التي تمتد في الحقيقة الى ماضٍ غير قريب كان لها اتصال بمجلة المقتطف التي تحتفل اليوم بعيدها الخمسيني . وكانت في هذا الاتصال تعبر عن بعض خواطر في شأن الحركة الفكرية . لهذا كان طبيعيًا ان احدثكم في هذا الحفل عن اثر المقتطف في حركة الشرق الفكرية والاجتماعية وأن أقصر حديثي على الحركة الفكرية والاجتماعية

سيداتي وسادتي — ارجوكم ان تعودوا ببصار اذهانكم الى خمسين سنة مضت . الى ذلك اليوم الذي بدأت فيه مجلة المقتطف حياتها . وان تذكروا ما كان من حياة الفكر في الشرق سنة ١٨٧٥ . وما كان من حياة الفكر في الغرب سنة ١٨٧٥ . وما كان بين الغرب والشرق يومئذٍ من صلات سياسية وغير سياسية . وارجوكم ان تقدموا مع السنين قليلاً قليلاً وان تروا غزو الغرب للشرق في مختلف ميادين الحياة . في العلم . والادب . والصناعة . والتجارة . وفي كل ميدان آخر وان تصوروا لانفسكم ما وجب القيام به من الجهود لجعل الاتصال بين الغرب والشرق في اثناء هذه الغزوات غير قاس . هنالك تقدرون ما كان للذين جاهدوا في منع الاصطدام بين القوتين الانسانيين من فضل . وهنالك تذكرون بالحير من كان لهم في نشر افكارها وفي تهذيبها وفي صقلها وفي تمحيصها ودفع الزائفة منها . ثم هنالك ترون قدر الجهود الذي ينفقه صاحبها في غير جلبه ولا وضوء حين يجلس الى مكتبه وحيداً محاطاً بالمئات والالوف من اكبر الرؤوس التي قامت على تفكيراتها عمارة العالم وحضارته . يناجي اصحاب هذه الرؤوس ويتفاهم وياهم من طريق كتبهم . ثم يبرز آراءهم ورأيه في آرائهم لمعاصريه ممن يقرأون لغته .

في سنة ١٨٧٥ كانت امم الشرق الغربي ما تزال بعيدة بعض البعد عن غزو الحضارة الاوربية

ايها غزواً شاملاً . وكان الاتصال بين الشرق والغرب ما يزال مقتصرأ على بعض الصلات السياسية والفردية . لكن عيون اوربا كانت يومئذ مفتوحة واسعة محدقة الى هذا الشرق العربي زيد ان تحقق فيه اغراضها وغايات . وكانت مصر من بين امم الشرق العربي تهافتت على الغرب نهافتاً ما نظن ساستها كانوا يقدرون مدى آثاره . ففي سنة ١٨٧٥ تقرر انشاء المحاكم المختلطة في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت انكلترا اسهم قناة السويس من الحديو اسماعيل باشا وكذلك في سنة ١٨٧٥ كانت روسيا تتحرش بتركيا تحرشاً انتهى الى الحرب الروسية التركية . وكانت افريقيا الشمالية كلها مطمح انظار فرنسا . وكان من شأن هذه الاتجاهات السياسية ان خلقت نوعاً من الصلة بين اوربا والشرق ظل ينمو ويتزايد وما زال ينمو ويتزايد الى وقتنا الحاضر

وفي سنة ١٨٧٥ كانت اوربا تلمح بحركة فكرية قوية غاية القوة . فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد اخذت تهدم وتهار امام الفلسفة الواقعية التي مكنتها اوجست كونت في فرنسا وقام بنشرها جون ستورات ميل وهربرت سبنسر في انكلترا . وكانت نظريات لامارك ودارون وغيرها ذات شأن يذكر عند كثير من اصحاب هذه الفلسفة الواقعية . وكانت هذه النظريات وما ترتب عليها من حركة في العلم شديدة وما كان من أثر هذه الحركة من نشاط في الاختراع ترد الى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين اقاموا فيه زمناً طويلاً ، وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية ونشأت افكارهم نشأة غريبة

كان محتوماً مع هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب ، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والادبية الشديدة في الغرب ، ان تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وادبية جديدة ، ولما كانت تطورات كل من ناحيتي الانسانية قد اختلفت قبل ذلك جد الاختلاف عن تطورات الناحية الاخرى فقد كان الاصطدام محتوماً . لكنهما كان يهون من هذا الاصطدام ان يقوم جماعة بالتقريب بين الافكار التي يظن لاول وهلة ان لا سبيل الى التقريب بينها ، وان ينشر جماعة من دفائن علم الشرق وتكثيراته ما ييسر الاعتقاد بإمكان التفاهم او بإمكان التنافس بينه وبين الغرب تفاهماً يقرب بينهما او تنافساً يسوي بينهما ، وهذا الجهد لا يقوم به فرد وحده بل هو في حاجة الى تعاون عدد كبير من الافراد وكلما كان تعاونهم وثيقاً كانت نتائجهم مؤكدة وامكن خلق الجو الصالح للاحتكاك الفكري الذي يكفل ثبات هذه النتيجة والتعاون لا يتأتى الا اذا كان للتعاونيين مركز يلتقون عنده يصدرون عنه ويردون اليه

من اول المراكز التي التقت عندها القوي التي حاولت نشر الفكر في الشرق العربي مجلة المقتطف ، وبحسبك ان تطلع على الأعداد الاولى منها لتقتنع تمام الاقتناع ان الغاية التي توخاها صاحبها من ايجادها انما هي نشر أحدث الافكار والمعلومات على اصولها ومصادرها . وربما

كانت الوسيلة لذلك في تلك الاعداد الاولى تعتمد على النقل والترجمة المعلومات العلمية أكثر من اعتمادها على الانشاء والبحث . لكن للمقتطف في ذلك من العذر ان التفكير الغربي لم يكن معروفاً يومئذ في مصر والشرق الا من طبقة قليلة محصورة جداً ، فوسيلة نشره انما تكون بنقل المعلومات التي يعتمد عليها والتي أدت ملاحظتها وترتيبها الى هذه العلوم الغربية التي ترى اليوم كما ان هذه العلوم ذاتها لم تكن في اوربا كما هي اليوم فان نصف القرن الذي مضى كان ملوئاً بالنشاط العلمي الى حد كبير

وظل المقتطف كمجلة يتقدم كلما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيه حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره تنوعاً وكثر الكاتبون فيه . ولما كانت الحركة الفكرية قد بدأت تأخذ بكثير مما في الغرب من معارف فقد نهضت حركة فكرية شرقية تحيي القديم من الادب والتفكير العربي وتعمل لبيان ان العرب في الماضي لم يكونوا اقل من الغربيين اليوم شأنًا وان ادبهم كان في كثير من الاحيان ارقى من الادب الغربية . وكما كانت مجلة المقتطف هي الميدان الاول الذي التقى عنده الكتاب لنشر المعلومات والآراء والافكار الغربية كذلك كان احد الميادين لنهضة التفكير والادب العربي وان لم يختص بهذه اختصاصه بتلك . وانك لتقرأ فيه كثيراً من شعر العرب ومن الادب العربي كما تقرأ كثيراً من شعر المعاصرين ونثرهم وظلت حركة معارضة التفكير والادب العربي الحديث بالتفكير والادب العربي القديم زمنًا . ثم نشأت فكرة تراها ماثلة على صفحات المقتطف ايضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس اهل الشرق العربية بين ثمرات الحضارة العربية القديمة وبين الحضارة الاوربية الحديثة . من هنا نشأ تفكير جديد يرجع الى اوائل او آخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ومن هنا بدأت الفكرة الاجتماعية الحديثة تشغل اذهان الكثيرين . فحدثت حركة المرحوم قاسم امين عن تحرير المرأة ، وقام الاستاذ الشيخ محمد عبده للتوفيق بين نظريات العلم وقواعد الدين . وتناولت الصحف هذه وما اليها من المباحث الاجتماعية والفلسفية بالبحث والتحصيل . وكان للمقتطف في هذا الميدان حظٌ كبير . فكانت الرسائل والمباحث التي لا تتسع لها الصحف اليومية تنشر فيه . وهذه الرسائل ممتعة عادة لانها تجمع بين التفصيل والايجاز . ومجلة حرة كان المقتطف ينشر على صفحاته الآراء المختلفة المتضاربة بأمل الوصول الى الحقيقة من طريق البحث . وفي ذلك الجهاد قضى خمسين سنة نحني اليوم بها . ولعل هذا الجهاد العلمي والفكري هو خير ما يفخر به اصحاب المقتطف من أعمال حياتهم . ولعل الدكتور صرّوف الذي انقطع للمقتطف منذ سنوات كثيرة يقضي نهاره وايامه عملاً للعلم ونشره وللمعارف واذا عنها — يشعر وهو في سنه ومكاتبه بما اداه من خدمة للفكر والاجتماع في الشرق العربي بمجلته ...



اسكر لطفى السيد باشا



فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى



أمير سامى باشا



محمد القسبى باشا

تطور التعليم في مصر

في خلال الستين عاماً الاخيرة

لمحمد بك المشاوي

وكيل وزارة المعارف

تطوّرت الحياة المصرية في كل نواحيها لا سيما الناحية التعليمية تطوراً خبيراً خلال الستين عاماً الاخيرة ولا يستدل على هذا التطور بالارقام الناطقة للبيان وحدها وانما يلحظ في التقدم الفكري وارتفاع مستوى الحياة العامة في البلاد لا سيما في العهد الاخير عهد جلالة الملك — الذي شمل بعطفه ورعايته جهود البلاد عامة والتعليمية والفكرية منها خاصة

١ — التعليم الاول

ولعلّ أهم ما يلحظ في هذه النهضة التعليمية انتقال التعليم من الخاصة الى العامة ومن العواصم الى القرى السحيقة في انحاء البلاد حتى لقد بلغ عدد المكاتب في انحاء القطر ٤٧٠٠ مكتب سنة ١٨٧٥ . غير ان هذا النوع من التعليم كان ينقصه التنظيم والتوجيه ومن ثم انشئ بديوان المدارس ادارة خاصة للمكاتب الاهلية وعين المرحوم عبد الله فكري بك وكيلاً لهذه الادارة في مارس سنة ١٨٧١ . ولكن تنظيم التعليم القروي لم يتخذ مع هذا وجهة مقررّة الا حينما شكلت لجنة عامة لبحث نظام التعليم باكملها في مصر سنة ١٨٨٠ فوضعت خطة لتنظيم التعليم الابتدائي والقروي تنظيمًا شاملاً

بيد ان التقلقل المالي والسياسي الذي اصاب البلاد في ذلك الحين لم يسمح بتنفيذ هذه الخطة الكاملة بدليل انه الى سنة ١٩١٢ لم ينشأ أكثر من ١٣٢ مدرسة اولية منها ٨٩ مدرسة سلمتها وزارة الاوقاف الى المعارف لادارتها مقابل اعانة سنوية تبلغ ٤٠٠٠ جنيه ولا يمكن ان يقال ان التعليم الاول نهض نهضته الحاضرة الا بعد صدور قرار اللجنة المشكلة لنشر التعليم الاول سنة ١٩١٩ فمن ذلك الحين افتتحت المدارس الاولى تدريجاً في انحاء القطر حتى بلغت في الوقت الحاضر ما لا يقل عن ٤٤٨١ مدرسة يتعلم فيها حوالي ٨٥٠٧٧٨ طفلاً مبادئ الدين والقرآن والكتابة والقراءة والحساب والرسم ومشاهد الطبيعة والصحة والجغرافيا .

وتنظيماً لهذه الحركة صدر في ١٩ يونيو سنة ١٩٣٣ قانون لتنظيم التعليم الاولي فجعلت مدة الدراسة خمس سنوات من السابعة الى الثانية عشرة وقسم اليوم المدرسي الى قسمين للبنين والبنات مع تبسيط منهج الدراسة وتعديله تعديلاً يسمح للطفل بالاتصال ببيئته الزراعية او الصناعية . وكذلك نظمت العلاقة بين وزارة المعارف ومجالس المديرية في ادارة هذه المدارس بمقتضى القانون رقم ٢٤ الصادر في سنة ١٩٣٤ . ولكي تعطى لفريق التلاميذ الممتازين في هذه المدارس فرصة التزود بقسط اعلى من التعليم انشئ الى جانب المدارس الاولية عدد من المدارس الاولية الراقية للبنين والبنات فضلاً عن المدارس الزراعية والصناعية الاولية . وأعد للتدريس في هذه المدارس جميعاً فريق من المدرسين والمدرسات الذين اتموا دراسهم في معاهد خاصة لهذا الغرض وهي مدارس المعلمين والمعلمات المنتشرة في انحاء القطر

٢ - التعليم الابتدائي

ليس هذا النوع من التعليم حديثاً في مصر بل يرجع عهده الى عصر محمد علي الذي أنشأ حوالي ٥٠ مدرسة ابتدائية في انحاء القطر لسد حاجة البلاد عامة . ولما تولى الخديو اسماعيل باشا الحكم في مصر أعاد فتح اكثر المدارس التي اغلقت في عهد عباس وسعيد واطردت الزيادة في عدد هذه المدارس الاميرية حتى بلغت سنة ١٨٨٢ نحو ٢٧ مدرسة وفي سنة ١٩٢١—٣٤ مدرسة وفي الوقت الحاضر ٥٧ مدرسة اميرية . وبينما كان عدد التلاميذ في هذه المدارس في سنة ١٨٨٩ نحو ٢٨٢٢ تلميذاً ارتفع العدد في سنة ١٩٢١ الى ١١٣٨٢ وفي الوقت الحاضر الى ١٥٤٢٠ هذا عدا مدارس البنات الاميرية التي تبلغ في الوقت الحاضر ١٩ مدرسة بها ٢٦٠٤ تلميذات وقد كانت مدة الدراسة في هذه المدارس دائماً اربع سنوات وكان مقرر التعليم في بادئ الامر يشمل الدين واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة والرسم والصحة والترجمة واللغة الاوربية ودروس الاشياء والخطوط . وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الاجنبية السائدة في هذه المدارس الى ان حلت محلها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى الغيت الاقسام الفرنسية سنة ١٩٠٣ اما باقي مواد التعليم فكانت تدرس باللغة العربية الى ان قرر علي باشا مبارك سنة ١٨٨٧ تدريسها باللغة الانجليزية وبقيت هذه اللغة وسيلة التعليم الى ان تقرر اعادة اللغة العربية سنة ١٩١٦ ثم تناول الاصلاح مواد الدراسة سنة ١٩٢٥ فأدخل الكثير من المواد الحديثة التي تعاون على تثقيف الطلاب وتهذيبهم كالاشغال اليدوية ومبادئ العلوم الخ . واتبع هذا النظام في مدارس البنين والبنات على السواء اذا استثنينا ان البنات يدرسن اشغال الابرّة وبعض المواد النسوية ويسير على هذا النظام عدد وافر من المدارس غير الاميرية وتبلغ ٧٣ مدرسة تابعة لمجالس

المدرسات وبها نحو ١١١٢٠ تلميذاً و١٢ مدرسة للبنات وبها ٢٤٣٧ تلميذة فضلاً عن المدارس الحرة التي خضعت جميعاً لرقابة وزارة المعارف بمقتضى قانون التعليم الحر الذي صدر عام ١٩٣٤ لتنظيم العمل والدراسة في هذه المدارس . وقد بلغت بعد التصفية الأخيرة ٢٩٠ مدرسة ابتدائية للبنين و١٣٠ مدرسة للبنات وبها حوالي ٢١٠٠٠ تلميذ وتلميذة

ويتقدم تلاميذ المدارس الابتدائية وتلميذاتها في الوقت الحاضر في سنتهم النهائية لامتحان أتمام الدراسة الابتدائية الذي حل منذ سنة ١٩١٦ محل امتحان شهادة الدراسة الابتدائية . وكان هذا الامتحان قد تقرر منذ سنة ١٨٩١ ليؤهل الطلاب لدخول المدارس التجهيزية والتوظيف في الوظائف الصغرى بدوائر الحكومة في حين ان الامتحان الحالي تقتصر اهميته على الانتظام في التعليم الثانوي

ولعل تقدم المدارس الابتدائية في الوقت الحاضر يرجع الى اعداد الاطفال للدخول في هذه المدارس بالثناء ما سمي « رياض الاطفال » وهي مدارس تقبل الاطفال من سن الخامسة الى الثامنة وتعنى اكبر العناية بتنمية قوة الملاحظة وحب الاستطلاع وتعرف خبايا العالم المجهول للناسين والاعتماد في التعليم خاصة على الالعب والموسيقى والاشغال ويتولى التدريس فيها مدرسات هن مؤهلات خاصة وبالقطر الآن ٢١ مدرسة من هذا النوع بها نحو ٢٠٠٠ طفل هذا فضلاً عن ١١ مدرسة تديرها مجالس المدرسات وبها نحو ١٠٠٠ طفل

٣ — التعليم الثانوي

كان التعليم الثانوي في عهد محمد علي الكبير مقتصراً على المدرسة التجهيزية بابي زعبل ثم نقلت هذه المدرسة في عهد الخديوي اسماعيل الى درب الجمائيز وسميت باسم المدرسة التجهيزية ثم المدرسة الخديوية وانشئت مدرسة اخرى بالاسكندرية وهي مدرسة رأس التين الحالية ثم ازداد عدد المدارس تدريجاً حتى بلغت ٦ مدارس ثانوية اميرية سنة ١٩١٧ يتعلم بها نحو ٢٤٤٢ تلميذاً واطردت الزيادة حتى بلغ عدد المدارس الاميرية في الوقت الحاضر ٢٧ مدرسة ثانوية بها نحو ١٤٦٤٦ تلميذاً و٦ مدارس ثانوية للبنات وبها نحو ١٣٠٩ تلميذات هذا عدا المدارس الحرة التي بلغ عددها في سنة ١٩١٧ — ٢٦ مدرسة ثانوية للبنين بها نحو ٤٥٧٠ تلميذاً ثم اخذت في الزيادة تبعاً لحاجة الاهلين واقبالهم على هذا النوع من التعليم حتى اصبحت الآن ٨٥ مدرسة للبنين و١٢ مدرسة للبنات يبلغ عدد تلاميذها وتلميذاتها نحو ١٢٠٠٠ تلميذ وتلميذة

وكانت مدة الدراسة الى سنة ١٨٩٢ خمس سنوات وتشمل اكثر مواد الثقافة العامة المعروفة في المرحلة الاولى للتعليم الثانوي في الوقت الحاضر . وفي سنة ١٩٠٩ قصر التعليم الثانوي على اربع

سنوات منها سنتان لمواد الثقافة العامة والسنتان التاليتان للتعلم في المواد العلمية او الادبية مع حذف بعض المواد الرئيسية كالتاريخ الطبيعي . وجعلت اللغة الانجليزية مادة اساسية والفرنسية لغة اضافية ابتداء من السنة الثالثة وتدریس اكثر المواد باللغة الانجليزية طبقاً للسياسة التي وضعها الوزارة منذ سنة ١٨٨٧

غير ان خطة الاصلاح التي بدأت منذ سنة ١٩١٦ ادت الى اعادة التعليم باللغة العربية في هذه المدارس تدريجاً . وفي سنة ١٩٢٥ اعيدت مدة الدراسة الى خمس سنوات كما اعيدت مواد الثقافة التي حرمت منها المدارس عهداً طويلاً وهي مواد التاريخ الطبيعي والتربية الوطنية وعلم النفس فضلاً عن تعديل خطة الدراسة ومناهجها تعديلاً يطابق روح العصر . وفي العام الماضي عدل نظام التعليم الثانوي تعديلاً جوهرياً في اكثر من موضع واحد — خطط الدراسة ومناهجها وامتحاناتها وانظمتها قصداً الى تحرير المدرسين والتلاميذ من ربة الكتب والامتحانات والاتجاه الى تكوين الازدهان وتربية الاخلاق والاجسام تربية مثمرة . كذلك عدل التعليم الثانوي للبنات تعديلاً يطابق روح العصر والاختبار فالى العام الماضي كانت التلميذات يدرسن المواد المقررة للتلاميذ مع تعديلات طفيفة تتعلق بتدريس المواد النسوية لمن يرغب من الطالبات . ولهذا وضع منهج خاص لمدارس البنات الثانوية تدرس التلميذات بمقتضاها مواد الثقافة العامة في خمس سنوات بدلاً من اربع وان يعنى في هذه المرحلة بمواد الثقافة النسوية عناية تامة . وفي السنة التوجيهية وهي السنة الاخيرة للدراسة الثانوية تتجه التلميذات الى التعليم الموصل للتعليم العالي او ينصرفن الى اتمام مواد الثقافة النسوية

٤ — التعليم العالي والجامعي

افتتحت اكثر مدارس التعليم العالي في مصر في النصف الاول من القرن الماضي ثم اصابتها الضعف والانحلال تبعاً لحالة الضعف السياسي التي اصابت البلاد في منتصف القرن ، ولم تستقر حياتها الجديدة الا منذ عهد الخديو اسماعيل الذي استأنف تقاليد جده الكبير فأعاد منذ سنة ١٨٦٧ فتح مدارس الطب والطب البيطري والهندسة والزراعة وأضاف اليها مدرسة الحقوق . وكانت هذه المدارس جميعاً تستمد طلابها غالباً من المدارس التجهيزية ، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات ، وكانت لغة التعليم السائدة هي اللغة الفرنسية ثم اعقبها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى الغيت الاقسام الفرنسية . ومنذ سنة ١٩١٦ جعلت الدراسة في كافة المدارس العليا اربع سنوات بدلاً من ثلاث واخذت اللغة العربية تتخذ مكانها في التدريس واطردت العناية بالمعامل والمكاتب واساليب التدريس والبحث كما عني بارسال البعثات العلمية العديدة لتزويد هذه المدارس بطائفة صالحة من الاساتذة الممتازين

على ان التعليم العالي في مصر لم يقتصر على المدارس المتقدمة بل يشمل معهدين آخرين لها ميزة خاصة في انهما كانا عماد التعليم الثانوي وبالتالي التعليم العالي وهما دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا . وقد انشئ المعهد الاول عام ١٨٧٢ لتخريج طائفة من المعلمين الصالحين لتدريس اللغة العربية ثم تدعى الاساس الذي اقيم عليه هذا المعهد بإنشاء مدرسة تجهيزية خاصة لاعداد الطلاب للقبول في القسم العالي في سنة ١٩٢٠ ثم الغيت هذه المدرسة اخيراً اكتفاءً بخريجي الاقسام الثانوية في الجامعة الازهرية . اما اعداد المدرسين اللازمين للمواد الاخرى فقد عهد الى مدرسة الثورمال التي انشئت سنة ١٨٨٠ وكان التعليم فيها بالفرنسية شأن باقي المدارس العليا الاخرى ثم نقلت الى قصر الزهة سنة ١٨٨٨ وسميت باسم المعلمين التوفيقية ثم الى الخديوية وسميت بالمعلمين الخديوية فالمعلمين السلطانية ثم اخيراً المعلمين العليا وبقيت تؤدي للتعليم والبلاد الخدمات الى ان انشئ معهد التربية الحالى للبنين

كذلك انشئ قسم خاص بالمدرسة السنية عام ١٩٠٠ لتخريج معلمات للمدارس الابتدائية ومدارس المعلمات وقد ارتفع مستوى الدخول فيها تدريجاً تبعاً لارتفاع مستوى التعليم العام فمن شهادة ابتدائية الى امتحان دخول الى اشتراط الشهادة الثانوية وجعلت مدة الدراسة ثلاث سنوات ثم ارتفعت الى اربع وبقي هذا المعهد قائماً الى ان حل محلها معهد التربية الحالى للبنات ومنذ سنة ١٩٢٥ سار التعليم العالي خطوات سريعة . ففي ذلك العام انشئت الجامعة لتباعد بين التعليم العالي والمصالح المادية الضيقة وتوجد جواً جديداً من الثقافة والبحث العلمي في البلاد وقد شملت الجامعة بادى الامر كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب ثم اتسعت دائرتها منذ العام الماضي حتى شملت اكثر المدارس العالية الاخرى : الهندسة والزراعة والتجارة حتى يتضامن التعليم العالي بأكمله في تحقيق الاغراض المنشودة في جو من الحرية والاستقلال . وقد بلغ عدد طلاب الجامعة في العام الماضي ٦٥٣٥ طالباً بينهم ٢٠٧ طالبات وهي ظاهرة جديدة في اتجاه التعليم في مصر تستحق الرعاية والالتفات

٥ - التعليم المتوسط

لعل أهم مظاهر الاصلاح الحديث في التعليم انشاء حلقة جديدة متوسطة بين التعليمين الابتدائي والثانوي وهي حلقة يقصد بها تخفيف الضغط على التعليم الثانوي والعالي من جهة وسد حاجة البلاد من طبقة متوسطة من المتعلمين من جهة اخرى ولهذا الغرض انشئ في سنة ١٩٠٧ ادارة خاصة بهذا النوع من التعليم وفي كنفها تقدم التعليم الصناعي والزراعي والتجاري ولا تزال هذه الادارة تحت اسم آخر توالي عنايتها بهذه المدارس

فبينما كان عدد المدارس الصناعية في سنة ١٩١٠ لا يزيد عن خمس مدارس اذا به يرتفع

سنة ١٩١٧ الى ١٨ مدرسة وفي سنة ١٩٣٥ الى ٢٨ مدرسة بها ما لا يقل عن ١١٧٧٨ تلميذاً يزاولون مختلف الصناعات التي تلائم حاجة البلاد . فالى جانب اقسام الصناعات القديمة انشئت في السنوات الاخيرة اقسام خاصة بالكهرباء والتلغراف اللاسلكي وهندسة السيارات والهندسة الصحية واشغال الزخرفة وصقل الجرانيت وبناء المراكب والهندسة البحرية وصناعة الزجاج الخ ولكي يمكن تشجيع خريجي هذه المدارس للعمل في الصناعات التي تخصصوا فيها اعتمدت الحكومة مبالغ ٣٠٠٠٠ جنيه لمساعدة هؤلاء الخريجين في مواصلة العمل في صناعاتهم فضلاً عن انشاء عدة مصانع حكومية للجلود وتصليح الساعات لافساح مجال العمل لطلاب هذه المدارس . ولا شك ان انشاء وزارة خاصة بالصناعة والتجارة في العام الماضي سيعاون كثيراً على تقدم هذه المدارس ونجاحها

كذلك انشئت مدارس خاصة بالتعليم الزراعي المتوسط والغرض منها تخريج مزارعين قادرين على مباشرة مزارعهم الخاصة او العمل في مزارع الآخرين . ويبلغ عدد هذه المدارس اربعاً: ثلاثاً في الوجه البحري ومدرسة في الوجه القبلي تضم عدداً من التلاميذ لا يقل عن ١٥٠٤ طالباً في حين ان عدد الطلاب لم يرتفع في سنة ١٩١٧ عن ٢٠٠ طالب

اما التعليم التجاري فقد اتسع تدريجاً بنسبة المدارس الاخرى . ففي سنة ١٩١٧ كان التعليم التجاري المتوسط مقتصرأ على مدرسة واحدة في القاهرة بها ٢٢٩ طالباً ثم ازداد عددها الان الى خمس مدارس بها ٣٠٠٠ طالب والغرض من هذه المدارس هو تدريب طبقة من الشبان على الاعمال الكتابية والحسابية في المحال التجارية والمصارف او في المزارع والمصالح الحكومية . ويتصل بهذا النوع من المدارس الاقسام الليلية التجارية التي انشئت لتزويد الشبان والشابات على السواء بالفرصة الملائمة لتوسيع معلوماتهم وتنمية مداركهم وكسب قوتهم في الاعمال التجارية والحسابية

٦ - الفنون الجميلة

كان من الطبيعي ان تمشي مع نهضة البلاد العلمية والادبية نهضة فنية . فانشئت مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١٧ ثم تأسست مدرسة الفنون الجميلة العليا سنة ١٩٢٥ واستصدر مرسوم بتأليف لجنة استشارية للفنون لزيادة العناية بها وللرجوع لرأي الفنين فيها . وتحقيقاً للامنية التي طالما انتظرتها مصر الحديثة وهي الهوض بالموسيقى العربية العتيقة انشئ معهد الموسيقى العربية وانشئت به مدرسة للموسيقى تعينها وزارة المعارف مالياً وتشرف عليها فنياً وإدارياً . كما عني بجعل الموسيقى جزءاً هاماً من ثقافة الشعب وعلماً يدرس بالمدارس المصرية إلى جانب العلوم الاخرى فأدخل التعليم الموسيقي في رياض الاطفال والمدارس الاولى الالزامية والمدارس الالتيادية . وفي

العزم السير تدريجياً في تعميم مادة الموسيقى في مختلف درجات التعليم ونواحيه كلما توافر عدد من يمكن ان يسند اليهم تدريس الموسيقى من خريجي البعثات الموسيقية المصرية وخريجي المعهد الملكي للموسيقى العربية

واتجهت العناية أيضاً إلى الفنون الاخرى فأقامت الحكومة المصرية أكاديمية الفنون الجميلة بروما حيث يجد الطلبة المصريون الموفدون للتخصص في الفنون الجميلة مكاناً صالحاً للعمل والاسترشاد الفني . كما انشئ متحف للفن الحديث جمعت فيه طائفة من الآثار الفنية القيمة لكبار الفنانين في مصر الحديث من مصريين واوربيين ومصنع لصب القوالب بقصد إخراج نماذج للقطع الاثرية والفنية وتيسير اقتنائها . هذا فضلاً عن إيفاد البعثات للنحت والتصوير والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة الى المعاهد الفنية الكبرى في ايطاليا وفرنسا وإقامة معارض للفنون الجميلة والاشراف على تنظيم المعارض التي تقيمها الجمعيات والافراد وتشجيعها بالاعانات وبشراء كثير من معروضاتها كما وجهت العناية الى المسرح العربي فزود بالمال أولاً ثم انشئت فرقة قومية خاصة لرفع شأنه ولتشجيع الترجمة والتأليف للمسرح واستقدمت فرق اجنبية متميزة في كل عام لحياء موسم تمثلي غنائي في دار الاوبرا الملكية بقصد اذاعة الثقافة المسرحية الاوروبية

٧ - دار الكتب المصرية

انشئت في عهد المغفور له الخديو اسماعيل واتسعت أعمالها تدريجاً اتساعاً يمين على مبلغ النهضة الفكرية في البلاد واتجاه الذوق العام الى الاستزادة من الثقافة والاطلاع والاحصاء التالي بين وجه المقابلة

سنة ١٩٣٣	سنة ١٩١٧	
٢٣٨١٧٧	٨٨٢١٥	جملة الرصيد
٩٩٣٣	١٩٥٢	الكتب الواردة في السنة
٩٢١٦٦		عدد المترددين على قاعة المطالعة
١٧١٨٥	٧٤٥٤	عدد زائري المعرض
١٤٥٩		المطالعون على خرائط المساحة
٦١٦٢	٦٠٦	عدد المستعيرين في الخارج
٢١٢٣٣٣	٧١٨٦٩	عدد المجلدات المعارة بقاعة المطالعة
٣٧٥٢٧	١١٢٩٧	عدد المجلدات المعارة بالخارج
١٣٠	٢٥	عدد المجلدات المطبوعة للبيع

ويضاف إلى هذا كله مكتبات خاصة أهديت إلى المكتبة العامة مثل مكتبة المرحوم طلعت بك وتشمل ٣٠٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم تيمور باشا وبها ٢٠٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم حليم باشا وبها ٢٥٠٠ مجلد ومكتبة قوله وبها ٣٠٠٠ مجلد ومكتبة خليل آغا ومكتبة الفلكي وتحوي كل منها ألف مجلد وإلى جانب دار الكتب انشئت حديثاً مكتبة الجامعة المصرية وهي ذات شأن كبير إذ يبلغ عدد مجلداتها نحو ١٥٠٠٠٠ مجلد وعني جلالة الملك بعناية كبرى بتزويدها بألاف المجلدات من الكتب القيمة فكان لجلالته الفضل الأكبر في نموها كما كان له الفضل السابق في تكوينها أول نشأتها عند ما كان أميراً يحوط الجامعة الوطيدة برعايته ويوقف عليها جهوده ووقته فأهدى إليها جلالته مكتبة الأمير إبراهيم حلمي التي آلت إلى جلالته بطريق الميراث وهي تشمل نحو ٢٠٠٠٠ مجلد. كما أهديت إليه في عهد جلالته وبرعايته مكتبات قيمة أخرى كمكتبة سمو الأمير كمال الدين حسين التي تحوي ٧٢٠٠ مجلد ومكتبة طلعت بك وبها ١٥٠٠٠ مجلد. هذا فضلاً عما أضيف إليها بطريقة الشراء كمكتبة سيولد وتشمل ١٠٠٠٠ مجلد

٨ — الرياضة البدنية

كان من أثر العناية في تعليم النشء تعليمياً يتفق وأساليب التربية الحديثة أن جعل التعليم البدني والالعاب الرياضية إجبارياً في جميع المدارس ووضعت لذلك المناهج المناسبة لسن التلاميذ وادخلت أوقات دراستها في برنامج الدراسة اليومي أسوة بالمواد الأخرى حتى أصبح التعليم البدني متغلغلاً في جميع مدارس القطر المختلفة للبنين والبنات

وكذلك وجهت عناية كبرى إلى حركة الكشفة والمرشدات. وتفضل جلالة الملك فأذن بتنصيب ولي عهده المحبوب حضرة صاحب السمو أمير الصعيد كشافاً أعظم يوم ٢٩ إبريل سنة ١٩٣٣ في حفل رياضي كبير مما كان له أكبر الأثر في تنشيط هذه الحركة حتى أصبح في القطر المصري الآن ما يقرب من ٢٢٥ فرقة بها نحو ٦٥٠٠ كشاف جميعهم من التلاميذ. ومن المرشدات نحو ٤٠٠٠ مرشدة في أكثر من ١٤٠ فرقة. وقد صدر مرسوم ملكي بتأليف جمعية أهلية مصرية للكشفة كما صدر قانون بحماية شاراتها ومسمياتها ومميزاتها

وستعمل الحكومة على توسيع نطاق تعليم التربية البدنية بإنشاء ميادين للالعاب الرياضية لتلاميذ المدارس وإنشاء مدرسة لتخريج معلمي التربية البدنية وإنشاء حمامات للسباحة وهذا فضلاً عن إعانة الأندية والجمعيات والاتحادات الرياضية المختلفة في أنحاء البلاد وتمشياً مع النهضة الرياضية الحديثة وأخذاً بأسبابها عمات الحكومة على إرسال البعث

الرياضية من الطلاب والطالبات الى اوروبا لدراسة الاساليب المختلفة والمستحدثة في التربية البدنية والاشتراك في المؤتمرات الدولية والمسابقات الاولومبية

٩ — الجمعيات العلمية والادبية والفنية

كان من أثر نهضة البلاد أن ترعرعت فيها هيئات وتكونت جمعيات تعنى بشئون العلم والآداب والفنون، فمنها الجمعية الجغرافية الملكية التي تعنى بتشجيع البحوث الجغرافية في مصر ونشرها والجمعية الملكية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع . والجمعية الملكية للحشرات . والجمعية الطبية المصرية . والجمعية الرمدية المصرية . والمجمع العلمي المصري . والجمعية الملكية لعلم اوراق البردي . والمجمع المصري للثقافة العلمية . ورابطة الادب العربي . والمعهد الملكي للموسيقى العربية . ومعهد الصحراء . وجمعية محبي الفنون الجميلة . ومجمع اللغة العربية الملكي الذي تألف من خيرة اللغويين المقيمين في مصر وفي البلاد العربية الشرقية ومن كبار المستشرقين الاجانب ذوي الشهرة في العلوم العربية هذا فضلاً عن مساهمة الحكومة المصرية في منح اعانات سنوية للهيئات العلمية الدولية مثل معهد التعاون الدولي الفكري بباريس . ومعهد التربية الدولي بسويسرا . واللجنة الدولية للعلوم التاريخية . والمكتب الدولي للتعليم الفني . واشتركا في اعمال هذه الهيئات جميعاً وفيما تعقده الهيئات الدولية العلمية سنوياً من المؤتمرات في أنحاء العالم

١٠ — مصلح المدارس

خطت أعمال الآثار المصرية الى الآن خطوات واسعة وأنت بنتائج استنارت اعجاب العالم فقد تم استكشاف مقبرة توت عنخ آمون ونقل ما فيها من حلى عجيبة واثاث وتماثيل الى جناح أعد لها في المتحف المصري ونسق أبدع تنسيق . كما استكشف في جهة البداري بقايا حضارة يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ . وعثر على مقبرة الملكة هتفرس أم الملك كيوبس ووضع ما وجد فيها من حلى ثمينة ذهبية في مكان خاص بالمتحف المصري . ولاول مرة في هذا العهد الزاهر يتولى المصريون استكشاف آثار أجدادهم فلقد قام اساتذة الجامعة المصرية بأعمال الحفر في عهود تاريخية مختلفة فكشف الاستاذ سليم حسن بك عن مقابر هامة يرجع تاريخها الى الامبراطورية القديمة بها كنوز من التماثيل الجميلة . ويواصل الاستاذ سامي جبره أعمال التنقيب عن مقابر يونانية — رومانية محلى بعضها بنقوش بديدة على أروع اسلوب « كلاسيكي » قديم . كما يقوم الاستاذ محمد حمزة بالكشف عن معبد ذي مقام تاريخي كبير بأسسوط . والاستاذ مصطفى عامر عن حفائر المعادي التي كشفت الكثير عن الانسان ومدنيته قبل التاريخ

الآثار القبطية — الآثار القبطية ذات مكانة تاريخية كبرى لأنها تعتبر حلقة الاتصال بين الفنون المصرية في العصرين الفرعوني واليوناني والروماني من جهة والعصر الاسلامي من جهة اخرى . وقد انشئ لها سنة ١٩١٠ متحف خاص يشمل مخلفات الاديرة والكنائس العديدة التي اقيمت بين القرنين الرابع والسابع للميلاد . وزيدت عليه اقسام عدة كقسم للاحجار وقسم للمعادن وقسم للاقمشة وقاعة للصور ومكتبة كبيرة . وفي عام ١٩٣١ صدر مرسوم ملكي بالخاق المتحف القبطي بأمالك الدولة فتضاعفت موجودات باقي الاقسام وتوسع نطاقه ونظمت اقسامه تنظيمياً يسمح بتتبع ما فيها من الآثار

الآثار العربية — العناية بالآثار العربية حديثة العهد . اذ ان الفن الاسلامي لم يثر اهتمام العالم الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ويرجع الفضل في ايجاد متحف للآثار العربية الى سمو الخديو اسماعيل . وقد تم انشاء هذا المتحف فعلاً ووضعت المجموعات الاولى منه في مسجد « الحاكم » ثم شكلت لجنة لحفظ الآثار العربية قامت باعمال باهرة في سبيل انقاذ المساجد العديدة والمنازل الاثرية من التلف . وفي عام ١٩٠٣ شيد بناء خاص بالمتحف العربي تعرض فيه مجموعات الثمينة وقد اتسع نطاق هذا المتحف اتساعاً كبيراً فقد كان عدد قطعه المعروضة في عام ١٩٢٥ نحو ٧٠٠٠ قطعة فأصبح عددها اليوم ١٢٠٠٠ قطعة من الرخام والاحجار والاواني والخشب المطعم والنحاس والفسيفساء والاقمشة والسجاجيد والخطوط العربية ومصايح الزجاج المشقولة بالميناء وهو يزداد شأنًا بما يمنحه المصريون وعلى رأسهم الاسرة المالكة من هبات اثرية كالهبة الجليلة القدر التي تفضل جلالة الملك باهدائها اخيراً اليه

١١ — البعثات

أُرسلت البعثات الى اوربا منذ عهد محمد علي الكبير ولكن نهضة البلاد استلزمت الاكثار من ايفاد البعثات الى اوربا لتهيئة العدد الكافي من الاختصاصيين في مختلف مرافق الدولة حتى اصبح عددهم في سنة ١٩٢٨ (٥٤٤) عضواً

ولهذا وضع نظام ثابت للبعثات فألفت اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة من اعضاء يمثلون مختلف الوزارات تحت رئاسة وزير المعارف ولتقرير ما تراه بشأن كل منها من حيث وجوبها والبلاد الواجب الايفاد اليها والدراسة التي تتبع واختيار طلبة البعثة والشروط الواجب توفرها فيهم . فزيد التدقيق في اختيار البعثات وقصرها على ما يراه به استكمال دراسة

علمية او عملية خاصة . او حذق صناعة مما لا يتوافر في مصر وهذا اصبح عدد اعضاء البعثات اليوم ٢٣١ عضواً . على ان بعثات الجامعة المصرية ما زالت مطردة الزيادة لامتداد كلياتها بالاساتذة الحاصلين على اعلى الشهادات في الفروع المتخصصة فيها

وقد قبلت الحكومة الفرنسية — السماح للطلبة المصريين الحاصلين على الدكتوراه في الحقوق بان يدخلوا مسابقة « الاجريجاسيون » لنيل لقب « اجريجي » في القانون كما ان بعض الجامعات في انجلترا مثل جامعة كمبرج وجامعة ادنبره تعترف بدرجات الجامعة المصرية مما كان له اكبر الفضل في تمكين اعضاء بعثة الجامعة من التحضير للدرجات العليا في وقت قصير مما انتج احسن الاثر في تقوية الرابطة واحكام الصلة مع تلك الجامعات

١٢ — الجامع الازهر والمعاهد الدينية

للجامع الازهر مكانة سامية بين جامعات الشرق حيث يؤمه الطلاب من جميع البلاد الاسلامية ويتزود بالعلم فيه آلاف عديدة من ابناء البلاد المصرية وكان لهذه المكانة اثرها في تنظيم هذا الجامع والمعاهد الدينية الملحقه به فأصبحت تدرس فيه العلوم الحديثة بجانب علوم الدين واللغة وانشئت فيه كليات للدراسة العالية وأقسام للتخصص فيها كما انشئت بالازهر وملحقاته ابنية فخمة على احدث طراز في الجامعات تهيب للدراسة في مراحلها المختلفة وأبنية اخرى لسكنى الطلاب وللادارة والمحاضرات والمكتبة ومستشفى للطلاب وقد صدرت القوانين المنظمة للازهر والكليات والمعاهد الملحقه فأدخلت بذلك تعديلات واسعة النطاق في قانونه شملت الاقسام الابتدائية والثانوية والعالية وأقسام التخصص . وأساس هذه التعديلات الرغبة الاكيدة في رفع مستوى التعليم في الازهر وجعله — بجانب كونه اعظم جامعة دينية اسلامية — يتمشى مع روح العصر الحاضر بما يوفر عند الطلاب مجال البحث والاستنباط ويعينهم على تفهم اسرار الاحكام الشرعية ويعدهم ليكونوا رجالاً يستطيعون الاضطلاع بالعبء الكبير الملقى على عواتقهم في خدمة اللغة والدين والقضاء . وكان لهذه العناية الكبرى بالازهر ومراقبه اثرها في رفع ميزانيته في العهد الاخير من سبعين الفأمن الجبهات الى مائتين وستين الفاً ويبلغ عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية حوالي عشرة آلاف وعدد طلبة التخصص من العلماء ٣٠١ وعدد المدرسين ٦٢٠ . ومن بين طلبة الازهر حوالي سبعمائة من الغرباء الوافدين من جاوة والهند والصين والافغان والتركستان والناضول والشام وبلاد العرب والصومال وجنوب افريقيا وأميركا

تطور حياتنا العقلية

لاصغر لطفى السبير باشا

مدير الجامعة المصرية ووزير المعارف سابقاً

س ١ — ما هي اهم مظاهر الخلاف بين الحياة العقلية لهذا الجيل الذي تشرفون على تنشئته وبين الجيل الذي عشم فيه كطلاب يتلقون العلم ؟

س ٢ — ما هو الفرق في الدراسات العلمية بين الاساليب الجامعية الحاضرة ، وبين اسلوب الجامعة الاهلية التي ورثها هذه الجامعة ؟

س ٣ — ما هي الطريقة المثالية التي تقترحون أن تكون عليها الصلة بين حياتنا العلمية وبين الحكومة

ج ١ — الجيل الذي عشنا فيه كانت الفكرة العامة عند الطلبة وعند أولياء أمورهم هي الفكرة التي حدت بالحكومة وقتئذ إلى إنشاء درجات مختلفة للتعليم ، وهي إعداد موظفين يقومون بإدارة الماكينة الكبرى للحكومة سواء أكان ذلك في مدارس الحقوق أم الهندسة أم الطب الخ الخ ولم يكن يخلو من هذه الفكرة بعض الخلو إلا الجامع الأزهر فلقد شهدت فيه طلبة يقضون عمرهم في تعلم العلم للعلم وتبركا به ، وحسبة له ، وزلفى إلى الله تعالى . وإن كانت فكرة اتخاذ العلم طريقة لجلب الرزق لم تكن غريبة عن أذهان بعض طلبة الأزهر . لكن ذلك كان على قلة لا على كثرة

هذا هو الفرق الاساسي بين فكرة التعليم في ذلك الجيل وبين الفكرة فيه الآن وهي الفكرة القائمة على أن يكون الغرض منه التعليم لا الاداة للاستخدام في الحكومة بل تكوين جيل جديد له من التريبة الاصلاحية والمساكنة العلمية ما يسمح له بالمزاومة بنجاح في الحياة العملية غير أن أفكار الناس — كما تعرف — لا تتغير من الققيض إلى النقيض في زمن محدود ، بل الفكرة القديمة لا تزال تعتز في الجيل الحاضر مع الفكرة الجديدة ولا يزال أولياء أمور الطلبة

يشون مع الاسف في نفوس أبنائهم أنهم إنما يعلمونهم ليعدهم للحكومة ولكن من اولياء الطلبة من يعلم ابنه ليحسن التكوين ويتم عليه ملكاته ، وينمي مواهبه . وعلى ما أرى أن هذه الفكرة هي القائمة الآن في نفس الحكومات المتتالية التي تلي أمر مصر في هذا الحيل اذ ينفقون على العلم بسخاء ، مع ان الحكومات تكاد تستوفي ما يلزمها من المتعلمين هذا هو الخلاف على نحو عام ، ولكن الانحاء الخاصة المتعلقة بخطط التعليم وبرامجها تخالف بعض الشيء الخطط والبرامج القديمة تبعاً لتغاير الفكرتين الاساسيتين اللتين تسودان التعليم في الحينين

ج ٢ — الجامعة القديمة الاهلية لم تكن الا محاولة لايجاد جامعة بالمعنى الخاص ، ولذلك ليس بين الاسلوين في التعليم فرق جوهري

ج ٣ — الواقع ان لي مذهباً خاصاً في هذا المعنى يرجع الى ما درجت عليه من اعتناق مذهب سياسي خاص هو مذهب « اللبرالزم » اي مذهب اهل السباح ان شئت وحسن اعتقادي في هذا المذهب الذي يقوي حرية الفرد ، ويكره ان تتسلط عليه الجماعة الا عند الضرورة القصوى للاجتماع ، ويحدّ حرية الحكومة لا في التشريع فحسب بل في المداخلة في الاعمال العامة هذا المذهب قد يقتضي مثاله الأعلى ان تقتصر الحكومة على مرافق ثلاثة من مرافق البلاد :

١ — الدفاع عن البلاد في الخارج بالحيش

٢ — والقيام على الامن العام بالبوليس

٣ — واقامة العدل بين الناس بالقضاء

وما عدا ذلك من مرافق الدولة كالتعليم العام ، والصحة العامة والاشغال « العمومية » كل ذلك ينبغي ان يكون من عمل الافراد والشركات والجمعيات الحرة . وكنت اعتبر ولا ازال اعتبر ان تدخل الحكومة فيه سببه الضرورة اي عدم وجود من يقوم به . ولكن مع الاسف ارى ان مذهبنا هذا قد انهار في جميع انحاء العالم رأساً على عقب وطاف بالعالم طائف من الاشتراكية بأنواعها المختلفة يجعل الحكومة تضع أنفسها في كل شيء حتى في داخل البيوت ، ولا سبيل الى الوقوف في هذا التيار الجارف . فاذا سمعني اقول باستقلال الجامعة ، واذا سمعت الحكومة تقول باستقلال معهد فاروق ، فذلك ليس الا استقلالاً نسبياً ما دامت الضرورة من ناحية ، « والمودة » العالمية من ناحية اخرى تعطي الحكومة حق التدخل في كل شيء

فالصلة المثالية التي تسأل عنها صعوبة التحديد ما دامت الحكومة هي التي تنفق من خزانة الدولة على التعليم العام ، وما دامت الافكار العالمية متجهة ذلك الاتجاه الذي ذكرت

تطور التعليم

في الازهر

لفضيلة الاستاذ الاكبر

محمد مصطفى المراغى

١ — شعر المهيمنون على التعليم في الازهر منذ وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ بأن الازهر أخذ يضيع أهم خصائصه ومميزات تعليمه ولم تخل تقارير لجان الامتحان ولا تقارير المفتشين في سنة من السنوات من الشكوى من اعتماد التلاميذ على الاستظهار ومن ضعف ملكاتهم العلمية وقد توالى على هذا القانون تعديلات آخرها التعديل الذي ادخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طرأ عليه في هذا القانون قسم التعليم العالي الى ثلاث كليات واحدة لعلوم اصول الدين وثانية لعلوم الشريعة وثالثة لعلوم اللغة العربية ووجد تخصص سمي تخصص المادة وآخر سمي تخصص المهنة. وقد كان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ في التعليم العالي والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التي كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر اتقان الدرس والفهم واتقان التحصيل ، ومع هذا ظلت الشكوى قائمة وظهر ان الداء الذي يجب ان يحسم ويستأصل هو ضعف التلاميذ في القسم الثانوي بسبب كثرة المواد وبسبب طول المناهج في بعض المواد التي لا يحتاج الطالب في الازهر الى طول المناهج فيها فهذه الكثرة وهذا الطول لم يدع وقتاً لهضم الدروس وتمثلها ولم يدع وقتاً لطول التفكير والبحث والجدل وتسمية ملكات العلوم والاستنباط

٢ — وقد يعيننا على تصوير الحقيقة في هذا الموضوع وعلى الحكم بأن القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ كان ضرره اكبر من نفعه ان نرجع الى الماضي قليلاً ونستطلع ما كان عليه الازهر فقبل القانون الصادر بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (اول يوليو سنة ١٨٩٦) كانت العلوم التي تدرس في الازهر ويتمحن الطلبة فيها لنيل شهادة العالمية هي : — الاصول — الفقه — التوحيد — الحديث — التفسير — النحو — الصرف — المعاني — البيان — البديع — المنطق وكان الطلبة يقضون في تحصيلها مدداً طويلة اقلها خمس عشرة سنة ولا حداً لاكثرها ومع أنها كانت تدرس في كتب سقيمة من المختصرات التي لا تفهم إلا بشروح وحواشي والتي تحتاج

الى جهد شاق في حل ألفاظها وبيان وجه دلالتها وتصحيح وجوه هذه الدلالة فان الطلبة كانوا يقدرّون على الاستقلال بدراسة الكتب ويقدرّون على فهمها وكانت تنمو فيهم ملكات البحث والجدل ، نعم أنهم على الجملة كانوا بعيدين عن الاساليب العربية في الكتابة والخطابة بعيدين عن تذوق أسرارها غير متصلين بأسرار الدين اتصالاً وثيقاً فإن دراسة الفقه كانت دراسة جافة ودراسة التفسير والحديث كانت دراسة ضعيفة ودراسة علوم البلاغة كانت قاصرة على كتب غمرتها الفلسفة وبعدت في أساليبها عن الاساليب العربية ، وأكثر من هذا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن المعارف الضرورية التي لا يسع أحداً جهلها في هذا العصر مثل الجغرافيا والتاريخ ومبادئ الهندسة والحساب ومبادئ الطبيعة والكيمياء

والازهر كما هو معلوم قبله أنظار المسلمين في العالم يقد إليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها واسمه يدوي في الآفاق والحكومة في حاجة إليه لأنه ينبوع الذي يؤخذ منه القضاء والمفتون ٣ — كل هذا كان سبباً في حرص الغيورين من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلمس وجوه الإصلاح ولم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية ولم يكن من الجائر أن يسلك في إصلاحه ما يسلك في تنظيم المدارس المدنية ، بل كان يجب أن يتأوله الإصلاح برفق وأن يكون بإضافة القدر الضروري من المعارف وبإصلاح طريقة التعليم وباختيار الكتب وتوجيه هذه القوى الحيّارة الى جوهر العلم وأسرار الدين وأسرار العربية وهذا الذي أشرت إليه هو الذي لاحظته واضعو قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بأنهاض الأزهر وكان من حسن الحظ إذ ذاك أن الذي قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خالصت نيّتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيذ وهم المشايخ حسونه التواوي. محمد عبده. سليم البشري. عبد الكريم سلمان. سليمان العبد. أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه أضاف هذا القانون مواد جديدة هي الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية وجعل التاريخ الاسلامي والانشاء ومتن اللغة ومبادئ الهندسة وتقوم البلدان مواد يفضل محصلها غيره ويقدم عليه ، وفك التقيّد بكتب دون أخرى وحرّم قراءة الحواشي في السنوات الاربع الأولى وحرّم التقارير التي على الحواشي وجعل من اختصاص مجلس الادارة أن يعدل في مواد التعليم طبقاً لما يراه من المصلحة

سار الازهر على هذا النظام عشر سنوات سيراً متّداً متزناً لم تطغ فيه المواد الجديدة على المواد القديمة لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الازهر ونشطت دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية وبما كان ينشر فيهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده في دروسه ومجتمعاته وانقرط عقد النظام بخروج الشيخ عبده من مجلس الادارة ثم بوفاته سنة ١٩٠٥ رضي الله عنه

٤ — جدد بعد ذلك أحداث وفتن وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء فصدر بها قانون في سنة ١٩٠٧ وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت في غنى عنهم لأن لها مدرسة لتخرج معلمي العربية في مدارسها ومعاهدها ومدرسة لتخريج القضاء وخاف القائمون على الأزهر من تقلص شأنه ومن عدم إقبال الناس عليه حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة والخطابة في المساجد ولم يبق طلاب العلوم الدينية على عهدهم الأول يطلبون العلم للعلم وابتغاء رضوان الله بل جدد فيهم نزعات التمتع بالحياة الدنيا وأصبحوا لا يقنعون بالرزق القليل الذي كان يجري عليهم من ريع الاوقاف المحبسة ففكروا وفكر الناس معهم في إعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول وانتهى الأمر بهم الى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الاقبال على الأزهر ووجدت معاهد أخرى في عواصم المديرية وبعض المحافظات جرت على نهجه وسرت عليها نظمه حتى صار عدد الطلاب في سنة ١٩١٧ أكثر من عشرين ألفاً

٥ — كثر عدد الطلاب وكثرت المعاهد وتنافست في نتائج الامتحان وكل معهد يحاول ان يسبق غيره من المعاهد لا في إتقان الدراسة ولكن في إعداد الناجحين ولم يكن من الميسور أن يكون كل المعلمين لهذه الاعداد الكثيرة وعلى هذه النظم الجديدة من الكفاية بحيث تكون النتائج مرضية واضطر الطلاب ليفوزوا بالنجاح في الامتحان التحريري الى ان يعتمدوا على الحفظ والاستظهار واستهانت المعاهد بالامتحان الشفوي فتغيرت المعالم في الأزهر وفقد الطلاب أهم مميزاتهم وخصائصهم التي أسلفناها صدر البحث

٦ — ونحن إذ نحاول اصلاح الأزهر نريد ان نوجد طالباً يفهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها وصلتها ببعضها ويستطيع التطبيق على الجزئيات ويستطيع الاستنباط والتدليل ويستطيع فهم الكتب القديمة التي ألقت في العصور المختلفة في جميع الفنون الاسلامية واني على بغضي لا كثر الكتب التي ألقت في العصور المتأخرة أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها لان فيها خيراً كثيراً ودقائق لا يصح الجهل بها لذلك أحب ان يستطيع الطلاب فهمها ويقدرها على حلها . نعم اني لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب بل أحب ان توجد كتب في جميع الفنون حديثة على أسلوب عربي صحيح مناسب لأذواق الاجيال الحاضرة تهذب فيها المسائل على أحسن ما وصل اليه التحقيق العلمي ، وأن تحيا الكتب القديمة الحيدة في الاسلوب والوضع فهذا الميراث العظيم يجب ان يؤخذ كله ساسلة متصلة الحلقات هذا الذي نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم وأن يجدوا للوصول اليه وهو غاية يقل في جانبها كل جهد ويرخص في سبيلها كل ما يبذل للوصول اليها

٧ — ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم فلم يمض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند واستعانوا بذلك كله في تفسير القرآن وفي وضع علم الكلام على الاسس التي نراها في مثل المواقف والمقاصد واستعانوا به في تنظيم مسائل العلوم جميعها فلم يخل علم من اثر للفلسفة والمنطق ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب في التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة وقد أخذ العلم يسير في هذا العصر سيرة جديدة وتغيرت نظريات الفلسفة وجدت نظريات أخرى وكان من شأن ذلك كله ان توجه حملة على الاديان جملة وعلى الاسلام خاصة وصار من الواجب الحث على العلماء المسلمين أن يحيطوا علماً بكل ما يوجه الى الاديان عامة والى الاسلام خاصة من مطاعن وان يردوا تلك المطاعن ويذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة وأسلوب مقنع تمتع ليقوا المتعلمين تعليماً مدينياً في حظيرة الاسلام وليضموا اليه افراداً وشعوباً من الامم التي لها قدم راسخ في العلم وهذا لا يتم لهم على ما ينبغي الا بالاتصال بغيرهم اتصالاً علمياً وتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ومسائل اللغة العربية لذلك وجب أن يكون لاهل الازهر نصيب من هذه اللغات وأن تدرس تلك اللغات لأهلها ، وهناك فائدة أخرى لتعلم اللغات وهي انها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب وعلى معرفة الاسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على انظار المتعلمين

٨ — قلنا في الفقرة (٢) ان ضرر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ أكبر من نفعه والان نقول انه لم يخل من الفائدة لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادئ الطبيعة والكيمياء قرب تلاميذ الازهر من تلاميذ المعاهد الاخرى وغير عقليتهم ووسع أفقهم وجعلهم ينظرون الى غيرهم نظرة غير النظرة الاولى أيام كان الازهري لا يرى أحداً أهلاً للعلم غيره ولا يرى أحداً يصح ان يطلق عليه لقب عالم غيره ، وادخل المطالعة والمحفوظات والانشاء أوجد من اهل الازهر عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ ، نعم ان الرقي العام في المجتمع المصري وفي الصحافة وفي الكتب المؤلفة حديثاً وكثرة المطبوعات القديمة القيمة له احسن الاثر فيما نراه من اثر لصلاحهم لكن مما لا شبهة فيه ان الدراسة لها الفضل الاكبر

٩ — ولا ندعي أن اصلاح القانون وتنفيذ هذا المشروع يحقق الاغراض التي نرمي اليها ويوجد الطالب الازهري الذي نبتغيه بل أن الذي يحقق هذه الاغراض الرغبة الصادقة في التعلم والعزيمة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعليم في هدوء وطأنينة والايمان بأن العلم عزيز يقتنى وحلية للنفس ومتمعة للعقل وجمال لمن يتصف به . والحرص على الافادة والتعليم والايمان بأن ذلك فرض للعلم واجب لله ولرسوله وللمؤمنين والشعور بلذة الاتفاق من العلم وأن الاتفاق منه يزيد في الثروة ويشبع هم النفس التواقفة الى الفنى وأن هذه الثروة خير مما هو مخزون في خزائن الاغنياء

التعليم الجامعي

للدكتور طه حسين

اخص ما يعنيني من ألوان التطور التي مست التعليم منذ أعلن الاستقلال السياسي لون واحد هو مضي التعليم في السبيل الجامعية . وأريد بهذه السبيل شيئين : احدهما يتصل بالتعليم نفسه والآخر يتصل بالمعلم

وظاهر جداً ان انشاء الجامعة قد احدث في حياتنا التعليمية حدثاً عظيماً ظهرت بوادر آثاره ولكنها ستظهر قوية واضحة بعد زمن ما . وهذا الحدث هو فرض حرية الرأي على المثقفين المصريين . فقد ادخلت مناهج البحث الحر عن حقائق العلم والادب لأول مرة في التاريخ المصري الحديث وانتجت هذه المناهج ما لم يكن بد من انتاجه من الاضطراب ، فتعرضت الجامعة لكثير من المقاومة الشعبية والحكومية ، ولكنها انتهت آخر الامر الى شيء من الفوز ان لم يكن واضحاً كل الوضوح فهو محقق وسيزداد مع الزمن

وليس من شك في ان الرأي العام المصري قد اقتنع الآن بان الرأي العلمي والادبي يجب ان يستمتع بحظ عظيم جداً من الحرية والذين يقاومون هذه الحرية الى الآن انما يقاومونها على استحياء وفي شيء من الحيلة والتحفظ . فمن الممكن الآن ان يقال ان المناهج الجامعية قد فازت بالاستئثار بالعقل المصري ولا بد من الانتظار لنرى نتائج هذا الفوز . فلم تكن المرحلة الاولى من حياة الجامعة الا مرحلة صراع ودفاع قد انتصرت فيهما من غير شك اما من جهة المعلم ، فليس اثر الجامعة اقل خطراً . فقد ألغيت مدرسة المعلمين ، وقامت

الجامعة مقامها في اعداد المعلم وتثقيفه الثقافية العلمية والادبية ومعنى هذا ان التعليم الحر الطلق القائم على البحث الدقيق قد قام مقام التعليم المقيد الجامد المحصور بين دفتي البرامج الخاضع للتفتيش ، وسلطان المفتشين . وقد لا تظهر آثار هذا التطور الآن لان الذين اخرجتهم الجامعة لم يصلوا بعد الى مناصب التعليم . ولا ينتظر ان يصلوا اليها قبل زمن يقصر او يطول

ولكن هذه الآثار ستظهر جلية من غير شك يوم يتاح للجامعيين ان ينهضوا بمهمة التعليم في المدارس الثانوية . وستكون هذه الآثار خيراً كلها . وسيكون اظهرها ان المعلم الحر سينشئ تلميذاً حراً . وان العقل الطلق سيهيء عقولاً طليقة

وواضح ان الفكرة الجامعية تلقى من هذه الناحية مقاومة كالتى لقيتها من الناحية الاخرى ولكن هذه المقاومة التى يشقى بها الجامعيون مقاومة ماكرة خفية يدبرها اصحابها فيحسنون التدبير دفاعاً عن انفسهم ليست لها ما كان للمقاومة الاولى من الصراحة والتصوير لطبيعة الاشياء فالجامعيون الآن يُصدّون عن التعليم لان التعليم ليس في حاجة اليهم بل لانهم جامعيون يشفق منهم ممثلو النظام القديم على انفسهم ومكاناتهم وهذا الشقاء المؤقت الذى يحتمله الجامعيون هو مظهر واضح لقوتهم الحقيقية ، واي قوة اقوى من ان تكون مخوفاً تنق ، ويدبر لك الكيد وهناك مقاومة اخرى شديدة الخطر على الجامعيين ، وهى تأتي من خضوع معهد التربية للنظام البيروقراطي العتيق في وزارة المعارف ، فقد انشئ هذا المعهد بعد الغاء مدرسة المعلمين ليكون ملائماً للحياة الجامعية الجديدة ولكن الخطأ الاول كان في اتباع هذا المعهد لوزارة المعارف لا للجامعة . ذلك ان القديم لا ينشئ جديداً ، وان القيود لا تنشئ حرية ، فلم يكن بد من ان يتأثر معهد التربية في نظمه وتعليمه بكل ما في وزارة المعارف من عيب

ومن حيث إن الجامعيين يقضون في هذا المعهد سنتين ، فهم معرضون فيه لبعض الشيء ولكن طبيعتهم الجامعية إلى الآن قد خرجت من هذه المحنة ظافرة ، محتفظة بجامعيّتها وانا واثق بأن التطور الذى ضم الهندسة والزراعة والتجارة إلى الجامعة سينتهي حتماً بضم معهد التربية ايضاً إلى الجامعة ويومئذ يتم النصر للفكرة الجامعية في التعليم ، وفي اعداد المعلمين والزمن وحده كفيل — ولكنه كفيل بالتحقيق لا بالظن — ان يمكن للجامعيين فيسيطروا على التعليم الثانوي . ويومئذ تستطيع مصر ان تنتظر من التعليم الجديد الخير كل الخير

البحث العلمي

في مصر

للككتور على مصطفى مشرفة

استاذ الرياضة التطبيقية بكلية العلوم

ليس البحث العلمي غريباً عن ديارنا فهي مهده الذي نشأ فيه وترعرع وهي بيته الذي آواه في عصور متعددة . واليوم يعود العلم إلينا بعد غيبة طويلة ثنا أخلقنا بأن نعى بأمره وزعاه . وما أجدره بأن يستقر بيننا ويطيب له المقام . ففي مصر اليوم نفر غير قليل من المشتغلين بالعلوم يلذ لهم البحث والاستقصاء ومنهم من يوفق إلى الكشف عما خفي من المسائل العلمية والاضافة الى المعرفة البشرية كما يفعل اقرانهم من علماء الامم المتحضرة . الا انني لا أخفي على القارئ أنني غير مرتاح الى حال هؤلاء العلماء والقادة المفكرين غير مطمئن على مصير الجهود التي يبذلونها . ذلك ان هذه الجهود قد أتت في الواقع ونفس الامر نتيجة لبعض ظروف استثنائية في تاريخنا المعاصر كان من شأنها أن حملت بعض الافراد على مغالبة النظم الموضوعية والتغلب عليها . ولكي يفهم القارئ كيفية ذلك سأرجع به الى قبيل الحرب العظمى منذ نحو خمس وعشرين سنة . ففي ذلك الوقت كانت وزارة المعارف ترسل بعوثها الى خارج القطر وتحرّم على اعضاء هذه البعث أن يتنظموا في الجامعات أو ان يدرسوا لنيل الدرجات الجامعية . ثم حدث أن ثارت نفس أحد هؤلاء الطلاب على هذا الحرمان فعارض مشيئة الوزارة وخرج على طاعتها ودخل الامتحان الجامعي ونال الدرجة فعاد الى مصر واضطهد ايما اضطهاد الا أن خطوته الجريئة كانت خطوة لا مرجع فيها فاضطرت وزارة المعارف اضطراراً الى ان تسمح لسائر اعضاء البعثات بالحصول على الدرجة الجامعية التي حصل هو عليها ولكنها أصرت وتشبثت بأن لا يتعدى أحد هذه الدرجة مهما تكن قدرته ومهما يكن استعداده ثم حدث أن ثار عضو آخر من اعضاء البعثات على هذا التقييد

فخدمته نفسه أن يتعدى مرحلة الدرس والامتحان الى مرحلة البحث والابتكار فقيّض له النجاح على الرغم من الوزارة وعلى الرغم من تعنتها. وجاراه في ذلك نفر قليل ممن طمحت نفوسهم الى ان يكونوا علماء باحثين . هؤلاء النفر القليل ومن على شاكلتهم هم القائمون بالبحث العلمي في مصر اليوم وهم الذين قلت عنهم إن ظروفًا استثنائية حملتهم على مغالبة النظم الموضوعية والتغلب عليها . فالمسألة كما يرى القارئ لم تخرج عن حد بعض مغامرات ناجحة ، وبعض جهود فردية صادف ان لاقت نجاحاً . صحيح انه بانشاء الجامعة المصرية قد وجدت بيئة صالحة لبعض الشيء لنمو هذه الجهود وتقدمها الا أننا نكون خادعين لانفسنا اذا تصورنا ان النظم والوسائل الحالية كفيلة بازدهار البحث العلمي في مصر او بتقويته . بل اني كثيراً ما اشعر بأن ما حدث ربما كان مجرد حركة وقتية ما لها الزوال السريع في حيل او حيلين . وتاريخنا الحديث مفعم بمثل هذه النهضات القصيرة الاّ جال كبارقة الامل لا تلبث ان تزول بل ان مثل هذه النهضة الزائلة هي بالضبط ما حدث اثر البعوث العلمية التي بعثها ساكن الجنان محمد علي باشا إلى اوربا منذ اربعة أجيال ذلك انه لكي تنمو هذه الجهود وتزدهر يجب ان توضع لها النظم الكفيلة بحسن رعايتها وان تتكوّن لها اسس ثابتة تقوم عليها . فالبحث العلمي ككل مجهود آخر في المجتمع الحديث لا يمكن ان يترك امره للصدفة او للجهود الفردية المتشعبة . والى القارئ بعض الوسائل التي لا مفر من اتخاذها اذا شئنا أن نقوم بقسطنا من البحث العلمي بين الامم المتحضرة : —

(اولاً) انشاء مجمع لتقدم العلوم يضم الباحثين والمبتكرين في مختلف العلوم

(ثانياً) انشاء مجلس اعلى للبحوث العلمية تكون مهمته تشجيع البحث العلمي ورصد الاموال عليه وربط فروع المتعددة وتوجيه البحوث التطبيقية والفنية للمصلحة القومية والمصلحة العامة (ثالثاً) العمل على ايجاد صلات علمية بين مصر والبلاد الاخرى عن طريق الهيئات الدولية القائمة وانشاء لجنة دائمة لهذا الغرض

هذه امور ثلاثة اساسها تقدير البحث العلمي والعلماء الباحثين تقديرًا صحيحاً فاما وجد هذا التقدير وتبعه التنظيم الذي اشرت اليه فصارت شجرة البحث العلمي شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء او بقي الحال على ما هو عليه الآن واذن فقد اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار

المدارس في ربع قرن

من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٠

للامين سامي باشا

طرحنا على صاحب السعادة امين سامي باشا سؤالنا عن تطور التعليم في مصر ، واخترنا ان ننشر هذا البحث والاحصاء المرفق به لسعادته عن التعليم في فترة ربع القرن السابق على القرن العشرين اي من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٩٠٠ . ولاشك ان امين سامي باشا يعد من أئمة الباحثين في هذه الموضوعات بل يعد مؤلفه « التعليم في مصر » والبحوث الشتى التي اجراها في هذا الموضوع المرجع الاول عن شؤون التعليم حتى سني الحرب الماضية

في عهد الخديوي توفيق

في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ تولى الخديوي توفيق أمر البلاد ، وفي ٢١ سبتمبر من هذه السنة عين المرحوم رياض باشا رئيساً لمجلس الوزراء وبقي المرحوم علي باشا ابراهيم ناظراً للمعارف وفي شهر مايو سنة ١٨٨٠ قدم تقريراً لرأسه مجلس النظار طالب فيه باصلاح التعليم لاسباب منها « ان المصالح الاميرية التي لم يمكنها ان تحصل على توظيف اشخاص بلغوا درجة اكمال التعليم تضطر ان توظف في اكثر الاحوال بعض تلامذة في خدمات ليسوا اهلاً لها ، ولا وصلوا الى درجة الاستعداد اللازم . ولا يمكن ان يجبر هذا الخلل إلا باتساع دائرة التعليم الابتدائي والمتوسط واعطاء الشهادات الدراسية التي لم يصرح للمدارس باعطائها للتلاميذ الى وقتنا هذا » وقد أقر مجلس النظار مذكرة ناظر المعارف ، وما اشتملت عليه من مقترحات ورفع خطاباً للخديوي يلتمس فيه تشكيل قوميون (لجنة) للنظر في رسم الخطة المثلى للتعليم وتألف القوميسيون فعلاً في نهاية ذلك العام واعد تقريراً صدره بالرأي الآتي :

« بعد ان فحص احصاء التعليم السابق درجه عن سنة ١٨٧٥ بمشروعنا هذا وقارنه بسكان القطر الوطنيين وقتها البالغ عددهم ٥٢٨٧.٢٥١ نفساً قال ان هذا يدل على نقص كلي في التعليم الابتدائي الحالي ذي الدرجة المنخفضة ، والتعليم بالكتاتيب فانه ناقص من جهة ، ولا قيمة

له من جهة أخرى» وتتلخص اقتراحاته في زيادة عدد المدارس واعداد المدرسين وفي ٢٨ مارس سنة ١٨٨١ صدر الامر العالي بتشكيل المجلس العالي للتعليم، واختص بالاشراف على جميع مسائل التعليم وفي ختام سنة ١٨٨٥ قدمت نظارة المعارف لأول مرة تقريراً للخديوي ضمنه تفاصيل الاصلاحات التي اجريت في تلك النظارة خلال تلك السنة

واهم تلك الاصلاحات انها وضعت بروجرامات للتعليم الابتدائي والثانوي وأرسلت للمدارس الابتدائية والثانوية للسير على مقتضاها على سبيل التجربة وطلبت من مدرسيها ابداء ملحوظاتهم عليها. وراعت في وضع تلك البروجرامات ما حصل من التقدم في امور التعليم في اوربا في هذه الايام واسفت لانه لم يتيسر لها ادخال التعديلات في بروجرامات التعليم العالي لان كل مدرسة من مدارسها انشئت لغرض مخصوص فلذلك وضعت بروجرامات تلك المدارس ونظاماتها تحت البحث والنظر وستعرض بعد اتمامها على اولى خبرة يفحصونها فحسباً لتقيل هذا التعليم من عثراته وتنشله من وهدهته، وتجعله في الحالة المرغوب فيها حتى تنتج هذه المدارس كل الفوائد التي يتيسر لها انتاجها مع مراعاة الاحوال الخصوصية لهذه البلاد

وقد تم في السنة التالية هذا الاصلاح بانشاء قومسيون جديد بالاتفاق مع نظارة الاشغال فسن قانوناً وبروجراماً لمدرسة المهندسخانة . وفي ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٦ صدر قرار نظارة المعارف بناء على ما قرره مجلس النظار بالتصديق على قانون لمدرسة الحقوق تقضي المادة التاسعة عشرة منه « باعطاء دبلومات رسمية من الحكومة المصرية للممتحنين بها وان تنشر اسماء الناجحين في الجريدة الرسمية » وهو اول قانون قضى باعطاء دبلومات للممتحنين بتلك المدرسة

وقد ورد بتقرير امتحان تلامذة مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥، وسنة ١٨٨٦ المكتنية الفقرة الآتية « وعلى ذلك فلا يطول بنا الزمن حتى نرى من تلامذة هذه المدرسة من يعادل اعظم تلامذة مدارس اوربا » وفي ٢٤ ابريل سنة ١٨٨٦ صودق على بروجرام مدرسة المعلمين التي سميت فيما بعد بمدرسة المعلمين التوفيقية. وفيها رتببت لأول مرة درجات موظفي نظارة المعارف ومدرسيها وجعل اول مبدأ لاول درجة للمدرسين ٤ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٢٥ جنيهاً واول درجة للضباط ٥ جنيهات وأعلى درجة ٨ ١/٢ جنيهات في الشهر، واول درجة للنظار ٨ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٥٢ جنيهاً في الشهر . وفي ٨ فبراير من سنة ١٨٨٧ بناء على ما قرره مجلس النظار صدر قرار باعتماد قانون مدرسة الفنون والصنائع. وفي هذه السنة نفسها نظمت الدراسة الثانوية وتقرر اعطاء شهادة لها وكان من نتيجة هذا التنظيم ان قبلت المدارس الاجنبية وغيرها بالتدرج اتباع خطة التعليم الثانوي بمدارس الحكومة او خطة تقرب من خطتها

وكانت الشهادة الثانوية حتى سنة ١٩٠٦ عامة ثم قسمت المواد الى قسمين . ادبي وعلمي

وفيما يلي بيان بعدد الحاصلين على الشهادة منذ وجدت حتى الحرب العالمية ومنه يتضح مدى التطور الذي لحق بهذا النوع من التعليم

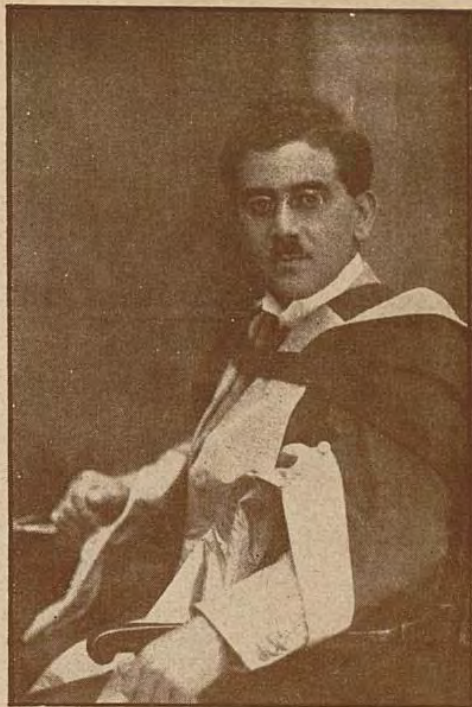
السنة	الشهادة العامة	السنة	الشهادة العامة
١٨٨٧	٤٢	١٩٠٢	١٣١
١٨٨٨	٥٥	١٩٠٣	١٢٥
١٨٨٩	٥٩	١٩٠٤	١٣٦
١٨٩٠	١١٥	١٩٠٥	٧٧
١٨٩١	٢٨		
١٨٩٢	٣٦		
١٨٩٣	٤٢	١٩٠٦	٢٥٧
١٨٩٤	٣٢	١٩٠٧	٥٤
١٨٩٥	٥٤	١٩٠٨	١٢٨
١٨٩٦	٤٢	١٩٠٩	٢٢٨
١٨٩٧	٦٧	١٩١٠	٢٧١
١٨٩٨	٩٨	١٩١١	٢٦٣
١٨٩٩	٧٥	١٩١٢	١٩٥
١٩٠٠	٦٨	١٩١٣	٣٠٧
١٩٠١	٨٢	١٩١٤	٢٤٠

وزاد الاهتمام بمدرسة دار العلوم ، واعدت في سنة ١٨٨٨ لتخرج طلاب يصلحون لوظائف القضاء والافتاء والنيابة بالمحاكم الشرعية . وألحق بهذه المدرسة قسم لتخرج مدرسين أعظم كفاءة واغزر مادة من مؤدبي المكاتب الصغيرة ومن هذه السنة — اي سنة ١٨٨٨ — تقرر تدريس التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية بلغات اجنبية « لتقوية التلاميذ في هذه اللغات » . والفتت فيها مدرسة العميان والخرس . وفي سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ انشئت ست مدارس ابتدائية جديدة ومدرسة صناعية بالمنصورة كما فتحت اول مدرسة زراعية وهي خصوصية بها قسمان داخلي وخارجي ، واعطي لها ٣٠٠ فدان من اراضي الجيزة لتدريب التلاميذ فيها على الاعمال الزراعية . وكذلك حول قلم الترجمة الى مدرسة معلمين على منهج مدرسة المعلمين التوفيقية لتخرج مدرسين يعلمون اللغة الانكليزية

وفي ١٥ فبراير سنة ١٨٩٠ قدم المرحوم علي باشا مبارك مذكرة لتنظيم الكنائس بالطريقة الآتية أولاً — وجود مكتب ابتدائي من الدرجة الثالثة في البلد الذي لا يزيد سكانه عن ١٠٠٠



الركنور طه حسين بك



الركنور على مصطفى مشرفة



اسماعيل مظهر



أمين سعيد

نفس ومكتب من الدرجة الثانية في البلد الذي سكانه يربون عن ١٠٠٠ نفس إلى ٥٠٠٠ نفس ومكتب من الدرجة الاولى في البلد الذي سكانه فوق ذلك

ثانياً — إنشاء ٥٠٠ مكتب في مدة عشر سنوات تصل نفقاتها بعد اتمامها إلى ١٥٠٠٠ جنيه سنوياً
ثالثاً — إشراف مجالس المديريات على هذه الكتابيب وإعانة الحكومة لها بصرف رواتب المعلمين وقد تمت الموافقة على هذه المقترحات ونص على عدم جواز افتتاح مكاتب للتعليم إلا بترخيص يصدر من وزارة المعارف . وفي سنة ١٨٨١ ألقي مجلس التعليم العالي تأليف لجنة علمية استشارية في نظارة المعارف . وفي هذه السنة صدرت لأمانة شهادة الدراسة الابتدائية

في عهد الخديوي عباسي الثاني

صعد الخديوي عباس باشا حلمي الثاني على أريكة الملك في ٨ يناير ١٨٩٢ وقد كثرت زيارته للمدارس وعنايته بإيفاد البعث العلمية . وأمر بإعادة تشكيل مجلس المعارف الأعلى في ٩ مارس ١٨٩٦ وجاء في تقرير اللورد كرومر الصادر في سنة ١٨٩٦ عن حوادث سنة ١٨٩٥ ما ترجمته « وفي اثناء العام الماضي حصل إصلاح مهم في قسم المعلمين المعروف بدار العلوم الذي غايتة ان يرشح طالبيه لأن يكونوا معلمين بلغة هي لغة امتهم ولسان قومهم . وكان ذلك الاصلاح من وجهتيه الادارية والدراسية . فقد جمعت مع اكبر المدارس الابتدائية بالقاهرة واكثرها نجاحاً (الناصرية) وحدة إدارية فأحيلت نظارته على من هو اقدر النظار الوطنيين التابعين لنظارة المعارف حظاً من المهارة والمقدرة » . وانشئت في سنة ١٨٩٦ مدرسة الشرطة (البوليس) والادارة وفي سنة ١٨٩٧ ادخلت في منهج التعليم الابتدائي دراسة الديانة والتهديب والتربية وفي هذه السنة وكلت الحكومة إلى ناظر مدرسة الناصرية (امين باشاسامي) بعمل احصاء رسمي دقيق للكتابيب فكانت النتيجة ما يأتي :

عدد الكتابيب	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
٩٦٤٧	١٤٥٨٣	١٨٠ ٥٤٧
المحافظات	٢٥ ٪	اناث
الوجه البحري	٣٧ ٪	٥٧ ر ٪
الوجه القبلي	٢١ ٪	٣٢ ر ٪

ومما يستحق الذكر هنا ان المستر دجلس دنلوب تعين مفتشاً بنظارة المعارف وتبع ذلك تعيينه سكرتيراً عمومياً للإدارة في ٨ مارس سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٩٠٠ انشئ قسم المعلمات بالمدرسة السنية

العلم والاجتماع

رسالة المقتطف وأثره

لإسماعيل مظهر

أوقف الدكتور يعقوب صروف حياته على خدمة العلم ، متخذاً من المقتطف ، التي تكمل بهذا العدد سنيتها الستين ، ميداناً لجولاته الواسعة ونظراته الثاقبة وجهوده المتواصلة . وإلما يدل على أنه أوقف حياته على العلم ذلك الصبر الطويل والایمان الثابت بما سوف يكون للعلم من شأن في الشرق العربي ، في زمان كان كل ما حوله ظلام دامس ، وجهل مخيم ، وغفلة ضاربة بجراحها على كل نواحي الشرق ، عند ما ارسل من المقتطف اول شعاع من اشعة النور اخترق تلك الظلمات ، وكان ذلك منذ ستين سنة خلون ، حتى فارق هذه الحياة ، وهو مؤمن بقداسة الرسالة التي يؤديها لاهل جيله والاجيال المقبلة ، إيمانه بها منذ ان بدأ العمل لها ويكفي ان تلقي نظرة على الحالات التي قامت في الشرق في اواخر القرن التاسع عشر ، لترى ان الدولة العثمانية ، رجل اوربا المريض ، كانت على فراش الموت تنزع الروح نزاعاً اليماً طويلاً ، ودولات اوربا من حولها كأنهن نسوراً ينبشْنَ جثة هامدة ، فتقتطع منها الهبرة بعد الهبرة ، وتلقم منها العجيزة بعد العجيزة ، والعالم العربي في سبات لاه عن كل ما هو قائم من حوله من شؤون الدنيا ، والجاسوسية تنخر في عظامه ، وسوء الحكم يحلل من اوصاله ، ويضرب في اصوله ، ضرب جبار قوي الاصلاح

قال كاتب تركي : « لقد عودنا ان نلقن باتنا عبيد الملك ، ظل الله من فوق الارض ، وانا له ملك ومتاع . وهذا يتضمن ضرورة الاعتقاد بأنه ليس عندنا من شيء يمكن ان يقاوم خليفة الله المترع من فوق عرش الارض ، وأنه لن يكون نظام اجتماعي أثبت اصولاً من نظامنا ، ولا حياة دينوية أسعد ولا أمتع من حياتنا . بينما كانت الحقائق الملموسة توحى الينا كل حين بان في انحاء مملكتنا فقراً وجوعاً ، وان جزءاً بعد جزء من اطراف عاهلتنا يؤخذ عنوة ورغماً منا ، نهياً واغتصاباً . وكانت لنا حكومة هي أضعف من احط الحكومات الاوربية ، متردية في حمأة الرشوة ، مفككة الاوصال ، مضطربة الاحوال ، بعيدة عن حكم الشرائع والآداب »

في ظل هذه الحكومة نشأ يعقوب صرُوف فأمن بالعلم في بيئة كفرت به ، وآمن بالإنسانية في محيط أنكرها ، وآمن بالعقل في ظل نظام لم يقيم إلا على الشهوات ، بل على أخس الشهوات . وكان من الطبيعي أن لا يجتمع الإيمان بشيء والكفر به في وسط واحد ، فاعتزلهم وهبط مصر ، فحتمه بحرياتها وأوسعت المجال لكفائاته العليا ، فأفرغ في سبيلها كل ما أودعته الطبيعة من قوة الروح وسلامة العقل وقويم الخلق ، وخلف لها من بعده تراثاً تتوارثه الاجيال ثم الاجيال

وفي ذلك الوقت قصر العلم في انحاء العاهلية العثمانية على ما كان يلتقي بين جدران المساجد والتكايا من ضروب البدع التي دخلت الدين الاسلامي الحنيف ، وعكف الفقهاء وطلاب العلم على درس فروع من الفقه الاسلامي مازل بها كتاب ولا جرت بها سنة ولا سلم بها عقل . كأن يدور الحوار بين الفقهاء مثلاً في ان بقرة ولدت عجلاً يتكلم وحفظ القرآن ، أمجوز أن يصلي بالناس جماعة يوم العيد ؟ وهل يصح ذبحه وأكل لحمه بعد ان يؤدي بهم هذا الفرض لإماماً ؟

وفي جو هذه الظلمات التي تساقطت على العالم الشرقي كسفاً شديدة السواد ، اخذ المقتطف يبشر للناس بمذهب النشوء والارتقاء يأخذ بضلع من الملحمة القائمة من حول نظرية النشوء ونظرية الخلق المستقل ، وينقل آراء دارون وهكسلي ويناقش في آراء سنت جورج ميقات مقاومة الغنيد وخصمها اللدود ، وينتصر لنظرية النشوء والقول بان الانسان منحدر من صورة من البشريات احط من صورته التي تلابسه الآن ، والناس يرمونه بالكفر ويقولون بأن المقتطف انما يدعو الى القول بان الانسان اصله قرد ، على الضد مما تقضي به حقائق العلم ونظريات التطور نفسها ، ويشدد اللجاج بين الكتاب ويشمر السيد جمال الدين الافغاني عن ساعده ويمضي مبشراً بمذاهب خرقاء في العلم الطبيعي ويناقش في اشياء لا علم له بحقائقها ولا اتصال لمقافته بها ، ثم ينجلي الغبار الذي يثيره عن أن رأس البرغوث اذا نظر من خلال محجر ظهر كأنه رأس فيل ، فهل يدل ذلك على ان الفيل اصله برغوث تضخم وانتفخ ، ثم تدرج في التضخم والانتفاخ حتى صار فيلاً !!

بمثل هذه الثقافة ، وبهذا القدر من الاستتارة ، كانت تناقش حقائق العلوم الحديثة التي يبشر بها المقتطف لاهل الحيل الماضي . وما كان للذين يميلون هذا الميل في مناقشات تدور حول نظريات حديثة ، قبلها الكثيرون من اهل اوربا بتحفظ شديد ، ان يكونوا يوماً من الايام عوناً على تحرير الافكار أو محاربة البدع أو صرف الناس الى متجهات جديدة تقلهم من العقاية القديمة التي ورثوها عن قرون الظلامية القديمة Obscurantism بما فيها من تصوفية مريضة أو كلامية تقوم على الفروض الذهنية ، أو يعملوا يوماً على تقويم الخلق الانساني بما تقتضيه الانقلابات الفكرية والتصورية التي خلقها العلم الحديث ، أو يدركوا ان لهذه العلوم اثرأ في بحث حالات الاجتماع وتأثر الجماعات بمختلف ما في الطبيعة من مؤثرات

وكانت جماعات الشرق النائم في ذلك الحين ، قد انحلت روابطها الاجتماعية انحلالاً عظيماً ، ظهر أثره في خضوع هذه الامم لضروب الاستبداد الشديد والمظالم العتية التي انزلت بها اقصى مايروي التاريخ من كوارث وملمات . واحاطت بها امم اوربا احاطة السوار بالمعصم ، تبث فيها دعايات مختلفات ، مكن لها ذلك الانحلال الاجتماعي ان تجد البيئة الصالحة للنماء والتمكن من طبائع اهل الشرق ، حتى لقد زين لاهل الرأي منا ، ان تلك الزخارف التي وصلتنا عن اوربا انما هي طريق الرقي والسداد ، وسبيل القوة والاستقلال ، في حين انها كانت العامل الذي قطع ما بيننا وبين ماضينا وحل آخر عقدة كانت تربطنا بثقافتنا القديمة واخلاقنا القومية ، بعد ان عملت فيها يد الجلود ما عملت ، وبعد ان غشينا من غفلة الحكومات ما غشينا

وقد يتبادر الى البعض ان مظاهر الرقي الذي يبدو في افق كثير من امم الشرق في هذا العصر انما يرجع الى الدعايات السياسية او الى الصيحات التي قام بها بعض اصحاب الوطنية الملتزمة على ما لهم فيها من فضل ، وما خلفوا فيها من أثر . ذلك بأن الدعايات السياسية في الامم المستضعفة لن تجد لها سبيلاً الى القلوب أو العقول ما لم يقم في الانفس والاذهان حالة تحفز الجماعات الى العمل لاسترداد ما فقدت والاستمتاع بما يستمتع به غيرها من الناس ، فان حياة الامم وقياسها من حيث الرقي أو الفساد ، انما يكون دائماً بقدر تصوراتها . واذن تكون مظاهر الحياة اشباحاً معكوسة في الخارج من مجمل ما يقوم في الذهنية الجماعية من تصورات . وعلى قدر هذه التصورات يكون الحافز الذي يحفزها الى العمل . ولا شك في ان التصورات تقوم على العلم بما هي الحياة ، وكيف يجب ان تكون ؟ وعلى قدر العلم بالشيء تكون ماهية التصور الذي يقوم في الاذهان

وما كان لنا ان ننسى ان تصوراتنا القديمة قامت على اشياء بعدت عن العلم الطبيعي وعن علاقة الاحياء بالبيئة التي ينشأون متأثرين بعواملها . ولقد ظل الشرق العربي قروناً طويلاً يقيم تصوراتيه على ما تضمنت الكتب القديمة من نظريات وفروض ، بعدت عن الطبيعة ، بعد الطبيعة عن ان تكون على قدر تلك العقول التي وضعت تلك الكتب . فظلت شعوب الشرق واقفة والدنيا من حولها تدور ، وانطوت في داخل تلك الصدفة التي أحكم اغلاقها تصورات الذين اقفوا في وجه هذه الامم باب الاجتهاد ، فأوصدوا على العقول ابواباً فولاذية ، اتخذوا من مشاعر الجماهير وتصورات الجماهير وسيلة لا يصادها ، فنزلوا بالعلم والدين وبالاخلاق وبكل ما سمى وجل من معاني الحياة ، الى مستوى ما تسبح فيها احلام الجماهير واهل الجهل والغفلة من اصحاب النفوذ والامراء والملوك ، ابتغاء تحقيق ما رب دنيا ، واستجابة لنفسية مريضة سقيمة ، سودوها على كل فضيلة ، وضحوا لها بكل معاني البر والتقوى

ولقد تناصرت على شعوب الشرق كل القوى التي كان من الواجب ان تأخذ بيدها : ملوكها

وامراؤها وحكوماتها والمسيطرون على الثقافة فيها . لهذا ترى ان قوة الدفع الى الهاوية كانت اعظم من ان تستقوى عليها شعوب مضلة مستعبدة اسلمت بأمور دنيها الى المستبدين ، وبأمور أخراها الى من لم يفكروا يوماً في ان يوحوا الى تلك الشعوب بأن لها ماضياً ، وان لها من العلم والادب والقوة تراثاً ، هو في الحياة سنادتها وعاصمها الذي ليس لها من عاصم سواء . ولقد ظلت هذه الشعوب القرون تلو القرون مستنمية لحكم المستبدين راضية بأن تنهب وتستغل ، قانعة من الحياة بكسرات من الخبز ووشل من الماء . فأى حافز ذاك الذي حفزها الى النظر في الحياة هذه النظرة الجديدة ، ووجهها هذا التوجيه الانساني ، وجعلها تنظر الى الحياة نظر الموقن بأن لها فيها حقاً وان من حقها ان تفكر وان تكون حرة في تفكيرها وفي ان تختار من الحياة الوجه الذي يرضيها ؟ اي عصا سحرية ضربت تلك الشعوب تلك الضربة التي ايقظتها ونهبتها من سبات القرون المتطاولة ؟ لا شك في انها عصا العلم . فان العلم حر مطلق من القيود ، لا يؤمن الا بعد شك ، فاذا آمن كان ايمانه راسخاً وطيداً . هذا خلق العلم . وهذا هو الخلق الذي يغرسه الايمان الثابت بكل ما ينزل من العقل منزلة الاحترام والتقديس

ولقد كان من اثر ذلك ان شعوب الشرق قد نشطت الى العمل المجدي في سبيل تنظيم العلاقة التي تقوم بين الحكومة والمحكومين على اساس العقل والمصلحة العامة ، وأخذت تقاوم النفوذ الفردي مقاومة ظلت في كل الحالات رهناً على الظروف . فظهرت حيناً في ثوب حركات اصلاحية ، وحيناً آخر في صورة ثورات اتجهت نحو تقرير حقوق مدنية وسياسية حرمتها الشعوب ازماناً طويلة . ومن شأن العلم ان ينظم العقل وينظم الشهوات وينظم المطامع . ذلك بأن العلم يقوم على حقيقة اساسية هي تنظيم الصلات القائمة بين الحقائق تنظيمياً يحدد لكل حقيقة منها موضعها الخاص الذي تشغله في نظام الاشياء . وعلى الجملة اخذ المصاحون القائمون على هداية هذه الشعوب ينظمون من الشؤون الاجتماعية والسياسية على مقتضى ما يقوم في عقولهم من تصور العلم وتنظيمه للعقل تنظيمياً لا تضارب بين حقائقه ولا طغيان لاحية منه على اخرى . فظهر ذلك معكوساً في كل ما عملوا وسيظهر في المستقبل لابساً ثوباً جديداً من المرونة التي يمتاز بها الاسلوب العلمي ، على قدر ما سوف يكون للايمان بالعلم وأساليبه من اثر في حياة الجماعات على اننا لا نقصد بذلك ان العلم اصبح المسيطر الاول على حالاتنا الاجتماعية ، او ان كل المصلحين الذين قاموا في الشرق ومنهم اجتماعيون وسياسيون ، قد تفقهوا بفقهاء العلم الصحيح ، او ان الشعوب انفسها قد ركز يقينها بالعلم على قاعدة عامة رشيدة . وانما جل ما نقوله ان انتشار الاسلوب العلمي في التفكير والادب ونشر الحقائق الثابتة التي توحى بها طبيعة الاشياء ، قد حول الفكر في حق الشعوب من الحياة ، وزاد الضغط على الحكومات المستبدة ، فجعلها تشعر

بأن من الضروري ان تكيف موقفها ازاء المحكومين تكييفاً يتفق والاتجاه الجديد الذي اتجهت فيه العقول ، وجرت فيه الميول والعواطف ، اتقاء الارتجاج الاجتماعي والثورات الفجائية ولسوف تجد مؤرخ المستقبل ، اذا اراد ان يقف على الاسباب التي هيأت الظروف لظهور هذه المتجهات الحديثة ، انه امام مشاكل اجتماعية عميقة ، لا بد له من الاكباب على درسها من طريق العلم . على انه سوف يجد في علوم الاحياء وعلاقتها بالمسائل الاجتماعية مرشده الامين الذي ينير له سبيل البحث في الحركات السياسية والاجتماعية التي قامت في خلال نصف قرن كامل ، سابع جزءا من القرن التاسع عشر ، وجزءا من القرن العشرين . ولسوف يرى ان تحليل الكثير من مظاهر التطور الاجتماعي التي حدثت في مدى هذه الفترة ، مستطاع من سبيل واحد ، هو الاكباب على درس المبادئ التي قررها العلم في عقلية الجماعات وفي علم النفس التحليلي والاجتماعي

على ان الشرق ان اراد ان يخطو الى الامام خطوات واسعة في سبيل الارتقاء الحقيقي وان يضرب في معارج التطور الثابت نحو حالات اسعد وأفضل ، فان من واجبه ان يجعل السياسة تابعة للعلم الاجتماعي ، القائم على حقائق العلم الطبيعي . فان السياسة في الشرق قد قامت الى الان على نظريات بعيدة عن الاسترشاد بهدى العلم ، ومضت تتخبط في دياجير مظلمة من التقديرات والاعتبارات التي تقوم على غير اساس وطيد الدعائم من حقائق العلم . وكل سياسة لا تقدر العلاقة القائمة بين المتجهات التي تلوح في افق الحياة الاجتماعية وحقائق الطبيعة المخفية من ورائها ، انما هي سياسة مرتجة غير ثابتة ، سياسة لا تؤمن معها العثرات ، ولا تسلم من الكبو والشطط فلا بد اذن من ان تربط بين السياسة وبين العلم ، وان نحكم الصلة بين السياسة وبين منهج اجتماعي تتخذه اماماً تأم به السياسة في الاصلاح المدني . غير ان الطريق الذي مضت فيه اكثر اتم الشرق حتى الآن ، لم يدل بعد على ان هذه الحقيقة قد اتخذت مكانتها اللائقة بها من عقول السياسيين والمصلحين . ودليلنا على هذا ان سياسة اكثر حكومات الشرق قد فقدت صفة اولية تجعل تنفيذ هذا المطلب ممكناً ، وتلك هي صفة الاستمرار . ومن أصعب الاشياء ان يكون للعلم اثر في بيئة تتقلب بها الاهواء . وتتقلب فيها دورات الحظ بين ساعة واخرى . وفقدان صفة الاستمرار في سياسة اكثر الحكومات الشرقية هو السبب الاول فيما يقوم اليوم من مظاهر الانحلال الاجتماعي والتوثر الذي نستشعره جائلاً في الاماني والاحلام التي تساور انفس الشباب . ذلك بأن الاستمرار انما هو اتباع طريق مرسوم للاصلاح الاجتماعي يرمي الى غاية معلومة . فاذا فقدت السياسة هذه الصفة ، فقدت اعظم سnade تمكنها من تخليف الآثار التي يستطاع من طريقها خلق حالات ثابتة ونظامات مستقرة ترضي مطامع شعوب استحدثت الاسلوب العلمي في عقليتها

طابعاً جديداً ، ووسمها بسمه لا عهد لماضيها بها ، وجعلها تنشد في الحياة غايات سامية ومثلاً علياً وقد يتبادر الى ذهن اولئك الذين أخذهم اليأس من إصلاح أمم الشرق أن ما تتكلم فيه لا يخرج عن نظريات قد يكون في تطبيقها ما يدل على انها أحلام بعيدة التحقيق . والحق انها تكون أحلاماً بعيدة التحقيق ، إذا نحن لم نؤمن بأنها طريق الخلاص الذي لا طريق سواه . فان الجماعات الانسانية باعتبارها كائنات حية من ناحية ، وباعتبارها كائنات ذات نظام اجتماعي من ناحية اخرى ، قد تصدق عليها حقائق علوم الاحياء مطبقة عليها تطبيقاً خاصاً ، كما تصدق على بقية الاحياء الاخرى . ولا اخال ان مفكراً مزن التقدير ينكر ان اتخاذ اسباب العلم وسيلة للإصلاح الاجتماعي ، هو السبيل التي تؤدي بأمم الشرق إلى وضع قواعد ثابتة تنتجها في التدرج نحو مثلها العليا

على ان من الواجب ان نعي ان لكل جماعة من الجماعات فطرة خاصة وبيئة بعينها ، وان لما مزاجاً عاماً هو نتاج الوراثة الطبيعية والعادات . اما إذا كانت حقائق العلم الطبيعي قد تصدق على كل الاحياء من حيث القواعد والاسس والنواميس ، فإن درس الحالات التي تقوم في كل امة من الامم من ناحية هذا العلم ، يجب ان تعتبر فيها الفطرة والبيئة والمزاج ، حتى يستخلص المصلحون اقوم طرق التطبيق وينزعوا من حالة كل شعب ما هو في احتياج اليه من ضروب الإصلاح ، ويلبسوا الحاجات الاولى التي يمكن ان تتخذ فيها حقائق بعينها من حقائق العلم سبيلاً الى معرفة ماهياتها . وهذا ما جرت اكثر امم الشرق على عكس ما يوحى الينا به . فقد مضت هذه الامم تسترشد باوربا ، وتتخذ من حالات اوربا قياساً تقيس عليه حالات الشرق ، من غير ان تغير الطبع الشرقي والمزاج الشرقي والبيئة الشرقية أدى الثقات . ومن اعجب الاشياء اننا مضينا ننقل عن اوربا ثمار تطبيقها لحقائق العلم في نواح يجب علينا ان نراعي فيها مزاجنا الخاص وبيئتنا الخاصة ، وعزفنا عن ان ننقل عنها بحاريها في مسائل تصدق على كل البيئات وفي كل الاحوال . ومثلنا على ذلك اننا نقلنا مثلاً شرائع بعينها عن اوربا لاعلاقة لما بطبعنا ولا حاجة لبيئتنا بها ؟ وكذلك نقلنا عن اوربا طرقاً خاصة في التعليم من غير ان نراعي فيها مقدار ملائمتها لفطرتنا او ثقافتنا التقليدية

ان ما مضيت فيه من اوجه البحث في هذه العجالة القصيرة فيه بشير ونذير . اما البشير فانا بدأنا نتجه في تحليل حالاتنا الاجتماعية ودرسها اتجاهاً علمياً . واما النذير ففي اتنا لم نضع بعض مناهج إصلاحية ، قائمة على العلم ، لها صفة الاستمرار والبقاء . والمحصل ان الإصلاح الاجتماعي في امم الشرق ، ينبغي ان يعهد به الى علماء اتصلوا بعلوم الاحياء وعلوم الاجتماع ، تلك العلوم التي كان للمعتطف الفضل الاول في توجيه العقول اليها ، وبث مبادئها في قلوب المفكرين

الاتجاهات السياسية

خلال ٦٠ سنة في الشرق العربي

للمصنف

مؤلف « الثورة العربية الكبرى »

يراد بالشرق العربي جميع البلدان التي ينطق أهلها بالضاد ، ويتخاطبون باللغة العربية ، ويتقنون ثقافة عربية ، ويدرسون ادب العرب ، وتاريخ العرب وتمتد بلاد العرب هذه من خليج فارس فديار بكر شرقاً حتى الاطلانطي غرباً ومن جبال طوروس شمالاً حتى اواسط افريقية غرباً وتضم الاقطار الآتية : عمان (مسقط) ، البحرين ، نجد ، الكويت ، العراق ، الشام بحدودها الطبيعية (اي سورية الداخلية ولبنان وبلاد العلويين وجبل الدروز وفلسطين وشرق الاردن وكيليكية) والحجاز واليمن ، ومصر والسودان ، وبرقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى ولا يقل سكانها عن سبعين مليوناً من النفوس ولا يخفى ان اللغة العربية هي التي وجدت بين هذه الاقطار وربطتها بعضها ببعض فقبل الفتح العربي الاسلامي كان ابناءؤها يتخاطبون بلغات شتى منها : الاغريقية والسريانية والقبطية والفارسية والبربرية والارامية والعبرية فزاحمتها اللغة العربية وما زالت بها حتى حلت محلها وصارت اللغة الرسمية لهذه الاقطار كلها ولغة العلم والتعليم والثقافة والادب ، واللغة من افضل الروابط واقواها ومن اعظم الصلات وامنيتها في جميع العصور والادوار

نعود بعد هذا التعميم فندرس حالة هذه الاقطار السياسية عند صدور المقتطف في سنة ١٨٧٦ ونماشي الحركتين السياسية والقومية في تحولها ونصف الادوار الخمسة التي مرت بها وهي :

١ — من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٢	٤ — من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٥
٢ — من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٨	٥ — هو الدور الحالي
٣ — من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨	

١ — الدور الاول سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٢

كان في البلاد العربية عند صدور المقتطف ثلاث حكومات تسيطر عليها :
١ — الحكومة التركية ب — الحكومة الفرنسية ج — الحكومة المغربية

١ — الحكومة التركية

فكانت الحكومة التركية تسيطر على الاقطار العربية الممتدة من خليج فارس حتى حدود الجزائر وهذه اسمائها : تونس وطرابلس الغرب وبرقة ومصر والسودان والحجاز واليمن والشام ونجد والعراق. وكان بين هذه الاقطار اربعة تستع باستقلال داخلي واسع النطاق في داخل الامبراطورية العثمانية وهي : ١ — مصر وسودانها ٢ — تونس ٣ — الحجاز ٤ — جبل لبنان فكانت في مصر حكومة علوية ثابتة راسخة الدعائم يتوارث عرشها سلاسل محمد علي — وكان يجلس على عرشها يومئذ الخديوي اسماعيل باشا وكان نفوذ الباب العالي ضعيفاً جداً في القاهرة فالسلطة كلها بيد صاحب العرش. وكانت في تونس ايضاً حكومة مستقلة استقلالاً داخلياً برآسة «البايات» من ابناء حسين بن علي الكريقي ولا يزال هؤلاء يتوارثون عرش تلك البلاد وكان يجلس على عرش تونس يومئذ محمد الصادق. وكان جبل لبنان مستقل استقلالاً ادارياً تحت سيادة الباب العالي وبضمانة الدول الخمس طبقاً لبروتوكول سنة ١٨٦٠. وكان شريف مكة في الحجاز ايضاً يتمتع باستقلال داخلي محدود النطاق وكانت حالة متصرف جبل لبنان او اميره تختلف عن حالة هؤلاء الثلاثة فكان يبدل في كل خمس سنوات مرة وكانوا يشترطون فيه الارمنية فلا يجوز ان يقد هذا المنصب غير واحد من ابناء «يان»

ب — الحكومة الفرنسية

وكانت فرنسا تسيطر على الجزائر. والجزائر هو اول قطر عربي سقط في براثن الاستعمار الاوربي فقد اغار عليه الفرنسيون في سنة ١٨٢٧ فقاوم ابناءؤه مدة ٢٠ سنة ثم استسلموا بعد ما تقطعت بهم الاسباب وتغلبت عليهم القوى المادية وقام المراكشيون يطاردونهم ويخرجونهم من بلادهم خوفاً عليها ان يغزوها الفرنسيون ويتذرعوا بوجود اللاجئين منهم للاستيلاء عليها وهو ما وقع بعد ذلك

ج — المغرب الأقصى

وكان المغرب الأقصى هو القطر العربي الوحيد المستقل في ذلك العهد فلا سلطان لاجني عليه

الاتجاهات القومية

وكانت هنالك ثلاثة اتجاهات قومية في هذه المرحلة :

الاتجاه القومي لمصر : الاتجاه القومي لسورية : الاتجاه القومي لتونس

فقد كان الخديوي اسماعيل يسعى في ذلك العهد لانشاء امبراطورية مصرية — افريقية تضم السودان وجانباً من الحبشة وبعض المناطق الاستوائية فقد ارسل الحملات العديدة الى تلك الاقطار النائية للاستيلاء عليها ونشر النفوذ المصري في ربوعها وبذل كثيراً من الجهود في هذا السبيل

ولا يخفى ان محمد علي باشا الكبير جد الخديوي اسماعيل باشا عمل لانشاء امبراطورية عربية تضم البلدان التي يتكلم اهلها اللغة العربية وحارب الترك وهزمهم في جميع المعارك التي نازلهم فيها ، ولما قارب مشروعه الختام وكاد يؤتي اكمله وقف الانكليز في طريقه واعادوه الى مصر وحصلوه في منطقتها الضيقة (سنة ١٨٣١ - ١٨٤٠) ووجه اسماعيل باشا وجهه في خلال هذه المرحلة شطر افريقية سعياً وراء تكوين « امبراطورية سوداء » بدلاً من امبراطورية جده « السمر » فلا تعارضه اوروبا ولا تقف في وجهه وادرك نجاحاً لا يستهان به

وكذلك كان في مصر اتجاه لانشاء حكم برلماني على مثال النظام البرلماني في اوروبا والى الخديوي اسماعيل باشا يعود الفضل في ادخال هذا النظام الى الشرق العربي فقد أنشأ في سنة ١٨٦٦ اي بعد انقضاء ثلاث سنوات على تبوئه الاريكة الخديوية مجلساً سماه « مجلس شورى النواب » ومنحه اختصاصات ضيقة وحدد عدد اعضائه بخمسة وسبعين وجعل تعيين رئيسه ووكيله من حق الخديوي ، وجعل مدة النيابة ثلاث سنوات

واجتمع هذا المجلس للمرة الاولى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ اي منذ سبعين سنة برآسة اسماعيل راغب باشا فافتتحه الخديوي ، وظلَّ يجتمع في دورات منتظمة حتى شهر اغسطس سنة ١٨٧٨ ففيه وافق الخديوي على الاخذ بمبدأ « المسؤولية الوزارية » وتوسيع نطاق الحكم الدستوري واصدر بهذه المناسبة مرسوماً بشكل كتاب وجهه الى رئيس وزرائه نوبار باشا قال فيه : « اؤكد لك اني عقدت العزم على التوفيق بين القواعد الادارية في مصر والمبادئ التي تقوم

عليها الادارات في اوروبا

» واريده ان محل مكان السلطة الشخصية التي هي مبدأ حكومة مصر الحالي سلطة اخرى تتولى ادارة الشؤون العامة وتحدد نقطة توازنها في مجلس الوزراء . وعلى ذلك اريد من الآن فصاعداً ان اقوم بشؤون الحكم مع مجلس وزرائي وبواسطته فكل اعضاء الوزارة يجب ان يكونوا متضامين معاً وان يبتسوا في الامور بأغلبية الاصوات بينهم . ثم خطت الحكومة الخديوية الخطوة الثالثة في سبيل ادخال النظام الدستوري فوضع شريف باشا في ٢ يونيو ١٨٧٩ دستوراً جديداً على احدث المبادئ العصرية ولكنه لم ينفذ بسبب تغيير الخديوي . وتعطلت الحياة الدستورية بمصر في اوائل عهد الخديوي توفيق ثم اعيدت في سنة ١٨٨١ فاجتمع مجلس النواب الجديد يوم ٢٦ ديسمبر من تلك السنة . وعطل الدستور وعطلت الحياة النيابية بعد الاحتلال البريطاني في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ولم يعد البرلمان الى الاجتماع الا في سنة ١٩٢٤ . وجملة القول ان الاتجاهات القومية في مصر خلال هذه المرحلة اي في خلال عهد اسماعيل كانت متجهة الى انشاء نظام برلماني مصري ثابت والى فصل مصر عن تركيا وانشاء حكومة مصرية مستقلة

في السلطنة العثمانية

وكانت في السلطنة العثمانية يومئذ حركة اصلاحية تمخضت في سنة ١٨٧٦ عن نظام برلماني فصدر اول دستور تركي مستمد من المبادئ الدستورية الاوربية الحديثة وجرت الانتخابات لاول برلمان فاجتمع فعلاً في دورة واحدة ثم أجله السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٨ ولم يعد الى الاجتماع الا في سنة ١٩٠٨ وكانت الحركة القومية ضعيفة جداً في بلاد العرب الاخرى وكان للفكرة الدينية او فكرة الجامعة الاسلامية المقام الاول وكان السلطان عبد الحميد يؤثر هذه الفكرة ويؤيدها لمحاربة الفكرة القومية على انه لم يخل الامر — من افراد في بيروت ودمشق — فكروا في الاستقلال العربي وفي انشاء دولة عربية ، وقد وزعت في خلال ذلك منشورات سرية في بيروت بالدعوة الى ايقاظ العرب ، وكان للمرحوم مدحت باشا مؤسس النظام الدستوري في تركيا وخالف الملكين (عبد العزيز ومراد) كما كان يلقب نفسه يد في اذكاء هذه الحركة مدة وجوده والياً على سورية

في تونس

وكان في تونس ايضاً ما في مصر من ميل للاصلاح واخذ بالانظمة الاوربية الحديثة فقد زار الباي احمد باشا فرنسا سنة ١٨٤٦ بدعوة الملك لويس فيليب فبهرتة محاسنها وأعجب بما رآه من عمران ورفق ، فشرع في اصلاح الجيش والاسطول بعد رجوعه وادخل كثيراً من الاصلاحات بما احتاج الى مال كثير فمد يده الى فرنسا فعقد معها قروضاً مالية كانت سبب نكبة تونس ، كما كانت هذه القروض سبب نكبة مصر ايضاً. وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ أصدر الباي محمد قانون عهد الامان (الدستور التونسي) وانشى المجلس الكبير (البرلمان التونسي) وكان يتألف من ٦٠ عضواً وكان محدود الاختصاص . ولم يكن لتونس اتجاه قومي في هذه الفترة وكان هم ولايتها موجه الى التخلص من السيادة التركية وانشاء دولة تونسية مستقلة على نمط الدول الاوربية الحديثة ، وخانها الحظ فسقطت سنة ١٨٨١ في قبضة الاستعمار الفرنسي

٢ — الدور الثاني سنة ١٨٨١ — ١٩٠٨

ربما كان هذا الدور من أشأم الادوار التي مرت بالقطار العربية في التاريخ الحديث فقد بدأ بدخول الفرنسيين الى تونس (١٢ مايو سنة ١٨٨١) وتجريدهم حكومة الباي من كل سلطان ، وباشتداد النزاع بين الحديوي توفيق باشا والعرايين وهو النزاع الذي انتهى بدخول الجيش البريطاني القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ثم بدخوله الى السودان في سنة ١٨٩٩ ومد الانكليز يدهم في خلال هذا الدور الى امارات خليج فارس العربية فسيطروا عليها وادخلوها في دائرة نفوذهم السياسي وكانت حالة العرب السياسية في البلاد التي ظلت خاضعة للدولة العثمانية غير حسنة بالاجمال ،

وقد حارب السلطان عبد الحميد الفكرة القومية حرب عوان غير مباشرة بتأييده فكرة الجامعة الإسلامية كما قلنا فأدرك من هذه الناحية نجاحاً لا يستهان به فصرف افكار كثير من رجال العرب عن الفكرة القومية وكانت لا تزال في دور التكوين وجاء بكثير من رؤسائهم وزعمائهم فأنزلهم على صفات البوسفور بجواره واغدى عليهم الرتب والاموال وعودهم حياة الرفاه والترف حتى لا يفكروا في الخروج عليه او محاربة دولته ، كما ارسل رسله الى العالمين العربي والاسلامي يشنون له دعاية واسعة النطاق ويظهرونه بمظهر المسلم الخالص لدينه العامل لاعلاء شأنه . على ان الامر لم يخل من ظهور حركات قومية ولاسيما في مصر تدعو الى التخلص من الترك وانشاء دولة عربية مستقلة ظل تأثيرها محدوداً . ويمكن القول ان هذا الدور كان مقدمة للدور الآتي وهو دور العمل والنشاط . وقد ابتدأ في سنة ١٩٠٨ باعلان الدستور العثماني وبظهور الحركة القومية العربية في مظهر جديد

٣ - الدور الثالث - ١٩٠٨ - ١٩١٨

بعد هذا الدور من اعظم الادوار التي مرَّ بها الشرق العربي في تحوله السياسي والقومي فقد كان جم المفاجآت كثير الاحداث . وينقسم هذا الدور الى قسمين : الاول : ويمتد من اعلان الدستور العثماني في تركيا يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ حتى اعلان الحرب العظمى في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ والثاني : من اعلان الحرب حتى ختامها في شهر نوفمبر ١٩١٨

لقد كان اعلان الدستور في تركيا سنة ١٩٠٨ وانهار الحكم الحميدي الاستبدادي وانطلاق حرية الاقلام والالسنه فاتحة تحول في حياة العرب السياسية الذين ظلوا حتى ذلك العهد خاضعين للسلطنة العثمانية مباشرة وهم ابناء الشام والعراق والحجاز واليمن وطرابلس الغرب وبرقة فقد عمهم روح جديدة هي روح القومية فكثرت الداعون الى احياء المجد العربي والى بعث الدولة العربية كما كثرت انشاء الجمعيات السياسية في الاستانة وفي دمشق وبغداد والقاهرة للمطالبة بانصاف العرب ورد حقوقهم السياسية اليهم باعتبارهم اكثر الشعوب التي تتألف منها الامبراطورية العثمانية عدداً ولقد كان للاتحاديين سادة تركيا في ذلك العهد يد في اذكاء الروح القومي وفي التعجيل بالنهضة العربية فقد نشطوا في خلال تلك الفترة لتعزيز شأن القومية التركية واعلاؤها بين ابناء قومهم ومحاربة الروح العربية وتزيك العرب وغيرهم من العناصر الاخرى التي كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية مما أهاب بهذه العناصر الى جمع شملها وتوحيد كلمتها لمقاومتهم والوقوف في وجههم حفظاً لكيانها ووجودها . وكانت الاتجاهات القومية في هذا الدور ترمي الى انشاء امبراطورية عربية تضم الاقطار التي ظلت خاضعة لتركيا وهي : الشام والعراق واليمن والحجاز اي ان المنطقة التي كان دعاة الحركة القومية يعملون في داخلها خلال هذا الدور ما كانت تتعدى الاقطار الخاضعة للمملكة العثمانية ووثب الطليان في خلال هذه الفترة فاستولوا على طرابلس الغرب وبرقة (سبتمبر سنة ١٩١١)

وبسط الفرنسيون حمايتهم على المغرب الأقصى (معاهدة فاس ٣١ مارس سنة ١٩١٢) فأضيف اسم هذه الاقطار الثلاثة الى قائمة الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي فصارت تسعة وهي :

١ — الجزائر ٢ — تونس ٣ — مصر ٤ — السودان ٥ — طرابلس الغرب ٦ — برقة ٧ — المغرب الأقصى ٨ — جنوب اليمن ^(١) ٩ — امارات خليج فارس العربية

ولم يك للأجانب حتى سنة ١٨٣٠ اي حتى الاغارة الفرنسية على الجزائر اي سلطان او نفوذ في قطر عربي فسقوط هذه الاقطار التسعة في قبضتهم الواحد بعد الآخر ازعج أبناء الاقطار الاخرى التي ظلت في دائرة الامبراطورية العثمانية وبعثهم على مضاعفة الجهود وراء تحرير بلدانهم فلا يصيبها ما أصاب شقيقتها. والواقع ان دعاة الاستعمار الاوربي واقطابه سعوا سعيًا حثيثًا في الفترة التي تقدمت الحرب العظمى لاقتطاع كل ما يمكن اقتطاعه من اراضي الدولة العثمانية مستغلين فرصة ضعفها وانحطاطها وانهماك رجالها في المنافسات الحزبية

وأعلنت الحرب العظمى والنضال الداخلي على اشده بين العرب العثمانيين والاتحاديين الترك فاعتنم هؤلاء فرصتها للتخاص من رجال الحركة القومية العربية ودعاتها فقبضوا عليهم واعدموا اكثرهم شنفًا في الساحات العامة في بيروت ودمشق والقدس ونقوا كثيرين من ابناء هذه الاقطار وكانت الخطة التي وضعوها للقضاء على الفكرة العربية تقوم على اجلاء العائلات العربية الكبرى من سورية وفلسطين والعراق وارسالها الى اقاصي الاناضول واحلال الارمن الذين اخرجوهم من ارضهم وديارهم محلهم . ولا يخامرنا شك في انه لو ختمت تلك الحروب الضروس بفوز الترك وحلفائهم الامان لضعف شأن الحركة العربية ولما ارتفع للعرب ذكر ولعوملوا في بلادهم معاملة الارقاء ، ولمنعوا من التكلم بلغتهم ، ومن تعلمها ومن قراءة تاريخهم ودراسة سير رجالهم وعظماهم وحملوا على دراسة سير رجال الترك . ومن كان في شك من ذلك فلينظر الى حالة العرب في كيليكية (ادنه) فقد ضيقت عليهم الحكومة الكمالية المسالك ومنعتهم من التكلم بلغتهم ودراسة تاريخهم توصلًا الى تريك هذا القطر العربي الذي هو جزء لا ينفصل عن الوطن العربي العام ولا بد للعرب في المستقبل من المطالبة به والسعي لاسترداده ورفع الحيف النازل بسكانه وابنائهم ففهم يعاملون معاملة لا تتفق مع المبادئ التي وضعتها جامعة الامم لحماية الاقليات الجنسية والدينية في جميع البلدان

الثورة العربية

واعلنت في خلال هذا الدور الثورة العربية ویراد بها تلك التي اضرمها الحسين بن علي على الترك

(١) وضع الانكليز يدهم تدريجياً على المقاطعات الواقعة في جنوبي اليمن وهي الحجة وحضرموت وعسير بين

في سنة ١٩١٦ بالاتفاق مع بعض رجال سورية والعراق الذين ايدوه ووالوه تخلصاً من جور الاتحاديين الذين ظلموهم وأذوهم وسعيًا وراء انشاء امبراطورية عربية تضم الحجاز والشام والعراق . واليك حدودها كما رسمها مؤسسها في كتابه يوم ١٤ يوليو ١٩١٥ الى السر هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر « استقلال البلاد العربية من مرسين ، ادنه (كيليكية) حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ، ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سينا غرباً »

فهذا التحديد للدولة العربية التي نهض الحسين بن علي بمؤازرة رجال العرب في الشام والعراق لانشائها يخرج من دائرتها الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاوربي ويجعلها قاصرة على البلدان التي كانت حتى ذلك العهد تابعة لتركيا . بما في ذلك نجد واليمن وعسير وجنوبي اليمن وكانت تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق في العهد العثماني ، اما جنوب اليمن وقد اراد الملك الحسين ادماجه في الدولة العربية فكان مشمولاً بالحماية البريطانية . وابتى الانكليز الموافقة على الحدود كما جاءت في كتابه ورد عليه السر هنري مكماهون يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩١٥ يقول : « اما ما يتعلق بقضية الحدود فقد يكون بحثنا في مثل هذه التفاصيل — والوقت قصير والحرب قائمة — سابقاً لاوانه وخاصة لان تركيا لا تزال تحتل قسماً كبيراً من الاراضي التي اشترى اليها في مشروعكم احتلالاً تاماً » . فيكتب اليه الحسين يوم ٩ سبتمبر ملحجاً في البت في قضية الحدود « لان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من ارضائه او مفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعهم على هذا الاعتقاد » وقال نائب الملك يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ في رده « وقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود وانكم تعدونها من المسائل الحيوية ، فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية وانه ليسرني ان ارسل اليكم البيانات التالية التي اثق كل الثقة بأنها ستفوز برضاكم »

« ان مرسين واسكندرونه وبعض الاقسام السورية الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة . فيجب ان تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على اساس هذه التعديلات على ان لا تنقض شيئاً من اتفاقنا مع الزعماء العرب . اما الاراضي التي تستطيع انكثرا العمل فيها بملء الحرية ودون ان توقع ضرراً بحليفها فرنسا فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان اعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم ١ — ان انكثرا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة ٢ — تحمي بريطانيا الاراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها ٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة او نصيحة

تلزم وتعاونهم في انشاء افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلدان العربية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان العرب يوافقون على الاقتصار على استشارة ومعونة بريطانيا وحدها ويرضون بأن يكون جميع الموظفين الذين يحتاجون اليهم في تنظيم دوائر مملكتهم من التبعة الانكليزية « أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد فان العرب يعرفون ان مركز انكلترا ومصالحها فيهما تتطلب شكلاً ادارياً خاصاً ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوطيد مصالحنا المشتركة »

وهكذا اخرج الانكليز من نطاق الحدود التي رسمها الحسين ولاية الموصل ولبنان الكبير كما اخرجوا ولايتي البصرة وبغداد واستثنوا الاقطار العربية الخاضعة لزعماء العرب ويراد بها عسير واليمن ونجد فلم يبق سوى الحجاز وفلسطين وسورية الداخلية

٤ — دور السياسة الإقليمية : ١٩١٨ — ١٩٢٥

وضعت الحرب اوزارها يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ وانتهت بانتصار الحلفاء وهم الذين انضم اليهم العرب وقاتلوا في صفوفهم من دون ان يحقق لزعماء الحركة العربية ما كانوا يطمعون بنيله فقد وضع الانكليز في نهايتها يدهم على العراق وعلى فلسطين وشرق الاردن باسم الانتداب ووضع الفرنسيون يدهم ايضاً على سورية ولبنان وأضافوها الى الاقطار العربية الاخرى التي يسيطرون عليها . والبلاد العربية التي ظلت في خارج منطقة الاحتلال الاجنبي هي : ١ — الحجاز ٢ — نجد ٣ — اليمن . ومعنى هذا ان جميع الاقطار العربية (ما عدا جزيرة العرب الاصلية) كانت في هذه الفترة خاضعة للاستعمار الاوربي . ووضف شأن الحركة القومية في اوائل هذا الدور وفترت همة بعض رجالها فانتعشت فكرة السياسة الإقليمية وراجت ومعناها انصراف كل قطر من الاقطار العربية الى العناية بشؤونه الخاصة من دون ان يكون له ارتباط او اتصال مباشر بالاقطار الاخرى

وأثرت مبادئ الحرب في نفوس ابناء الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي وفعلت مفعولها فتحرك بعضها يطالب بحقوقه . فكانت في مصر ثورة (سنة ١٩١٩) وفي العراق ثورة (سنة ١٩٢٠) وفي تونس ثورة (سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠) وفي سورية ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٧) وفي المغرب الاقصى ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦) وفي فلسطين ثورة (سنة ١٩٢٩)

وكذلك وقعت في داخل جزيرة العرب احداث خطيرة غيرت وبدلت من وضعها السياسي فقد استولى ابن سعود في خلال هذه الفترة على اماره آل الرشيد في حائل (سنة ١٩٢٠) وعلى الحجاز سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وعلى اماره الادارسة سنة ١٩٣٣ فتكوّنت في داخل الجزيرة

دولتان لا ثالث لهما : دولة الجنوب وهي دولة اليمن ويشمل نفوذها اليمن وهامة (ما عدا النواحي التسع المشمولة بالنفوذ البريطاني) ودولة الشمال وهي الدولة السعودية وتضم الحجاز ونجد وعسير وهامة وادركت القضية العربية في آخر هذا الدور نجاحاً لا يستهان به فتم فيه :

١ — تحرير العراق من الانتداب ودخوله جامعة الامم سنة ١٩٣٢ — ٢ — نشأة الدولة السعودية الكبرى — ٣ — عدول الوطنيين السوريين عن السياسة الاقليمية واعلانهم الرجوع الى السياسة القومية سياسة الوحدة العربية (٩ يناير سنة ١٩٣٦)

٥ — دور الوصاية او الدور الحالي

يبدى هذا الدور بعقد ميثاق التحالف بين العراق والمملكة السعودية في بغداد يوم ٢ ابريل سنة ١٩٣٦ وهو الميثاق الذي يصح ان يسمى قاعدة الوحدة العربية فقد جاء في المادة السادسة منه «يجوز لاية دولة عربية مستقلة ان تطلب الانضمام الى هذه المعاهدة ايضاً» وبظهور اتجاهات جديدة في بعض الاوساط المصرية لتأييد فكرة الجامعة العربية وانضمام مصر اليها وباتساع نطاق التعاون الثقافي بين مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اتساعاً يستوقف النظر ويدل على تحول في الاتجاه القومي وعلى ان فكرة الوحدة العربية تقدمت تقدماً محسوساً في بلاد العرب الشرقية وهي مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اما في بلاد العرب الغربية اي في شمالي افريقية وهي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى فلا يزال انتشارها محدوداً لبعده الشقة وصعوبة المواصلات ولان السلطات الحاكمة هناك تحاربها وتعرقل انشاء اتصال مباشر بين ابناء تلك البلاد وبين اخوانهم من عرب هذه البلدان

وخلاصة القول ان في كل قطر من أقطار العرب المستقل منها وغير المستقل اتجاهين :

الاول — لتحريره من كل نفوذ اجنبي اذا كان خاضعاً له والفوز بالاستقلال
والثاني — لتعزيز فكرة الوحدة العربية وتأييدها ونشرها لتسهيل انضمامه الى الاقطار العربية الاخرى التي استقلت وقد وضعت حكومة العراق والبلاد السعودية قاعدة هذا الاتحاد بميثاقها الاخير واعلنتا كما تقدم انه مفتوح امام كل دولة عربية مستقلة

كيف ينشأ الاتحاد

اما طريقة انشاء الاتحاد العربي ونظمه والاساليب التي تتبع لتحرير الاقطار العربية الاخرى التي لا تزال خاضعة للاجانب فقد وفيناها حقها في كتابنا الجديد «الدولة العربية المتحدة» وقد صدر الجزء الاول منه في هذا الشهر واسمه «تاريخ الاستعمار البريطاني في بلاد العرب» فليرجع اليه من شاء زيادة ايضاح وبيان

مواكب الاعلام

مختارات مما نشره المقتطف في فصول السنين الستة الماضية

٢ — الهرم والشعري

لمحمود باشا الفلكي

١ — اطباء الشرق

للكنوز كرنيليوس فانديك

٣ — النباتات المصرية الطبية

للكنوز حسن باشا محمود

٥ — التريية والحجاب

لقاسم امين

٤ — الباب والباية

للمسير ميرزا فضل الله اليراني

٦ — شرف العمل

لمحمد كرد علي

٨ — موعظة شهر الورود

للمرئسة مي

٧ — فلسفة الاحلام

للفيلسوف برغنسن

٩ — النهضة الشرقية الحديثة

الشيخ مصطفى عبد الرازق — سامي الجريديني المحامي

عباسي محمود العقاد — الكنوز بيداد ضريح — امين الربحاني

١٠ — الثورة المقبلة

للورود سنود

ستون سنة

ستون سنة ، سارت في خلالها الحضارة سيراً حثيثاً الى الامام . ففي الافكار تنبه ، وفي الآراء تعديل ، وفي الآداب ثورة ، وفي المعتقدات انقلاب ، وفي نظم الحكم تحول ، وفي امور المعيشة ارتقاء لا يضاهيه ارتقاء في كل ما سبق من عهود التاريخ ، وفي جميع فروع العلم وابواب البحث ، اكباب على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى ، والعلماء في كل قطر ، منبثون في كل صقع ، مكبسون على كل موضوع ، يبحثون ويمتحنون ويكشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او مرض او موت ، وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيه ، ورفات نظرياتهم وآرائهم

هذا والطبيعة لا تزال كما كانت ، اليها تحدى الركائب ، وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تعلق أبعد الغايات . كواكب وسيارات ، واقمار ومذنبات وسدم ، ترصع الفضاء ، وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في سهولها وجبالها ، وانهار تحتقر مجاريها في التراب ، وحيوانات تقي هياكلها في طبقات الثرى ، وانبتة تكتب قبرياتها في اطباق الفحم ، ورجال يقبلون الغامر عامراً والعامر حنة تجري من تحتها الانهار . فالهواء يدوي بالاصوات ، والجو حافل بالاشارات ، والاجتماع كره تنقاذها قوى الدفع والجمع ، والارض كلها رقة دوّن فيها تاريخ الاحياء وغير الاحياء ، والرقعة في ظرف مخنوم ، والعلم يرنو الى فض الظرف واعلان محتوياته واسراره من اكثر العلوم النظرية دقة وعموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعداً أثراً في معاش الناس ، من ادق المعادلات الرياضية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة ، الى احدث المكتشفات والمستبطات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمحاطبات والوقاية والعلاج ، الى اشهر المذاهب في الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس — كل ذلك اصاب من التقدم والتحول في الستين السنة الماضية ، مما يجعلها من اعظم العصور مقاماً في تاريخ الانسان على وجه الارض

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولاً أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، في ميدانه الرحب التقت افلام العلماء والادباء والفلاسفة ، من ابناء الحضارتين ، والمقتطف واقف للحضارة بالمرصاد ، يقتطف من العلم كل طارف وكل تلبد ، ويتبين من الاجتماع والادب كل اتجاه ، ويزف نبأه اجمالاً او تفصيلاً الى ابناء الشرق العربي ، في غرة كل شهر ، في ثوب ، آتية البساطة والسلامة ، وغرضه الفائدة الخاصة والخدمة العامة

قلّب صفحات مجلداته الثمانية والثمانين ، تتوالى امامك مواكب الاعلام ، في مركبات فاخرة ، من العلم الراسخ والفكر المتوقد والخيال الذهبي والخلق الكريم هنا تجد ، اعلام الفلسفة من افلاطون

وارسطوطاليس الى الكندي والفارابي وابن سينا ، الى كانت وكونت وسينسر ونيشه ووليم جيمز وهنري برغسون . واعلام العلوم الطبيعية والفلكية ، من طاليس وارسترخس وبطليموس ، الى ابن الهيثم وابن حيان والبتاني الى غلييلو ونيوتن وهوجنس ولاقوازييه ومنديلوف وكوري ، الى ميكافن وممكن واينشتين . واعلام العلوم الطبية ، من ابقراط وجالينوس الى الغافقي والرازي والزهرابي وابن البيطار ، الى هارفي وجنر ، الى باستور ولستر وكوخ وبهرنغ ورس وبانتغ . واعلام الاحياء والمواليد من طبقة كوفيه ولينيوس ودارون ورسل ومنديلوف وهكسلي ومورغن . واعلام المخترعين من وط وستيفنسن ، الى مورس وبيل ، الى اديسن وماركوني وده فرست ويرد . واعلام الرواد ، من رواد المصريين القدماء الى رواد العرب في القرون الوسطى ، الى قاسكو دي غاما ، وكولمبس ومجلات وسكوت وپيري وشكلتون وامندسن وحسين ويرد . واعلام السياسة والحرب والادب والشعر والعمل والمال ، الى ارباب العلم والفكر والخيال في الشرق العربي — كرنيلوس فانديك ، وشبلي الشميل ، وسليم الموصلي ، ويوحنا ورتبات ، وبشاره زلز ، وحسن باشا محمود ، ومحمود باشا الفلكي ، وشفيق منصور ، وقاسم امين ، وجبر ضوهط ، وفرح انطون ، ومحمد كرد علي ، وجميل صدي الزهاوي ، وامين المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، وولي الدين ، و خليل مطران ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبد الحميد ، وطه حسين ، وايليا ابوماضي ، ومحمد شاهين باشا ، وحسين سرّي باشا ، والاير مصطفی الشهابي ، وامين الريحاني ، وعباس محمود العقاد ، وأنيس المقدسي ، واسماعيل مظهر ، والانسة مي . . .

جميع هؤلاء ، وعشرات بل مئات غيرهم من الاعلام الذين لا تسع لجرّد ذكرهم صفحات برمتها من المقتطف اذاع المقتطف آثارهم او سيرهم او حقائق الموضوعات التي اشتغلوا بها والمذاهب التي ذهبوا اليها او خطرات نفوسهم الحساسة وأخيلتهم المذهبة . فكيف يسع الباحث ان يختار فصلاً تعدّ على اصابع اليدين ، من ثمانية وثمانين مجلداً ، تربي صفحاتها على خمسين ألف صفحة او ستين ألفاً ، وتضم في نطاقها بحوثاً ونبدأ في جميع فروع المعارف القديمة والحديثة ؟ ان العمل متعذر بطبيعته ولكن ما لا يدرك على الوجه الاوفى لا يسعنا اهماله كلّ الاهمال بوجه من الوجوه . فالفصول التي تتوالى في القسم التالي من هذا العدد التذكاري ، لم نراع في اختيارها صفة خاصة ، وانما كنا نفتح المجلد من المقتطف اتفاقاً ، ونقلب صفحاته ، فنعثر بمقال يستوقف النظر ، بما صاحبه من مقام ، او بما في بحثه من طرافة او حكمة ، او بما يدل عليه من المراحل في تطور موضوع من الموضوعات وارتقائه

وقد يعجب القارئ اننا لم ننشر في هذا العدد مقالاً من المقالات العلمية التي كان منشأه يكتبانها فيه ، مع ان المقتطف مجلة علمية ، قبل ان تكون مختصة بالادب وما الى الادب من ألوان

الكتابة ، ولكن الحائل دون ذلك ، ان نصف ما نشر في المقتطف او اكثر من النصف كتبه منشأه او من تولى مساعدتهما في تحريره ، فكيف يستطيع اختيار فصل او فصلين من ثلاثين الف صفحة ؟ يضاف الى هذا ان الموضوعات العلمية ، التي نشرت في النصف الاول من حياته اقرب الى بسط المبادئ والاصول لترسيخها في اذهان قرائه ، فأعادتها الآن وقد ذاعت بواسطة معاهد التعليم والمجلات الثقافية قلما يفيد . ثم ان سرعة التقدم العلمي في ما انقضى من هذا القرن كان سريعاً ، يبعث على الدهشة في سرعته ، فما كتب في بناء المادة سنة ١٩٢٠ لا يستقيم منه الآن الا جانب يسير ، وان مقالات المقتطف العلمية جمع بعضها في كتب على حدة اشهرها « بسائط علم الفلك » و « العلم والعمران » و « فصول في التاريخ الطبيعي » و « الرواد » و « معجم الحيوان » و « فتوحات العلم الحديث »

بسط المقتطف في خلال حياته نظرية التطور العضوي من جميع نواحيها ولاقي في سبيل ذلك عتياً عظيماً كما يسن الدكتور نمر في مقالته التي صدرنا بها هذا الجزء التذكاري . وحارب السحر والشعوذة ، وحذر من التماهي في الاستسلام لاقوال المدعين مناجاة الارواح وتصويرها ، ووصف المذاهب الطبيعية الجديدة في علمي الطبيعة والكيمياء ، من ناحيتها النظرية والعملية ، وكلف بالمباحث الفلكية وتقديمها ، ولم يغفل الاثار وطرأها ومعانيها التاريخية ، والتفت الى نواحي الارتقاء الاجتماعي ، وشرح المذاهب المختلفة في علم النفس على القواعد التي رسمها فرويد ومكدوغال وكوهلر وباثلوف والسلوكيون في اميركا ، ووضع في جميع هذه العلوم الفاظاً ومصطلحات عربية ذاع معظمها وصار مألوفاً ، وأيد نهضة المرأة الشرقية بالدفاع عن حقوقها واشراكها في تحرير المقتطف ونشر ما يلزم لها في حياتها العامة والخاصة ، وكان لا يدع موت علم من الاعلام ، او الاحتفال بذكر علم من الاعلام ، ان يمر من دون ان يبسط سيرته او يخلصها ، سواء في ذلك العالم والطبيب والمؤرخ والاديب والشاعر . فالذين ينعون عليه انه لا يعني الا بالعلم ، يدسون الغرض الرئيسي الذي انشئ له ، ويفعلون ما جاء في مجلداته من مئات الصفحات بل من الوفها ، عن المتنبي وأبي تمام والبحري وامرئ القيس وأبي العلاء وشكسبير وملتن وشلي وتسنس ويرون وكبلنغ وهاردي وغالزوردي وبرنارد شو وفيكاتور هوغو وجوته وبييرلوي واناطول فرانس وغيرهم وما نقل من آثارهم ، وما نشره من فصول في الاحتضارات والقبريات ومنزلة الشعر في التاريخ ومراحي الشعر العالية ، علاوة على ما اثبتته من مختار الشعر لكبار شعراء العربية في عهده فالفصول التالية في هذا الجزء التذكاري ليست الا فصيحة مختارة من مواكب العلم والادب والتاريخ كما توالى في صفحات المقتطف من ستين سنة الى يومنا هذا

يناقض
من
المطبي
الشرق
الانبا
ينهم
الطب
الاسا
ابن
ومن
الطب
من
واند
شركة
اربعاء
وكتا

اطباء الشرق

للكرنور كرنيليو سي فانديك

ليس ثمة تاريخ أسقم من تاريخ اطباء العرب فيقتضي جمع ما يذكر منه من مؤلفات كثيرة بعضها يناقض بعضاً أحياناً والكل ممزوج بمكايات وخرافات لا اصل لها وكثيراً ما يعسر تمييز فاسدها من صحيحها . ومن المؤلفات التي منها جمعت ما اقله في هذا الموضوع تاريخ الدول لابي الفرج الملطي وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ المسلمين لابي الفدا الحموي وكتاب المكتبة الشرقية للقس السمعاني الماروني وكتاب تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النوي وكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وكتاب طبقات الشافعية لابن شهبة

كان العرب قبل الاسلام محصورين في شبه جزيرة العرب وحسب ما بقي من تواريخهم لم يبق منهم عالمٌ شهير طبيباً كان او غير طبيب وانما كثرت فيهم الشعراء . واطباءهم اخذوا ما اخذوه من الطب عن السريان والفرس والهنود ولذلك نذكر بعض الذين اخذ عنهم اطباء العرب قبل الاسلام اي قبل القرن السابع بعد المسيح

(١) قطقه الهندي . كان من مشاهير حكماء الهند وفلاسفتهم . حكى ابو معشر جعفر بن محمد ابن عمر البلخي في كتاب الالوف ان قطقه كان من اشهر علماء الهند في معرفة علم الهيئة وعلم الطب . ومن مصنفاته كتاب اسرار المواليد وكتاب الاقتران الاعلى والاسفل للسيارات وكتاب قوانين الطب وكتاب دوران الافلاك وكتاب منازل القمر

(٢) سندشهل الهندي . حكيم عالم في الهيئة والطب . وذكر في الكتب العربية عدة اشخاص من مشهوري الهنود حكماء في الطب وعلم الهيئة منهم باكور ورجاء وصفا وداهر وانكر وزنكل وشهر واندي وجادي وترجم كثير من مصنفاتهم الى العربية . وذكر الرازي في الحاوي هندياً اسمه شركة ترجمت مصنفاته الى الفارسية ومن الفارسية الى العربية عن يد عبدالله بن علي وكتاب سُسُرُود ترجم من الفارسية الى العربية بمساعي يحيى بن خالد البرمكي وكتاب نداتا ذكر فيه اربعائة مرض واربعة امراض وكتب آخر هندية ترجمت الى العربية مثل كتاب علل النساء وكتاب السكر وكتاب الحيات السامة

(٣) ابو قايل الهندي . كتب كتاباً
سمّاه كتاب الامراض والعلل

(٤) شانك الهندي . حكيم في علم الهيئة
والطب كتب في السموم وترجم كتابه هذا
الى الفارسية ثم الى العربية عن يد العباس بن
سعيد الجوهري لاجل الخليفة المأمون وشرحه
يحيى بن البطريق الآتي ذكره . وكتب كتاباً

في الطب البيطري وكتاباً
في علم الهيئة

(٥) جودك . طبيب
هندي شهير من كتبه
كتاب في المواليذ ترجم
الى العربية

(٦) ثيودورس .
طبيب مسيحي من نيسابور
نال حظاً عند الملك سابور
ذي الاكثاف فبنى هذا
الملك كنيسة في نيسابور
اجابة لطلب ثيودورس .
وماش ثيودورس بين سنة

٣٠٩ و ٣٨٠ للمسيح . و ألف كتاباً في
اليونانية سمّي قواعد الطب العمومية وفي
السرياني كمناشا

(٧) برزويه بن اздهر فارسي من
مرو الشاهجان . تعلم الطب في فارس ثم توجه
الى الهند بأمر الملك انوشروان بن قباد بن
فيرون الذي ملك سنة ٥٣١ و ٥٧٩ واتى من
هناك بكتاب الحكاية الشهيرة التي صنفها بذپاي

الملك من ملوك الهند وترجمت الى الفارسية
ثم الى العربية عن يد ابن المقفع وهي المعروفة
بحكاية كلياته ودمنة

(٨) سرجيوس او سرجيس بن الياس
الراقي من رأس عين مسيحي يعقوبي عاش في
عصر الملك يوستينانوس وترجم عدة كتب من
اليونانية الى السريانية وبعد حين ترجمت الى

العربية في عصر الخلفاء
بني العباس

(٩) هارون او
اهرون القس الاسكندري
الف كتاباً في الطب في
السريانية كان في عصر
هيراكليوس وترجم كتابه
الى العربية

(١٠) عبد الملك بن
ابهر الكفاني . طبيب عربي
مسيحي . وعلم الطب في
الاسكندرية . أسلم في
ايام عبد العزيز بن مروان

والي مصر سنة ٧٠ للهجرة اي ٦٨٩ للمسيح
(١١) اما يوحنا او يحيى المعروف عند
السريان بكرامطيقيوس اي النحوي فكان
اسكندرياً مسيحياً يعقوبياً . دخل الى
عمرو بن العاص وقد عرف موضعه من العلوم
فأكرمه عمرو وسمع من اقواله الفلسفية وكان
عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر
فلازمه وكان لا يفارقه

كان الدكتور كرنيليوس فاندريك
رحمة الله عليه قطباً من أقطاب النهضة
العلمية في الشام في النصف الثاني من
القرن التاسع عشر وقد تعلم العربية
وأجادها وألف فيها في الفلك والكيمياء
والثلثات والنبات والباطولوجيا
والعروض ووضع سلسلة النقش في
الحجر في تبسيط العلوم . وكان استاذاً
في جامعة بيروت الاميركية (السكية
السورية الانجيلية) ومديراً لمرصدها
الفلسفي وكان له على «المقتطف» اعظم
الفضل فانه شجع منشئيه واشترك معهم
في وضع خطته وهذه مقتطفات من
فصل مهيب نشره في مجلده الاول
(١٨١٨ — ١٨٩٥)

اما الاطباء الذين انتهت اليها اسمائهم بين العرب بعد الاسلام فتقسم اعصارهم الى ست مدّات الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ والثانية من ١٥٠ الى ٣٠٠ والثالثة من ٣٠٠ الى ٤٠٠ والرابعة من ٤٠٠ الى ٦٠٠ والخامسة من ٦٠٠ الى ٧٥٠ والسادسة من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ وفي مدة الالف سنة هذه تجد ذكر ٣٠٠ من الاطباء المشهورين الذين لفهم العربية وان لم يكونوا جميعاً عرباً في الاصل ومثلهم من الذين دون الطبقة الاولى ولا يسعنا المقام غير ذكر اشهر المشهورين فنقول المدة الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ اي من ٦٢٢ للمسيح الى ٧٦٧

ان الخلفاء والامراء الاولين اخذوا اطباءهم من المسيحيين واليهود وفي تلك المدة لم يقيم بين العرب طبيب شهير واول من ذكر من اطباء العرب الحرث بن كدة الثقفي طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وطب في ارض فارس وحصل مالا ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف ومن اقواله من سره البقاء ولا بقاء فليماكر الغذاء وليخفف الرداء وليقل من غشيان النساء يريد بخفة الرداء ألا يكون عليه دين . قيل مات في سنة ١٣ للهجرة (٦٣٤ م) من سم سقيته قبل ذلك بسنة (١٣) فضر بن الحرث بن علقمة بن كدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان من الجاهلية وأخذ اسيراً يوم بدر فقتل

(١٤) ابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم طبيب يهودي في اليمامة اسلم في خلافة عثمان ابن عفان سنة ٣٠ للهجرة (٦٥٠ م)

(١٥) ماسرجويه الطبيب البصري سرياني اللغة يهودي المذهب تولى ترجمة مؤلف القس اهرن المشار اليه الى العربية من السريانية في خلافة مروان . حدثت ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ماسرجويه اذا اتاه رجل من الخوز فقال اني بليت بداء لم يبل احد بمثله فسأله عن دائه فقال أصبح فبصري مظل علي وانا اصاب بمثل لحس الكلاب في معدتي فلا تزال هذه حالي الى ان اطعم شيئاً فاذا اطعمت سكن ما اجد الى وقت اتبصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيه فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العسة ثم عاودني فلا اجد له دواء الا معاودة الاكل فقال ماسرجويه على دائك هذا غضب الله فانه اساء لنفسه الاختيار حين اقترن بك ولوددت ان هذا الداء تحول الي والى صياني فكنت اعوضك ما ترك بك مثل نصف ما املك فقال له الخوزي ما افهم عنك قال ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها اسأل الله نقلها عنك الى من هو احق بها منك

(١٦) ثيوذوكس وتيودون طيبيان رومانيان في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان لاولهما عدة تلامذة وكتب في الطب وكان من تلاميذه الفرات بن شحناثا في زمن المنصور

(١٧) ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية الاموي اخذ الكيمياء والطب عن راهب رومي اسمه موريانوس توفي سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م)

(١٨) اسطيفانوس اول المترجمين لخالد بن يزيد ترجم عدة مصنفات من الرومية الى العربية

(١٩) احمد ابن ابراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨ م)

استخلص من كتب بقراط كتاباً سماه اصول الطب ورسالة في النبات المستعمل في الطب

(٢٠) ابو بكر محمد بن سيرين البصري كان ابوه نحاساً من جرجاريا جاء الى عين التمر في بعض المصالح فاخذه خالد بن الوليد اسيراً مع ٤٠ فتي آخرين فاشتراه انس بن مالك ثم فدى نفسه

بعشرين الف درهم وتزوج بصوفيا مولاة ابي بكر فولدت محمداً الذي نحن في صدره في سنة ٣٣ للهجرة (٦٥٣ م) واشتهر في معرفة الحديث وتعبير الاحلام وصار كاتباً لانس بن مالك لما تولى البصرة. قيل ولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة وغلب عليه الدين فالتقى في الحبس. وقبل وفاة انس بن مالك اوصى ان لا يغسله احد ولا يقرأ عليه الصلاة الا ابن سيرين فاني به من السجن ولما كمل الفرض عاد اليه بدون ان يرى اهل بيته. توفي في ١١٠ للهجرة (٧٢٨ م) والّف كتاباً في تعبیر الاحلام كثير الذكر بين الذين اتوا بعده

(٢١) ابن ابي زاحف الف في النبات في نحو ١٢٥ للهجرة (٧٤٢ م)

(٢٢) عبدالله المقفع فارسي محوسي اصلاً اسلم على يد عيسى بن علي عم ابي العباس والمنصور

من بني العباس. الّف كتاباً في الامراض وشرحاً على ارسطوطاليس ترجم من الفارسية الى العربية. قتل بامر صفيان والي البصرة

(٢٣) ابو قريش عيسى الصيدلاني في بغداد في عصر الخليفة المهدي لم يذكر هذا من

جملة الاطباء لانه كان ماهراً بالصناعة واما يذكر لظرافة خبره قيل كان هذا الرجل صيدلانياً ضعيف الحال جداً فتشكت الخيزران حظية المهدي وكانت من مولدات المدينة وتقدمت الى جارتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليه ارتته القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة جليلة عظيمة الشأن وهي حبل بملك. وكان هذا القول منه على سبيل الرزق.

فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منه ففرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت ينبغي ان تضعي علامة على دكانه حتى اذا صحّ قوله اتخذناه طبيباً لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح به المهدي فرحاً شديداً فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعتين فاخرتين وثلاثمائة دينار وقالت استعن بهذه على امرك فان صحّ ما قلته استصحبناك فعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله جل وعزّ لاني ما قلته للجارية الا وقد كان هاجساً من غير اصل. ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سر المهدي سروراً عظيماً وحدثته الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبه فلم

يجد عندهُ علماً بالصناعة الاً شيئاً يسيراً من امر الصيدلة الاً انه اخذه طبيياً لما جرى منه واستصحبهُ واكرمه الاكرام التام وحظي عنده

(٢٤) ابو عبدالله جعفر بن محمد بن علي الصادق السادس من الائمة المستورين العلويين الف في الهئية والكيمياء والرمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ للهجرة (٧٦٥ م)

(٢٥) ابو موسى جابر بن حيان بن عبدالله الصوفي الطرسوسي مولداً الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق. اشتهر في الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ١٠٠٠ صفحة طبع مؤلفه في ستراسبورج سنة ١٥٣٠ وايضاً ١٦٢٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في مدينة باسل سنة ١٥٧٢ وكتاب له في الهئية في نورمبرج سنة ١٥٣٤

في المدة الثانية بقي علم الطب مع الاجانب ولم يشتهر به عربيٌ أصليٌ وفيها اجتهد الخلفاء في ترجمة كتب اليونان والسرمان والفرس الى العربية ومن اشهر المترجمين حنين كما سيأتي

(٢٦) اما اشهر اطباء اوائل هذه المدة فمنهم عائلة بختيشوع اولهم جيورجيوس بن بختيشوع الجنديسا بوري. قيل مرض الخليفة المنصور وكلا عالجهُ الاطباء زاد مرضاً فاخبر عن جيورجيوس هذا بانه من افضل اطباء فكتب الى العامل بجنديسا بور فاتفقه بعد ما اكرمه فخرج ووصى ابنه بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى بن شهلان. ولما وصل الى بغداد امر المنصور باحضاره فلما وصل الى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية. فعجب المنصور من حسن منطقهِ ومنظرهِ وامره بالجلوس فسأله عن اشياء اجابه عنها بسكون واخبره بمرضهِ فقال له جيورجيوس اذا ادبرك بمشيئة الله وعونه فامر له للوقت بخلعة جميلة وانزله في اجمل موضع من دورهِ واكرمه كما يكرم اخص الاهل. ولم يزل جيورجيوس يطيعه حتى برىء من مرضهِ ففرح به الخليفة فرحاً شديداً وقال له يوماً من يخدمك هنا قل تلميذي فقال له سمعت انه ليس لك امرأة فقال لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها وانصرف من الحضرة ومضى الى الكنيسة. فامر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً الى جيورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك فلما انصرف جيورجيوس الى منزله عرقه عيسى بن شهلان تلميذه بما جرى واره الجواري فانكر امرهن وقال لعيسى يا تلميذ الشيطان لم ادخلت هؤلاء الى منزلي أردت ان تتجسني. امض وردهن على اصحابهن فضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم فلما اتصل الخبر الى الخليفة احضره وقال له لم رددت الجواري قال لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده. وفي سنة ١٥٢ مرض جيورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلده فمرض عليه المنصور الاسلام قال يا حكيم اتق الله واسلم وانا اضمن

لك الجنة فقال جيورجوس قد رضيت حيث آبائي في الجنة او في النار فضحك المنصور من قوله فانصرف الى بلده وترك تلميذه عيسى بن شهلاثا عند الخليفة المنصور فالتخذه طيباً . اما هو فأخذ بأذية الناس الى ان اطلع المنصور على امره ففاه . وفي ذلك الوقت كان من اصحاب المنصور نوبخت المنجم الفارسي وكان خيراً بعلم الهيئة فلما كبر وضعف قال له المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك فأحضر ولده ابا سهل . قال ابو سهل فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قيل لي تسم لا مير المؤمنين فقلت اسمي خرشاذماه وطيماذاه ما باذار خسير وايهشاد فقال لي المنصور اكل ما ذكرت هو اسمك قلت نعم فتبسم ثم قال اختر مني احدى خلتين اما ان اقصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان تجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قلت قد رضيت بالكنية فبقيت كنيته وبطل اسمه

(٢٧) وبعد وفاة جيورجوس المذكور قام ابنه بنحيتشوع وصار طيب هرون الرشيد . وبعده

(٢٨) جبرائيل بن بنحيتشوع ثم

(٢٩) جاورجوس بن بنحيتشوع اخو المذكور ثم

(٣٠) بنحيتشوع بن يحيى . وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٠٥٨ م اي مدة الالمائة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب لا يسعنا المقام ذكرها وكتب واحد منهم انجيل السبع . ومن مترجمي هذه المدة حماد بن مطر ترجم المجسطى لبطلميوس وترجم اقليدس وبعض مصنفات ارسطوطاليس وعبد المسيح بن نعيمة والبطريق في عصر المنصور وابو زكريا يحيى بن البطريق . وفي هذه المدة اشتهر بعض الاطباء من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء ولا يسعنا تفصيل ذكرهم . منهم منقة وصالح بن بهلة وعبدوس بن يزيد وموسى بن اسرائيل الكوفي وعائلة الطيفوري وزين الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق بن السباح الكندي المسيحي وقسطا بن لوقا وابو زكريا يحيى بن ماسويه وابو زيد حنين بن اسحق بن سليمان بن ايوب العبادي الشهير بالترجمة الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة الموافقة لسنة ٨٠٩ للمسيح . وكانت حران يومئذ قرية للصائين وقام من الصائين عدة اطباء مشهورين منهم ثابت بن قرة الذي قيل فيه

هل للليل سوى ابن قرة شاف
بعد الاله وهل له من كاف
أحي لنا رسم الفلاسفة الذي
أودى وأوضح رسم طب عاف
فكانه عيسى بن مريم منطقاً
يهب الحياة بأيسر الاوصاف
مثلت له قاروري فرأى بها
ما اكن بين جواني وشغافي
يبدو له الداء الخفي كما بدا
للعين رضراض الغدير الصافي

(المقتطف) كل هذا مهّد لازدهار الطب العربي الذي بلغ ذروته على ايدي الرازي وابن سينا والزهر اوي وذكر هؤلاء الثلاثة وحدثهم وتأثيرهم في نشوء الطب الحديث في اوربا يقتضي سفرأ كبيراً

هرم الجيزة والشعري

من احدى وخمسين
سنة في المقتطف

لمحمود باشا الفلكي

ناظر المعارف المصرية سنة ١٨٨٥

بين الشعري والهرم


قررنا في فصل سابق ان وجوه اهرام الجيزة جميعها مائلة ميلاً واحداً على الافق وان مقدار هذا الميل نحو ٥٢ درجة ونصف . وان جميع ما في الساحة الهرمية من اهرام وهياكل وبرابٍ متجهة نحو الجهات الاربع الشمال والجنوب والشرق والغرب . فكل من هذين الامرين اعني اتحاد المقابر والمعابد في الجهة بحسب الوضع واتحاد وجوه المقابر الهرمية في الميل لا يتأتى وقوعه بموجب الصدفة والاتفاق بل لا بد ان يكون ذلك عن قصد وغرض ديني كان معلوماً عند قدماء المصريين . ألا ترى ان المتأخرين من الامم يجعلون مقابرهم في اوضاع منسوبة الى بيت المقدس او غيره بحسب دياناتهم وان للحد عندنا معشر المسلمين يحضر عمودياً على جهة الخط الواصل منه الى مكة المعظمة بحيث يكون المبحود عند وضعه فيه على جنبه الايمن متجهاً بوجهه نحو الكعبة المشرقة . هذا والغرض الذي اراد قدماء المصريين ربط مقابرهم الهرمية به ونسبتها في الموضع والجهة اليه لا يصح ان يكون مقره على سطح الارض كمكة المشرقة وبيت المقدس وغيرها . فان ربطه بميل اسطحة وجوه الاهرام وهو زاوية ارتفاعه فوق الافق يثبت ان وضعه في السماء في مقر احد معبوداتهم من الكواكب

ثم ان السلف من قدماء مصر لم يكونوا يعبدون في الحقيقة غير اله واحد وهو الذات العلية المتصفة بالقدم والبقاء وجميع اوصاف الكمالات . وكانوا يسمونه أهون را ويتصورونه على كيفيات واشكال مختلفة يتخيلون تجليه لهم بها على حسب الازمنة . وكانوا يصدرون عنه وزراء روحانية او ملائكة تعدد بتعدد مظاهر قدرته جل وعلا وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . وكانت النجوم عندهم مقراً لهذه الخلوقات بل هي عقولها فكان لكل منها كوكب يستدل به عليه وهو روحه وعقله . وارواح الخلق عندهم قديمة لا تفنى والدار الآخرة عندهم دار جزاء

فكانوا يعتقدون ان هناك ملكاً حكماً يحاسب ارواحهم ويزن اعمالهم ويقضي عليهم إما بنعيم دائم او بتعب ومشقة وتعذيب لا نهاية له . وقد كان المصريون يعظمون بعض الحيوانات وربما عبدوها لمشاكتها بعض الروحانيات . فانهم كانوا ينظرون العجل مثلاً كأنه التمثال الحي لثور السماء والكلب الارضي كأنه التمثال الحي للكلب السماوي وهو الشعري

واكبر هذه الروحانيات كانت تدعى بالالهة وكانت عند الاقدمين موكلة بتدبير احوال اهل الارض . والواحد منها يتشكل عندهم باشكال مختلفة يظهر فيها بين الناس حيناً بعد حين كما تشهد به الآثار القديمة الموجودة الى الآن . والكلب السماوي وهو الشعري هو الموكل بحساب الارواح بعد الموت ويتشكل اذ ذاك بصورة رجل رأسه رأس كلب فان هذه الصورة الفظيعة تشاهد منقوشة على جنازة فيها الميت موضوعاً على سرير حوله الآنية الاربعة السكينية المعظمة عندهم . وملك الموت والحساب وهو على الصورة المذكورة ماداً يديه على الميت وآخذ بزمامه وكأن لسان حاله يقول ان المتوفى صار في قبضتي وتحت سلطاني فلا يقرب اليه احد . ثم ان الكلب السماوي المذكور او الشعري يتشكل بشكل ابن آوى عند القضاء على المذنبين بالعذاب الدائم كما يشاهد في نقوش الآثار المصرية . وقد يشاهد هرمس الاكبر ايضاً في شكل رجل رأسه رأس كلب وقابض يده على لوح كاتب ويُرَى في موضع آخر آخذاً في كتابة وزن الارواح . ومعلوم ان هرمس هو الكلب انويس او عطارد المصريين . ويؤخذ من هذا كله ان الصورة التي رأسها رأس كلب وابن آوى وهرمس والكلب انويس وعطارد المصريين كلها مظاهر واشكال للكلب السماوي الذي عقله كوكب الشعري . وان هذا الكلب هو الموكل بأمر الموتى عند قدماء اهل بلادنا . هذا وكان اسم الشعري عند قدماء المصريين ست ومعناه الكوكب والكلب . ويرى منقوشاً على الآثار القديمة ان ست هو السادس او السابع من العائلة الاولى اللاهوتية التي حكمت مصر في اول الزمان . وكثيراً ما ترى الاشارة الدالة على اسم الشعري مجتمعة وملحقة بالعلامة الدالة على إيسيس وهي من اكبر الالهات الاناث المشهورات عند المصريين ثم ان مدن مصر وقراها كانت منقسمة بين آلهتهم فكانت كل مدينة تحت كنف واحد منهم حتى الآثار واشكالها الهندسية فانها كانت منتمية الى بعض الآلهة وعندى ان الاهرام والصور الهرمية كانت تخص الشعري على ما تبين لي من الادلة التالية

الاول : لما كانت الاهرام مقابر كانت ولا بد في كنف متولي امور الموتى وهو الكلب السماوي او الشعري على ما رأيت فانه هو الذي تخافه النفس وتها به وتسلم اليه طمعاً في نعيم الآخرة وفراراً من عذابها الثاني : انه يشاهد في بعض المغارات والمدافن المصرية القديمة اهرام صغيرة موضوعة حول الموتى وتسمى بالاهرام النذرية وقد صور على احد اسطحها الكلب السماوي او الشعري بشكل

رجل رأسه رأس كلب . وقد نقش على اسطحها ادعية واستغاثات يستغيث بها الميت من هذا الاله الفظيع وفي ذلك دلالة واضحة على اختصاص الاهرام بالشعري وانتسابها اليها الثالث : ان الصور الهرمية تشاهد ضمن الرموز الثلاثة التي جعلت علماً للشعري في الآثار القديمة . فان الشعري تتعین عند المصريين بهذه العلامة  وهي مثلث او وجه الهرم وهلال وكوكب وذلك يدل على ان الصورة الهرمية من خصائص الشعري

الرابع : انه كان في قسم الفيوم بناءً جسيم يسمى مدينة لياري وهو مشهور في الآثار المصرية . ولياري اسم ملك من ملوك العائلة الثانية عشرة من الثلاثين عائلة التي حكمت مصر من ابتداء زمن مينا باني مدينة منف الى زمن الاسكندر الكبير على ما قرره منيتو كبير قسوس مصر في زمن البطالسة خلفاء الاسكندر . وكان محله في مكان بركة اللاهون وهو عبارة عن اثني عشر ايواناً كباراً متلاصقة ستة من ابوابها الاصلية متجهة نحو الشمال والستة الاخرى نحو الجنوب وفيها فسحات وطرق كثيرة جداً وتشتمل على ثلاثة آلاف غرفة مركبة من طبقتين طبقة تحت الارض واخرى فوقها . وكان في الزاوية التي ينتهي بها البناء هرم ارتفاعه نحو ثمانين متراً . وقد شاهد هذا البناء هيرودوتوس اليوناني قبل الهجرة بأكثر من الف سنة ووصفه في تاريخه وراه استرابون ايضاً قبل الهجرة بنحو ستمائة سنة . وكان يقال ان هذا البناء اعظم واجمل بناء في الدنيا ولم يكن احد يدخل اليه الا مخفوراً بخفرائه خوفاً من ان يتيه فيه او يخفى عليه باب الخروج منه وكان ملوك مصر يعقدون فيه مجالسهم المهمة ويجمعون اليه كبراء مملكتهم للمشورة اذ كان لكل قسم او مديرية من البلاد ايوان مخصوص فيه

ثم ان دوبروي احد متأخري الفرنج كان يرى ان مدينة لياري هذه هي في وضعها وتشكيل محلاتها وجهاتها عبارة عن منطقة فلك البروج مشككة على الارض بجميع تقاسيمها من بروج او بيوت شمالية وجنوبية ومن صيف وشتاء وايام طوال وقصار وغير ذلك وان الهرم فيها علم الشمس . ويحتج بذلك على ان الهرم يختص بالشمس دون سواها موافقاً لرأي ايلين احد قدماء اليونان وهو ان اشكال المسلات والاهرام تشبه لهب النار واشعة الشمس فلا بد من كونها مختصة بالشمس . لكننا نقول انه اذا صح ان مدينة لياري كانت في وضعها لتمثيل منطقة فلك البروج لزم ان يكون الهرم فيها رمزاً الى الشعري لا الى الشمس لان مدار الشعري كان ممتد في المنطقة وحدها من الجهة الجنوبية قبل الهجرة بنحو اربعة او خمسة آلاف سنة . فكانت بمثابة خفير يمنع الشمس من ان تتعدى حدود طريقها وتنزل الى الجهة الجنوبية جهة الخراب والدمار والهلاك في زعم قدماء المصريين . وعليه تكون نسبة ذلك الكوكب الى منطقة البروج في السماء بالنظر الى الوضع كنسبة هرم مدينة لياري الى المدينة نفسها بالنظر الى الوضع ايضاً . اعني ان

الهرم هنا رمز الى الخفير الذي يخفر الشمس لكيلا تتعدى حد طريقها وتخرج من منطقتها
وعليه فيكون رمزاً الى الشعري

الخامس : ان ما ورد في الاخبار وفي كتب اهل الاسلام عن نسبة الهرم الى هرمس
الاكبر يدل على انه كانت هناك رابطة بين الهرم والشعري . لان هرمس هو عطارد المصريين
وهو الكلب انوبيس او الكلب السماوي او الشعري على ما تقدم

وبالمجلة ان الكلب السماوي او الشعري كان من اهم آلهة المصريين القدماء وطالما تلاعبت به
عقولهم فجلوه رئيساً في خلق الدنيا وبداء سنتهم الالهية وهي الدور الكلي واستدلوا على زمن
فيضان النيل من شروقه في الاحتراق وعلى ابتداء فصل الربيع من غرويه في الاحتراق وعده
سلطان الكواكب وخفير الشمس يحفظها من التعدي الى جهة الجنوب جهة الدمار والخراب كما
سبق عليه الكلام الى غير ذلك مما لا محل له الان . ثم ان اطناب المتقدمين والمتأخرين من
المنجمين وغيرهم في وصف الشعري واعلاء شأنها يغني عن اطالة الشرح . والادلة الخمسة التي
اوردناها يؤيد بعضها بعضاً وتفي كل ريب من ان الاهرام كانت تنسب الى الشعري وتخص
بها عند المصريين القدماء وذلك ما اردنا يانه

فاذ قد تحققنا وجود رابطة معنوية بين الاهرام والكلب السماوي فلا بد ان يكون عدم
اختلاف الميل في وجوه جميع اهرام الجيزة دلالة حسيّة على تلك الرابطة وان يكون جعل هذا
الميل اثنتين وخمسين درجة ونصف درجة عن قصد اعني ان تكون الاهرام من حيث وضعها
وجهتها في نسبة معيّنة الى موضع كوكب الشعري في السماء وقت تشييد تلك الاهرام . وحقيقة
هذه النسبة وسرها لا يدركان الا بعد التأمل في بعض الاصول التنجيمية . ولا يجوز احتقار
هذه الامور في ما نحن بصدد علم التنجيم اصل علم الفلك وعليه كان جل عقائد المتقدمين
من المصريين وغيرهم . فانهم كانوا يعتقدون ان الكواكب تؤثر في احوال العالم السفلي وان تأثيرها
يزداد كلما قرب ان يكون وقوع اشعتها عمودياً على الشيء الذي تؤثر فيه حتى يباغ تأثيرها اعظمه
عند وقوع اشعتها عمودياً على ما تؤثر فيه

فاذا أنعمت النظر في ذلك وفي كون الاهرام مقابر وفي كون امر الموتى من حساب وغيره مفوض
في زعمهم الى الكلب السماوي او الشعري ثبت عندك عقلاً ان ميل وجوه اهرام الجيزة لم يكن
فيها كلها اثنتين وخمسين درجة ونصف درجة الا لقصد وهذا القصد هو وقوع اشعة الشعري
عمودية على وجوه الاهرام المقابلة لها لان قوة سلطان الشعري على تلك الاهرام او لان قوة
تأثيرها في المدفونين فيها لا تبلغ اشدّها في زعمهم الا عند وقوع اشعتها عمودية عليهم كما قدمنا
وعلى ذلك يتحوّل معنا البحث عن تاريخ بناء اهرام منف الى مسألة هندسيّة فلكية وهي

معرفة الوقت الذي كانت اشعة الشعري تقع فيه عمودية على السطح المواجه للشعري من سطوح
الاهرام اعني على السطح الجنوبي منها لانه هو الذي يواجه مدار الشعري اليومي واما بقية
السطوح فلا يصيبها شيء من اشعة الكوكب المذكورة . ولكن الاشعة لا تقع عمودية كما ذكرنا
الا عند صيرورة الكوكب في كبد السماء حيث يتكبد ويلزم ان تكون نقطة تكبد قطباً
للدائرة الحاصلة من تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالمقعر السماوي . ومن ثم ترد المسألة
الى البحث عن الزمان الذي فيه كانت نقطة تكبد الشعري في قطب الدائرة الحاصلة من
تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالمقعر السماوي . ونقطة تكبد الشعري لا تكون في قطب
الدائرة المذكورة الا اذا كان ميل الشعري — وهو بعدها عن دائرة المعدل — يساوي اثنتين
وعشرين درجة ونصف درجة . اي الفرق بين ميل وجه الهرم الجنوبي على الافق وهو ٥٢° و ٣٠°
وبين عرض البلد وهو ٣٠° . وبذلك تتحول المسألة الى صورة سهلة وهي البحث عن التاريخ الذي
فيه كان ميل كوكب الشعري يساوي ٢٢° و ٣٠° . فيكون التاريخ المستخرج بهذا البحث تاريخ
الزمان الذي بنيت فيه الاهرام

ميل الشعري وتاريخ الهرم

يلزم لحل هذه المسألة حساب موقع الشعري او ميلها فقط في زمانين بينهما مدة ما كلف سنة
مثلاً ثم ينظر فيما اذا كان الميل المعين وهو ٢٢° و ٣٠° محصوراً بين الميلين التاليين من الحساب
فان كان محصوراً بينهما يعرف التاريخ المطلوب بتعديل ما بين السطرين او بمجرد تقاسب هندسي
وان لم يكن محصوراً يحسب الميل في زمن ثالث بحيث ينحصر الميل المعين بين اثنين من هذه
الميل الثلاثة . فيستخرج التاريخ المطلوب من عملية تعديل ما بين السطرين
وقد اخترت لذلك سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد ومعلوم ان تاريخ الميلاد متقدم على
تاريخ الهجرة النبوية بستماتة واثنين وعشرين سنة شمسية . ثم حسبت كوكب الشعري في
هذين التاريخين فوجدت ان

مطالعه المستقيمة كانت في التاريخ الاول اي سنة ٢٢٥٠
وميله كان
ومطالعه المستقيمة كانت في التاريخ الثاني اي سنة ٣٢٥٠ ق . م ٤٤ ٤٢ ٣٠
وميله كان

ولم اعتبر في هذا الحساب غير الحركة الحاصلة عن تقهر الاعتدالين . ولكن بمقابلة الارصاد
الجديدة بعضها ببعض وبارصاد بطليموس يتضح ان لكوكب الشعري حركة أخرى خاصة

بواسطتها يأخذ الكوكب في القرب من دائرة المعدل مع الناقص في الكمية تدريجياً بمعنى ان مقدار تلك الحركة من جهة الميل يزداد على حسب التقهقر في الزمان الغابر فانه الآن ١٦١٦ من الثانية في السنة كما يعلم من مقابلة الارصاد الجديدة بعضها ببعض وكان قبل ثمان مائة سنة ١٦٦٢ من الثانية في السنة على ما يستخرج من مقابلة الارصاد الجديدة بارصاد بطليموس التي تاريخها متقدم عن وقتنا هذا نحو ١٦٠٠ سنة وعلى هذا يكون وقت الحركتين ٤٦٠ من الثانية في مدة ٨٠٠ سنة. وعلى فرض ان تغير تلك الحركة جرى منتظماً على المقدار المتقدم آنفاً يستنتج بالحساب ان مقدارها كان نحو ٣٠٢ الثانية قبل عصرنا بخمسة آلاف او ستة آلاف سنة فتكون الحركة المتوسطة في هذه المدة نحو ٢٠٢ الثانية. ولقصر مدة الارصاد الجديدة ولعدم وجود ما يعول عليه من الارصاد القديمة ولو بعيدة في العهد من زمن بناء الاهرام يضطر الى الاعتماد على المقدار المتوسط وهو ثمانيتان وعشر الثانية للتغير السنوي في ميل كوكب الشعري اذ لا سبيل لمعرفة بوجه اضبط من ذلك. على ان الخطاء الذي يحتمل صدوره عن فرض هذا المقدار المتوسط لا يزيد عن مدة قرنين من الزمان وهي قصيرة بالنظر الى بعد عهد تلك المباني

هذا وبما اتنا اتخذنا سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد اصلاً ومبدأً في حساب مقدار تقهقر الاعتدالين وبناء عليه حسبنا مسلي كوكب الشعري لسنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد كما تقدم وكان ما بين هذين التاريخين والتاريخ الاصل اربعة آلاف للاول وخمسة آلاف سنة للثاني لزم تكرار التغير السنوي المتوسط اعني ثمانيتين وعشري الثانية اربعة آلاف مرة وخمسة آلاف مرة. والنتيجان — وهما درجتان وست وعشرون دقيقة واربعون ثانية ثم ثلث درجات وثلث دقائق وعشرون ثانية — بطرحان من ميلي الكوكب السابقين فيخرج من ذلك ١٩ درجة و ١٢ دقيقة ثم ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة وهما الميلان الحقيقيان لميل كوكب الشعري في سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد باعتبار تقهقر الاعتدالين والحركة الخاصة بالكوكب معاً. ويعلم من بعد هذا ان التاريخ المطلوب متقدم بسنين قليلة عن سنة ٣٢٥٠ قبل الميلاد لان مقدار الميل في تلك السنة ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة كما رأيت. وهذا لا يختلف عن الميل المفروض الذي يراد معرفة تاريخه الا بمقدار عشر دقائق. فلك اذاً ان تقول نسبة ثلث درجات وثمانين دقائق (وهو فرق ميلي الكوكب في سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد) الى الف سنة (وهو فرق التاريخين) كنسبة عشر دقائق الى المجهول. ومنه يستخرج مقدار المجهول ثلاثاً وخمسين سنة تضاف الى ٣٢٥٠ سنة فيحدث ٣٣٠٣ سنين قبل الميلاد وهو التاريخ الذي كان فيه ميل كوكب الشعري مساوياً لثنتين وعشرين درجة ونصف وذلك تاريخ بناء اهرام الحيزة واذا اضيفت الى ذلك التاريخ ٦٢٢ سنة وجدت ٣٩٢٥ سنة وهو تاريخ بناء الاهرام في سنين شمسية قبل الهجرة النبوية

ثم ان هذا التاريخ لا يخلو من خطأ يسير ملازم له بالطبع . لان خطأ بعض الدقائق في تعيين ميل وجوه الهرم او بعض انحراف طفيف في اصل وضعه وبنائه مع الخطأ الذي يحصل عن عدم اصابة المقدار الحقيقي للحركة الخاصة بكوكب الشعري يحدث في تاريخ بناء الاهرام خطأ من مائة الى مائتي سنة . لكن هذا الخطأ يسير جداً بالنسبة الى قدم عهد الاهرام الذي يبلغ ٣٢٥٠ سنة قبل الهجرة كما استخرجناه فلذلك لا يعاب به والتاريخ الذي استخرجناه مطابق لما كان عليه جمهور المتقدمين من مؤرخي المسلمين ولما جرى عليه متأخرو الفرنج ممن اشتغل بالآثار المصرية . فان ابن عبد الحكم والمسعودي والقضاعي والمقرئ وغيرهم من المؤرخين يرون على ما استخرجته من كلامهم ان الطوفان كان في القرن الثامن والثلاثين قبل الهجرة وان الاهرام بنيت قبل الطوفان بثلاثمائة او اربعمائة سنة . وابن يونس الفلكي وغيره من المنجمين يجعلون الطوفان في سنة ٣٧١٨ قبل الهجرة . وعلى كل فيكون زمن بناء الاهرام عندهم قريباً من ٤١٠٠ سنة قبل الهجرة وذلك لا يختلف عما وجدته بحساب الشعري الا بنحو مائتي سنة .

واما من جهة علماء الافرنج وخصوصاً من اشتغل منهم بالآثار المصرية فانهم استخرجوا تاريخ بناء الاهرام بطرق متعددة وفقوا بينها بتقنيات سليمة ومباحث دقيقة ووصلوا الى نتائج مطابق لما تقدم . فان بنصن استخرج من بقايا كتاب منيتو ومن ايراتوستين والقرطيس الاثرية المصرية المحفوظة في مدينة تورين بايطاليا ومن الواح قدماء ملوك مصر وغيرها من الآثار الاثرية ان ما بين مينيا او منيس باني مدينة منف وبين زمن اسكندر ذي القرنين ٣٥٥٥ سنة شمسية وان مدة حكم العيال الاربع الاولى الملكية ٥٧٠ سنة اعني ان انتهاء العائلة الرابعة كان سنة ٢٩٨٥ قبل الاسكندر او سنة ٣٣١٠ قبل الميلاد . ولما كان بانبا الهرمين الكبيرين من اهرام الحيزة هما خيوس وشفرن من ملوك العائلة الرابعة بالاجماع وكانت هذه العائلة قد حكمت ١٥٠ سنة فتكون الاهرام المذكورة قد بُنيت في القرن الثالث والثلاثين قبل الميلاد اعني نحو ثلثة آلاف وتسع مئة سنة قبل الهجرة وهو مطابق لما حسبته عن موقع كوكب الشعري . واذا راجعنا ما كتبه العالم بروغش في كتابه الشهير في الاتيكات والآثار المصرية وجدنا ان هذا العالم يرى ان باني مدينة منف متقدم عن الميلاد ٤٤٥٥ سنة وان انقراض العائلة الرابعة كان سنة ٣٤٠٢ قبل الميلاد وان الاهرام بنيت نحو ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد اعني سنة ٤١٠٠ قبل الهجرة . وذلك لا يختلف عن حسابي الا بنحو مائتي سنة . ففي هذا الاتفاق تأكيد لصحة مآراه مؤرخو العرب والفرنج ودليل قوي على صحة ما استنبطته من الروابط والمناسبات بين الاشكال الهرمية والشعري العبور وعلى ان الاهرام بنيت حقيقة نحو اربعة آلاف سنة قبل الهجرة لغرض ديني تعبدى ملائم لعبادة الكواكب

من خمسين سنة

في المقطف

النباتات المصرية

واستعمالها طبياً

للككتور حسن باشا محمود

النبات جسم عضوي ينبت ويفتدي ويتنفس وينمو ويتناسل ويموت . وهو يوجد في كل جانب من الارض مهما كانت درجة حرارته بشرط ان يكون قابلاً للزراعة مروباً بما يكفيه من الماء العذب . قال تعالى «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً سَجَّاجاً لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً» . ومن النبات ما يعيش في الماء ويعرف بالنبات المائي . ويوجد في كل جانب من الارض نباتات تنفع في معالجة الامراض التي تظهر فيها

نبات الخلة

الخلة نبت كثير الوجود في القطر المصري يشاهد في فصل الربيع منتشرأ في حقول الخنطة والمحس والبرسيم والفول وغيرها وينبت فيها لاختلاط بزره بالبذار (التقاوي) فيزرع وينمو معها او لوقوع بزره في الارض قبل زرع الحبوب المذكورة . والخلة نبت سنوي من الفصيلة الخيمية يعيش في الربيع ويحفر في الصيف جذره مغزلي مزين بألياف ذات افهام شعريّة وساقه ترتفع نحو متر عن الارض وهي اسطوانية مجوّفة تحتوي نخاعاً ايض . ويتفرّع بالازدواج والفروع تحمل اوراقاً خيطية خضراء متوالية مركبة . وازهاره بيضاء خيمية الشكل وهي مركبة ومزينة من قواعدها بوريقات خضراء ورأستها عطرية طيبة . وثمره جاف صلب . وهذا النبات ينبت في جنوب فرنسا وقد اظهر الكيماوي ملوس الخوجه بمدرسة الاجزاجية بمونبيلييه انه اذا حرق مئة جزء من الخلة حصل منها ٩٦١ الجرام من الرماد . وقد حلل الرماد المذكور فوجد فيه ما يأتي

٣٨٦٠

كلورور وكبريتات وفصفاة وكر بونات البوتاسا والصودا مع اثر من كلورور وكبريتات الجير والمائيزيا

٤٧١٩

من فصفاة السكس والمائيزيا واكسيد الحديد والمنجنيز

٠٥٥٢١

من السلس والفحم

٩٦١٠٠

المجتمع

وفي هذا النبات مادة راتنجية ومادة دهنية ايضاً عدا عما ذكر وقد اكتشف فيه حضرة الكيماوي ابراهيم افندي مصطفى الخوجه بمدرسة الاجزائية بمصر اصلاً فعلاً سماء الخلدن يشبه الاجسام الثلاثية العناصر ولا يتحد مع الخواض فيكون املاحاً وهو ابيض اللون ذو بلورات ابرية حريرية مرطبة جداً يذوب في الماء الساخن اكثر مما يذوب في البارد وفي الكوؤل

وقد استحضره مكتشفه على هذه الكيفية. اخذ مخلوطاً من اجزاء متساوية من مسحوق ثمر الخلة والحير الممدود بالماء ثم جففه وصب عليه الكوؤل ونجر المخلوط وجففه. ثم مزج المتحصل بالايثر وصعده وصب عليه الماء الغالي ورشحه سخناً

وتركه حتى برد فتكوّنت فيه بلورات اذابها في الحامض الخليك الساخن. ثم ترك المذوّب حتى برد ورشحه فوجد فيه بلورات اذابها في الماء الغالي وترك مذوّبها فتكوّنت فيه بلورات هي الخلدن الذي نحن بصده

وقد ظهر من التجارب التي جرّبها بالخلين على الحيوانات انه يؤثر فيها تأثير السموم الخدرة فيحدث فيها قيئاً وشللاً في اطرافها الخلفية وبطونها في حركات بتفسيها وضربات قلبها

وقد اجرينا التجارب على هرّ فأعطيناه خلاصة الخلة وحقناً كلباً بثلاثة دسجرامات من محلولها وارنباً بدسجرامين منه فلم نشاهد في واحد منها قيئاً ولا شللاً في الاطراف ولكن الارنب مات بعد اربع عشرة ساعة من حقنه فشرحناه فوجدنا مخه ونخاعه محتقنين ومعدته وامعائه منفخة بما فيها من الغازات الكثيرة. والقلب محتويًا على دم مائع. ولم نستطع اعادة التجارب على الحيوانات المعجاء لقلّة

المقدار الذي تيسر لنا من الخلدن وسنعيدها ان شاء الله عند الحصول على ما يكفي منه. ولكننا جرّبنا الخلة نفسها في البشر مراراً عديدة فكان منها نتائج جيدة نافعة جديرة بالفتات القراء اليها ولذلك نفصلها في ما يلي

كان الدكتور حسن باشا محمود ، رحمة الله عليه ، من نوابغ المصريين الذين تلقوا علوم الطب في اوربا في النصف الثاني من القرن الماضي وقد تولى ادارة مصالح الصحة العمومية ورأس مجلس الصحة البحرية والمدرسة الطبية وكان عضواً في الجمعية الطبية في مونيخ وله في المقتطف مقالات علمية نفيسة تقتطف منها ما يلي : (١٨٤٧ — ١٩٠٦)

منافع الخلة في معالجة الامراض

لما كانت الخلة غير مذكورة بين الادوية في المادة الطبية الحالية فقد بذلنا الجهد في تجربتها لمعالجة الامراض فنجحت تجاربنا حتى صارت خليقة بالاعتبار وافية بالفائدة كافية لجعل الخلة عقاراً من العقاقير المستعملة الآن. فلا يخفى ان الخلة قديمة الاستعمال عند بعض المصريين لتسليك الاسنان وهي في غاية المناسبة

لذلك لسبيين الاول انها تنظف الاسنان من بقايا الاطعمة والثاني انها مقوية للثة ومزيلة للاملاح التي ترسب على الاسنان وتضر بها وذلك لوجود مواد ملاحية ومادة مرة ومادة بلسمية في الخلطة. وقد نصح استعمالها معنا في معالجة الامراض التالية على الوجوه الآتية

اولاً . اوراق الخلطة — استعمالها ضحاداً في الاورام الالتهابية للجلد والنسيج الخلوي تحتها كالدمامل والجمرات الحميدة والفlegموني المحدود والتهاب النكفة وقد نجحت ايضاً في القوبة الحادة والمزمنة ثانياً . مغلي بزر الخلطة — استعماله مضمضة قابضة ومقوية في امراض الفم واللسان فأفاد فيها ثالثاً . بزر الخلطة المدقوق — مزجناه بزيت طيب او بالشيرج فكان دهاناً نافعاً في الالتهابات المفصلية وبعد الدهن به يغطى المفصل بالقطن او بالصوف

رابعاً . مغلي بزر الخلطة ايضاً — وجدناه طارداً لبعض الديدان المعوية ومضاداً للحيوانات الخفيفة المتقطعة

خامساً . وقد نصح معنا مغلي بزر الخلطة مراراً في معالجة الرمل البولي الكثير الحدوث في مصر سواء كان لتسكين الآلام الشديدة المصاحبة لهذا الداء او لازالة النوبة او لمنع تكرارها وكيفية الاستعمال هي ان يؤخذ درهم من البزر ويغلى في اربع اواق ماء ويصفى المغلي ويسقى ماؤه للمريض على ثلاث مرات الثلث صباحاً على الريق والثلث بعد الظهر والثلث قبل النوم مدة ثلاثة ايام متوالية ويتمنطق المريض بمنطقة من صوف ويحتمي عن اللحوم في اثناء تلك المدة . وقد استعملت خلاصة الخلطة في شخص فنجحت وذلك اني اعطيته اياها حبوباً في كل حبة ستيجرام واحد من الخلاصة وكان المريض يأخذ من ثلاث حبوب الى خمس في الاربع والعشرين ساعة وقد تحققت من بعض المرضى الذين هم عرضة للرمل البولي انهم باستعمال مغلي بزر الخلطة ثلاثة ايام في الشهر على الكيفية المتقدمة لم تعاودهم نوبة الرمل ولم يصعبهم المغص الكلوي المميز لهذا المرض وقد مضى عليهم الآن ثلاث سنين او اربع وهم سالمون منه مع انهم كانوا قبل استعمال الخلطة يصابون بالنوبة مرة في كل سنة تقريباً . وقد استعملت مغلي بزر الخلطة في معالجة البول اللبني فنجحت ايضاً . ولا بد من اقتصار المريض على اللبن غذاء والانقطاع عن غيره من الاغذية على كل حال

اما تأثير الخلطة في الرمل البولي والحصى الكلوية فيفسر بأمرين اولهما ان الخلطة تمنع تكون الرمل بما فيها من الاملاح والاخر انها تسكن الألم الشديد الذي يحدث في مجاري البول في الكليتين والحاليين بما فيها من الخلين الذي هو جوهر مسكن كالجواهر الخدرة كما ثبت بالتجارب وبسبب وجود المادة الراتنجية في الخلطة يلطف تهيج مجاري البول في هذا المرض . هذا وسنذكر نفع الخلطة في معالجة امراض اخرى متى تأكدنا نجاحها وبالله التوفيق

الليمون
عند الجميع
نقاعها في
والانيميا
الاستعمال
بعض الاشهر
لطرط الديد
تستخرج
١٧٧٧ من
وهي
من العصارة
فيتخذ الحامض
ويعالج بالحامض
منه الحامض
بالتدرج فيتبدل
ويستعمل كما
ويمكن
الناضج بعد
وتترك العصارة
تصفى ثانية
وتترك كذلك
الليمون غير الم
فيقل جرمها
تستعمل
الاشربة
وقطع الاسهال
وتستعمل
جزء

المجموع الحامض (المالح)

الليمون شجرة من الفصيلة الليمونية كثيرة الوجود في القطر المصري وغيره ووصافه معروفة عند الجميع فلا داعي لذكرها والمستعمل منه طبياً الاوراق والازهار والاثمار. فالاوراق تستعمل نقاعها في الحمات العطرية فتنه المجموع الوعائي للجلد وتقوي البنية في الامراض الضعفية والانيميا. والازهار يستخرج منها بالتقطير مع الماء ماء عطر يسمى ماء الزهر وهو كثير الاستعمال شرباً في حال اضطراب القناة الهضمية والدوار. ويدخل في الجرعات المنبهة وفي بعض الاشربة. والثمر يستخرج من قشره زيت طيار طارد للديدان ويصنع من بزره لعوق لطرد الديدان ايضاً. ويستخرج من لبه عصارة حامضة وهي عصارة الليمون وفيها كلامنا الآن تستخرج هذه العصارة بعصر الليمون باليد او بآلة مخصوصة وفي كل مائة جزء من العصارة ١٧٧ من الحامض الليمونيك و ٧٢ من اصل مر وصنع وحامض ماليك و ٥١ و ٩٧ ماء

وهي حامضة بسبب الحامض الليمونيك الذي فيها وهذا الحامض ثلاثي القاعدة ويستحضر من العصارة بطريقة سهلة وهي ان تترك العصارة مدة ثم ترشح وتمزج بالكلس (الجير) وتسخن فيتحد الحامض الليمونيك بالكلس ويتكون منهما ملح غير قابل الذوبان فيجمع ويغسل بالماء الساخن ويعالج بالحامض الكبريتيك فيتكون كبريتات الكلس الذي لا يذوب فيرسب ويرشح فيستخلص منه الحامض الليمونيك ثم يتصعد على نار حتى يتكون على سطحه طبقة بلورية ويترك حتى يبرد بالتدريج فيتبلور كله. وعند ما يراد استعماله يذاب الجزء منه في نحو خمسين جزءاً من الماء ويستعمل كالعصارة او يزداد مقداره عن ذلك بحسب قول الطبيب

ويمكن حفظ عصارة الليمون سنة من الزمان وذلك بمعالجتها على هذه الصورة. يجمع الليمون الناضج بعد ان يشرب ماء النيل ويترك ٤٨ ساعة ثم يغسل ويقطع ويعصر في اناء من الخزف وتترك العصارة فيه ١٢ ساعة لتروق قفصى وتوضع في قنار مسدودة وتترك ثلاثة ايام ثم تصفى ثانية وتوضع في قنار حتى يملأها تماماً وتسد القناري بسدادات محكمة تصل الى العصارة وتترك كذلك فتبقى صحيحة سنة من الزمان. ويعصر الليمون مقشراً او غير مقشر. وعصارة الليمون غير المقشر انفع في امراض القناة الهضمية. ويمكن تركيز هذه العصارة بتصعيدها على نار هادئة فيقل جرمها ويسهل نقاعها. وحذار من وضع العصارة في آنية نحاسية لانه يتكون منها ملح نحاسي سام تستعمل عصارة الليمون صرفاً او ممزوجة بالماء او بالالكحول او بادخالها في الاقراص او الاشربة. من ذلك الليمونات (ليموناده) المستعملة للتبريد والترطيب وتقوية المعدة على الهضم وقطع الاسهال واذا استعملت لقطع الاسهال تمزج بمدقوق البن او نقاعة الشاي وتستعمل في الحميات المتقطعة والنوشة والحمى المعديّة واذا وضع مقدار من العصارة في

فنجان قهوة وشربها المحموم قبل النوم عرق عرقاً غزيراً وانخفضت الحمى او زالت . وتستعمل
ايضاً في الهیضة مسكنة ومزيلة للقيء وفي معالجة داء الحفر قشرب وتدهن بها اللثة . وفي معالجة
الحدار اي داء المفاصل . واذا قطع الليمون وسخن قليلاً ووضعت قطعة على مكان به ألم
عصبي أزاله فهو كثير الاستعمال في الصداع وفي التيك المؤلم . وقد اثبت لنا التجارب نفع هذه
العصارة في الذبحة الحلقية الغشائية (اي الدفتيريا) والجلطية وفي الرمد الصيدي والحبوبي الحاد
والزلي وفي القوباء الجافة . وارشدنا الى استعمالها في الذبحة الحلقية والرمد الصيدي المصري
والرمد الحبوبي الحاد كونها قابضة ومضادة للعفونة وكاوية كياً خفيفاً للسطح المخاطي المنسلخ
لا يخفى ان الذبحة الحلقية على انواع واشدها خطراً الغشائية والجلطية وقد استعملنا عصارة
الليمون في الذبحات البسيطة وفي هذين النوعين ايضاً فعالجنا بها سبعة اطفال منهم بين ثلاث سنوات
وسبع . ثلاث منهم كانوا مصابين بالذبحة الحلقية الغشائية واربعة بالذبحة الجلطية فكنا نغمس
فرشة بعصارة الليمون ونمس بها الحلق اربع مرّات في اليوم مرّة كل ثلاث ساعات ثم نغرغر
الطفل كل نصف ساعة بفرغرة من الماء وعصارة الليمون البلدي ومن لم يستطع التفرغر منهم
اعطيناه اقراص كلورات البوتاسا قرصاً كل ساعة ووضعنا لبعضهم لبخاً مليئة من الظاهر والبعض
قطعاً من الليمون المسخن فشفوا كلهم بعد ان عولجوا نحو اسبوع

واما الرمد الصيدي المصري والرمد الحبوبي الحاد الشديد الخطر والعدوى الكثير الحدوث
في القطر المصري فعالجنا كثيرين من المصابين بهما كباراً وصغاراً في مستشفى الحزاوي فشفوا جميعاً
وطريقة العلاج هي ان تقلب الاجفان وتنظف بالقطن الجديد النظيف وتمس الملتحمة
الجفنية والعينية مرة او مرتين كل اربع وعشرين ساعة بفرشة مغموسة في عصارة الليمون الجديدة
المصفاة ثم تغسل العين بماء ممزوج بعصارة الليمون (كوبة ماء وعصارة ليمونة واحدة) كل ساعة
بعد تنظيف الاجفان من الصديد بقطن نظيف . وقد قضت الحال احياناً لارسال علق على
الصدغين او اعطاء ملين بحسب شدة المرض والاحتقان الملتحمي . هذا ما اكتشفناه حتى الآن
وقد اكتشفنا فوائداً اخرى لهذه العصارة سنذكرها عند ما تتأكد نتائجها افادة للعموم

الحلبة

الحلبة كثيرة الوجود في الديار المصرية ولم تذكر بين النباتات الطبية المستعملة في اوربا
ولكن اطباء العرب استعملوها وذكروها في كتبهم . وهي نبات حشيشي سنوي من ذوات
الفلقتين ذو جذر مغزلي دقيق وساق اخضر حشيشي عقدي مجوّف الباطن مستدير في طرفه
السفلي ومربع في العلوي ويتفرّع من كل عقدة من الساق ذنب غمدي فيه ورقة مركبة من ثلاث
ورقات قلبية الوسطى منها اكبر من الجانبين . ويخرج احياناً من ابط بعض الاوراق اوراق

ثانية اقل حجماً من الاولى . والازهار فراشية انتهائية بيضاء كأسها اسطوانية خضراء ذات خمسة فصوص سهمية مسننة مغطاة بوبر . والتويج ابيض مؤلف من ورقة عليا كبيرة منقسمة الى فصلين ومن وريقتين سفليتين صغيرتين عليهما وبر اخضر . والمبيض كثير المساكن والثمر قربي له مصرعان ومساكن عديدة وفي كل مسكن بذرة مصفرة وفي هذه البزور مادة غروية ملينة ومادة مرّة ومادة نشوية واملاح . وكلما جفّ النبات زادت المادة المرّة

استعمال الحلبة غذاء — تؤكل الحلبة خضراء في ايام الشتاء والذي يؤكل منها الاوراق والازهار والجزء العلوي من الساق . والاهالي يأكلونها مع الخبز كما يأكلون الفجل والجرجير وتبل بالملح والفلفل والزيت والخل سلطة ويمكن طبخها كغيرها من الخضر وطعمها حينئذ كطعم الخبثاى المطبوخة . اما بزورها فكثير الاستعمال في القطر المصري طعماً فيضاف دقيقه الى دقيق الذرة ويصنع منهما الخبز الحيد

استعمال الحلبة علاجاً — تصنع من الحلبة الخضراء ضمادات ملينة مصرفة لبعض الاورام واذا أفرط في اكلها أحدثت ليناً وإدراراً خفيفاً في البول . دعيّت مرة لمعالجة شخص مصاب بالحدار المفصلي المزمن فاستعملت له الادوية الخاصة بالحدار فلم يشف وكانت الاغذية الحيوانية تبعه فوصفت له الحلبة مع الخبز ومنعته عن اخذ الادوية . فأحدثت له الحلبة ليناً وإدراراً في البول وزالت آلام مفاصله وصار قادراً على المشي ولم يمض عليه زمن طويل حتى نقه فأشربت عليه بالذهاب الى الارياض لتغيير الهواء . وامتحن ذلك في مريض آخر فتجحت ثم دعيّت لمعالجة امرأة مصابة بالتهاب في مفصل الركبة اليمنى فامرته باستعمال لبخة من الحلبة الخضراء وبأكل الحلبة نفسها فاستفادت من ذلك كثيراً . وبزور الحلبة الجافة كثيرة الاستعمال والمنافع فان غلايتها المصفاة تنفع غسولاً في الارماد وشربها يصفي الصوت ويسكن السعال في الزلات الشعبية ويدر البول ويقوي المعدة . وتستعمل في الدوسنطاريا شرباً وحقناً ومطبوخها بالعسل مع الثمر والتين نافع في امراض الصدر ومع الخل نافع في الاسهال . ودهن الورد مع الحلبة يقوي الشعر ويزيل النخالية (الهبرية) ويصنع من دقيقها لبخة مثل اللبخة المصنوعة من بزر الكتان . وغلايتها المحلاة بالعسل تستعمل شرباً للنساء وقت النفاس فتكون غذاءً مقوياً وتساعد الرحم على قذف ما فيها من المواد الدموية والمصلية . والقوابل في القطر المصري يصنع من بزورها سداة يضعها في المهبّل امام عنق الرحم ويبقيها فيه ٢٤ ساعة لاجل امتصاص ما في الرحم عند ضعفها لانهم لا يستعملن الحقن . ويستعملن غلاية الحلبة غسولاً للنساء وقت النفاس . والمبلطون يدحجون بها البلاط الجديد بعد فرشهِ . ويظهر من ذلك كله ان الحلبة كثيرة المنافع وتستحق ان تذكر بين النباتات المستعملة طبياً ولاسيما في القطر المصري لكثرة وجودها فيه وبخس ثمنها

خليج العجم في
عدة شهور حتى
الى بيته وسافر
والي اصفهان
واعتقد به و
عليه وعلى آله
وكان الباب

بالعربية او
اكثرها مدو
بين العلماء
الهروي وحيد
بتكفيره ووج
الى بيته وأ
منو جهر خان
المرحوم محمد
محبوساً في جهر
على تحت اير
ايران وولاية
بينهم في بلاد
وخلاصة

كر بلا من با
وملا محمد صا
سوداً ورحلوا
محاربة البايعين
وقاموا للمداف
فصدر الامر
ميرزا والي ما
عليهم العساكر

الباب والبايية

من اربعين سنة

في المقتطف

المسير ميرزا فضل الله البرالي

لا يخفى ان المؤسس للبايية رجلان شيراز من اهل الشرق وهما الباب وبهاء الله . أما الباب فهو شاب شريف من اهل شيراز عاصمة فارس اسمه ميرزا علي محمد ولد في غرة محرم سنة ١٢٣٥ هجرية من عائلة معروفة بالسادة الحسينية من اهل التجارة . وتوفي والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه وربى هو في حجر خاله الحاج ميرسيد علي التاجر الشيرازي . وكان من طفولته مواظباً على العبادات مداوماً على الصلوات فلما ترعرع وشب اشتهر بالتقوى والورع وكان جميل الوجه كثير الوقار ظاهر المهابة بادي النجابة . واشتغل بالتجارة مع خاله المذكور في مدينة بوشهر وشيراز . وسافر قبل اظهار دعوته الى العراق لزيارة مشاهد الائمة كما هو معهود من الشيعة ومكث في العراق اقل من خمسة اشهر وهناك كان اول اشتهار اسمه بين الجمهور فلما رجع الى شيراز وبلغ سنة الخامسة والعشرين ادعى انه الباب (١) وذلك في الخامس من جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية وأول من صدقه وآمن به ملا حسين الشهير الملقب عند الباوية بباب الباب وهو من اهل بيشرويه من بلاد خراسان . وهكذا تتابع عليه حتى بلغ عددهم ١٨ نفساً فسماهم بحروف حي (٢) وأمرهم بالتوجه إلى بلاد ايران والعراق وتبشير العلماء بظهوره ودعوتهم الى اتباعه وحشهم على كتمان اسمه حتى يعلنه هو بنفسه في وقته وتفنن المفسرون لاسم الباب كل على ما توهمه رجماً بالغيب كما يستفاد مما ذكرته الجرائد المصرية حديثاً . فبعضهم فسره بباب العلم وبعضهم بباب السماء وبعضهم بباب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبه « انه هو القائم المبشر بقرب زول المنقذ المجيد ودخول العالم في دور جديد » ولهذا اشتهر اتباعه بالباوية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية ولما اتى موسم الحج توجه الى مكة وبعد فراغه من اعمال الحج اعلن دعوته في الجمع الكبير فاشتهر اسمه وزادت دعوته وعلا صيته ورجع الى ايران ونزل في مدينة بوشهر على

(١) الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر (٢) لان عددها بالابجدية ١٨

خليج العجم فقبض عليه والي فارس حسين خان الملقب بنظام الدولة وبقي محبوساً في مدينة شيراز عدة شهور حتى حدث في بلاد فارس وباء شديد ففر أكثر الاهالي وغفلوا عن حراسته فرجع الى بيته وسافر الى اصفهان ونزل في بيت امام الجمعة مير سيد محمد الملقب بسلطان العلماء . وكان والي اصفهان اذ ذاك الامير الشهير معتمد الدولة منوچهر خان فاجذب من حسن بيانه ومال اليه واعتقد به وكتب الباب كتابه الموسوم بالنبوة الخاصة في خصائص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطلب منه . وكتب ايضاً كتابه الموسوم بتفسير سورة الكوثر بطلب سلطان العلماء وكان الباب يرتجل في خطبه ورسائله حتى قيل انه كان يكتب في اربع ساعات الف سطر بالعربية او الفارسية على غاية من جودة الخط وحسن الاسلوب . ووقع بينه وبين العلماء مناظرات اكثرها مدون في الكتب التاريخية فأدهشهم بقوة قريحته وسرعة قلمه وحسن بيانه . فحدث بين العلماء اختلاف كبير في امره وهيجان شديد منهم من صدقه وآمن به مثل محمد تقي المدرس الهروي وحبيب الله العلوي ومنهم من حكم بحجونه مثل مير سيد محمد واتباعه . والاكثرون اقتوا بتكفيره ووجوب قتله مثل محمد مهدي الكلباسي وأضرابه . فنقله الوالي من بيت سلطان العلماء الى بيته وأخفاه وأظهر انه ارسله الى طهران بأمر المرحوم محمد شاه . فبقي مختفياً في بيت منوچهر خان حتى توفي وتولى ابن اخيه ميرزا كركين خان على اصفهان فأرسل الباب بأمر المرحوم محمد شاه الى طهران فلما صار على نحو مرحلة من طهران ارسلوه الى آذربايجان وبقي محبوساً في جهریق وماكو وهما قلعان من قلاع آذربايجان حتى توفي المرحوم محمد شاه وجلس على تخت ايران جلالة ناصر الدين شاه . وفي اثناء ذلك اشتدت الخصومة بين اتباع الباب وعلماء ايران وولاية البلاد فقاموا يداً واحدة على البايين واتفقوا على لزوم ابادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان وتبريز

وخلاصة هذه الوقائع ان ملا حسين المذكور آنفاً سار مع اصحابه من خراسان قاصدين كربلا من بلاد العراق ولحق بهم الحاج ميرزا محمد علي المازندراني الملقب عند البايية بالقدوس وملا محمد صادق الخراساني الملقب عند الشيعة بالمقدس وهما من العلماء المشهورين فعقدوا اعلماً سوداً ورحلوا فلما وردوا الى ساري عاصمة مازندران حكم ملا سعيد اكبر علماء البلد بوجوب محاربة البايين وابدانهم . فالتجأوا الى مقبرة الشيخ الطبرسي احد العلماء المشهورين وحصنوها وقاموا للمدافعة وكان عدد البايين ٣١٣ نفساً وحصل بينهم مناوشات كان الفوز فيها للبايين . فصدر الامر من الدولة لعباسقلي خان السردار الالريجاني بمحاربة البايين فحاصرهم هو ومهديقلي ميرزا والي مازندران بالمدافع والجنود المنظمة فأوقع بهم البايون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فتابعت عليهم العساكر والمدافع وامتد الحصار وقتل في اثنائها رئيسهم ملا حسين واشتد عليهم الجوع

واخيراً آمنهم الوالي والسردار وخرجوا وسلموا اسلحتهم فاحاطت بهم العساكر وقتلوه ثم بالرصاص جميعاً الا رئيسهم الملقب بالقُدوس وبعض خواصه فأرسلوا الى مدينة ساري وقتلهم ملاً سعيد كبير العلماء باتفاق الطلبة واحرق جثثهم

وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البايية وعلماء الشيعة وكان زعيم البايين الحاج ملا محمد علي الزنجاني احد العلماء المشهورين وكان الوالي امير اسلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه. فعمل الوالي باغراء علماء الشيعة على إبادة البايية واشتبك القتال بينهم واشتد الامر على الوالي فأرسل إلى طهران فأرسلت له العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البايين وفني رجاله عن آخرهم وارسلت بقية منهم الى طهران فقتلوا هناك. وفي مدينة تبريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البايين العالم الشهير السيد يحيى الدارابي ابن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كسنابرق وتحفة الملوك وغيرها. فأل الامر الى قتل السيد يحيى واصحابه بعد تأمينهم فلما توفي المرحوم محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية وجلس على تخت جلالة ناصر الدين شاه في العاشر من سبتمبر من تلك السنة كانت ايران اذ ذاك مصدر القلاقل والفتن بسبب سوء تصرف اترك الايروان المستولين على المناصب في صدارة حاجي ميرزا آقاسي وأعلن والي خراسان محمد حسن خان الملقب بسالار العصيان على الدولة وادعى الملك وعقد صلحاً مع امراء أفغان وبخارى وتركمان وازدادت هذه القلاقل بظهور البايية وما وقع بسببهم من المحاربات الدموية. فعزم ميرزا تقي خان الصدر الاعظم على قتل الباب وظن انه يتمكن من ابادة البايية بقتل رئيسهم فأصدر أمراً بقتله إلى حشمة الدولة حمزه ميرزا والي تبريز وهو عم جلالة ناصر الدين شاه فأبى هذا وقال «ساء ظني وخاب أملي فاني كنت آملاً من دولة ايران تأمرني بمحاربة دولة من الدول الكبيرة وما ظننت أبداً انها ستأمرني بقتل أحد أتقياء اولاد الرسول الذي ما فات منه نافلة من النوافل الدينية ولا أدب من الاداب العالية الانسانية» فامر الصدر الاعظم أخاه ميرزا حسن خان رئيس عساكر اذربايجان بقتل الباب فعلى في ميدان مدينة تبريز وقتل بالرصاص في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هجرية. فلما قتل الباب زاد اشتهار تعاليمه وكذلك زاد اضطهاد اتباعه. واشتهر من بعض رؤسائهم دعاوي مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآية وامثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت اهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات وزاد الطين بلة ان اطلق شاب اسمه محمد صادق التبريزي رصاصة على جلالة ناصر الدين شاه سنة ١٨٩٦ ميلادية حينما خرج جلالتة للصيد من قصره في قرية نياوران وهي على ساعتين من طهران فاشتد الامر في طهران وسائر البلاد على البايين فقبضوا على المتهم والبريء والمطيع والعاصي وقتلوا كثيرين منهم باشد انواع القتل وافظعها

ومن جملة من قتل في هذه الحادثة المرأة الشهيرة قرة العين وهي بنت حاجي ملا صالح
أكبر علماء قزوین . وكانت عجيوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان
وكانت متمية الى الشيخية مكية على مطالعة الكتب الكلامية. فلما ظهر الباب وانتشرت رساله
اعتنقت مذهبها وصارت من أعظم انصاره وكانت اذ ذاك في مدينة كربلا فناظرت علماها
فأفحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها . فحدث هيجان عظيم بين علماء العراق فاضطرت ان تمضي
الى بغداد ونزلت مع بعض خواصها وحاشيتها في بيت ابن الالوسي الشهير مفتي بغداد (وهو
مصنف كتاب تفسير روح المعاني المطبوع في بولاق) ومكثت في بيته نحواً من شهرين وناظرت
علماها بغداد فعرضوا حالها على الاستانة فرجعت الى ايزان بأمر السلطان المرحوم عبد المجيد خان
فلما بلغت ايران ناظرت علماء كرمانشاه وهمدان ووردت الى قزوین وسكنت في بيت والدها
حتى قتل عمها في قزوین فضت الى طهران ونزلت في بيت الشارع الشهير بهاء الدين . فقبض
عليها بعد مدة وبقيت محبوسة في طهران حتى حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ ميلادية كما ذكرنا آنفاً
فقتلت خنقاً والقيت جثتها في بئر الجينة المعروفة بباغ ايلخاني

قال ابن الالوسي « القرية اصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها ام سلمة ولقبها قرة العين لقبها
بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في
عدة اشياء منها التكليف فقيل انها كانت تقول برفع التكليف بالكلية وأنا لم احس بشيء من
ذلك مع أنها بقيت في بقي نحو شهرين وكمن بحث جرى بيني وبينها ورفعت فيه النقية وقد
رأيت فيها من الفضل والكمال ما لم اره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد
حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام واذا وقفت عليه تين
ان ليس في فضلها كلام » الى آخر قوله . وقد خلف الباب رسائل كثيرة وكتباً مدونة
بالفارسية والعربية منها ما ذكرناه ومنها الرسالة العدلية في الفرائض الاسلامية ومنها تفسير سورة
البقرة واحسن القصص وكتاب اسماء كل شيء ومنها البيان الفارسي . واورد عليه اعداؤه ان
كلامه خارج عن الفصاحة وفيه ما يخالف القواعد النحوية . وقيل انه لما انتقدوا عليه هذا
الانتقاد اجاب بأن الكلمات كانت مقيدة فلما ظهر أطلقها من القيد... ولاكني رأيت في كتاب
البيان انه أجاب عن هذا الايراد اولاً بأنه ما قرأ النحو والصرف وما تعلم في المدارس وما
ادعى انه من اهل العلم بل انه شاب فارسي امي مأمور من ربه ملهم بمعارفه . وثانياً بأن منكري
القرآن انتقدوا على رسول الله عليه السلام بأمثال هذه الانتقادات واستشهد ببعض الايات
القرآنية التي انتقدوا عليها بأن فيها ما هو مخالف للقواعد النحوية والاصول اللغوية . والحق
يقال ان كتب الباب وبهاء الله ورسائل فرعه الكريم عباس ليست مما ينتقد عليها بأمثال ذلك

وللباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها مثلاً عبر عن العدد ١٩ بالواحد تطبيقاً على حساب الالبجدية وبجاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء وبني على هذا العدد تواريخ ايامه وطبقات اصحابه وابواب كسبه والسنن والآداب المنسوبة الى طريقته . وله احكام صعبة صارمة قلما يمكن ان يعمل بها نقحها وأصلحها بهاء الله كما سنبينه . واما بهاء الله واسمهُ ميرزا حسين علي فولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هجرية ووالده ميرزا عباس الملقب بزرك النوري كان من كبار وزراء دولة فتح علي شاه والعائلة النورية من العائلات الشهيرة في بلاد ايران

فلما قام الباب واشتهر ذكره صدقه بهاء الله فاشتد به ازربالبايين وعلت كلمتهم وكثرت جماعتهم وانتشرت تعاليمهم في طهران ومازندران وكان بينهُ وبين الباب مراسلات سرية كان الواسطة فيها ميرزا عبد الكريم القزويني كاتب ألواح الباب . فلما حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ م كما ذكرنا قبض على بهاء الله وسجن نحو اربعة اشهر وحوكم بمحضرة جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنه فلما ثبتت براءته من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه امر الشاه بالافراج عنه وإبعاده الى العراق فخرج من طهران مصحوباً ببعض عساكر ايران راقبه بعض فرسان سفارة الروس حفظاً له من الاغتيال في الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٨٩٧ م

ولما اقام في بغداد اشتد ازربالبايين به وطابت مناهلهم بوروده فانه كان على جانب عظيم من الوقار والمهابة والدعة . فأخذ في تهذيب ما فسد من اخلاقهم واصلاح ما انحرف من اعمالهم وأجمع كلمتهم وأشهر دعوتهم فطار صيته وانتشرت رسائله . وطالت اقامته في العراق نحو ١٢ سنة حتى ظهرت حزازات وضغائن في صدور بعض الايرانيين المقيمين في العراق واشتعلت بين الحزبين نار العداوة والشقاق . قال الامر الى ارسال بهاء الله الى الاستانة بأمر السلطان عبد العزيز خان . وبعد ما مكث فيها نحو اربعة اشهر أمر بالمسير الى مدينة ادرنه من بلاد روملي فتوجه اليها وأقام فيها نحو خمس سنين وجد في نشر تعاليم البايين حتى تكررت العداوة وتكررت الشكاية فصدر الامر بنفيه الى عكا من بلاد الشام فتوجه اليها مع اهل بيته وخدامه

ولم ينش عزمه عن تقديم تباعه وتهذيب اخلاقهم مع ما لحقه من الاضطهاد فسن لهم سنناً عادلة وقرظ اذانهم بمواعظ حسنة فوشح رسائله التي زادت عن الالف عدة بأحسن المواعظ والنصائح وزينها بأجل الامثال والشواهد . ففرض عليهم تربية الاطفال ذكوراً وإناثاً بالعلم والادب والاهتمام بتعميم المعارف وتوسيع نطاقها حتى قيل انه أدخل المعلمين في طبقات الورثة وكذلك فرض عليهم الاشتغال بالصناعة والتجارة ونهاهم عن الكسل والبطالة وأمرهم بحب الخلق على اختلاف مذاهبهم وأديانهم وعلمهم ان الاديان شرعت للمعجبة والوفاق فلا يجعلها سبباً للعداوة والافتراق . وحثهم على اطاعة الملوك والرضوخ للقوانين الدولية ومنعهم من الدخول

في الامور السياسية وصرح في كتبه بأن سلطة الملوك سلطة سماوية ومنحة الهية . ولذا منعهم عن التكلم بالسوء في حق الملوك والامراء . وفرق بين المعاملات والعبادات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المجالس العدلية ونهى عن تأويل الكتاب . وكذلك منعهم عن اللعن والسب والشتم والغيبة والافتراء والقتل والزنا وعن كل ما يخالف الانسانية ويحدث القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية حتى منعهم عن حمل الاسلحة الا باذن الدولة ومنعهم عن المتعة والتسري وأمرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوز اثنتين البتة وصعب عليهم الطلاق وعندهم الصوم والصلاة والحج والزكاة على حسب ما فصل لهم في الكتب الدينية فنصح في بث تعاليمه وتحسين اخلاق شعبه الى ان توفي في ١٦ ايار سنة ١٨٩٢ م موافقاً لثاني ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ

وأول من دون وقائع البايية هو ميرزا تقي المستوفي الكاشاني الملقب بلسان الملك مصنف كتاب ناسخ التواريخ فانه ذكر في تاريخه الخصوص بالقاجارية واقعة ظهور الباب وحوادثها موافقاً لما اشتهر عنها عند اعداء البايين فنسبهم الى الفساد والاحاد وذكر عنهم اموراً تنفر منها القلوب وتشمئز منها النفوس . لانه في ايام اضطهاد البايين اجتهد المعاندون لهم في بث المفتريات عليهم ورموهم بالاباحة وفساد الاخلاق فما ابقوا قبيحاً الا نسبوه اليهم ولا رذيلة الا وصفوها بها فأشكل امرهم على الاوربيين فقام جماعة من اهل الفضل والانصاف منهم لكشف عقائد البايية ومعرفة عاداتها . منهم العالم الفاضل مستر برون معلم اللغات الشرقية في كمبردج . سافر الى ايران سنة ١٣٠٥ هجرية وعاشر البايين وأخذ شيئاً من كتبهم وسافر من ايران الى الشام ودخل عكا ولقي بهاء الله فرجع الى اوربا ونشر ما رآه في المجالات العلمية . وكذلك الاستاذ البارون رزن احد الاساتذة في مدارس بطرسبرج ترجم بعض رسائل بهاء الله ونشرها في بلاد روسيا وسائر اوربا . ومنهم الكابتن الكسندر تومانسكي احد الضباط سافر الى مدينة عشق آباد ومنها الى ايران وعاشر البايين وعرف عاداتهم وأخلاقهم وشرع في تأليف تاريخهم . وكذلك قام بعض افاضل الشرقيين لتدوين وقائعهم منهم ميرزا محمد حسين الهمداني صاحب كتاب التاريخ الجديد . وهذا سافر مع جلالة ناصر الدين شاه في سفره الاول الى اوربا وعند عودته اتى الاستانة وعرف شيئاً عن الطريقة البايية . فلما رجع الى ايران صنف تاريخه المذكور وترجم الى الفرنسية والانكليزية في اوربا . ومنهم المؤرخ السائح ابو الفضل محمد ابن محمد رضا الجرفادقاني نزيل بخارى مصنف كتاب فصل الخطاب . وأما لسان الملك المذكور صاحب التاريخ الكبير ناسخ التواريخ فقد عدل لهجته نوعاً في هذا الكتاب عند ذكر حوادث البايية وما كتبه عن وقائع البايية في اصل ناسخ التواريخ اقرب الى الحقيقة مما كتبه في المجلد الخصوص بالقاجارية . وستكشف الايام من غرائب وقائع البايية ما سترته الاغراض السياسية

استعمال قواه
قوته ولا ي
حين الولاد
ولا يحتمله
المتنوعات باله
لهن على اح
ما يهلكن في
وكما تلز
على صحة او

المرض ينتقل
واما من
النوع فسل
فتصوغها في
فتصبح اخلا
للام . هذا
أضر عليه
أن الرذيلة
تدنس بها و

بقي علي
تعلم العلوم و
اذا عرف ذ
المعرفة فيع
ولا تتع
الاجنبية بل
الصحيحة التي
الصحة ووظ

التربية والحجاب

لقاسم امين

من خمس وثلاثين

سنه في المقتطف

لو لم يكن في الحجاب عيب الا انه مناف للحرية الانسانية وانه صار للمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تبشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينه مع ان القانون يعتبرها من الحرية ما يعتبره للرجل — لو لم يكن في الحجاب الا هذا العيب لكفى وحده في مقتبه وفي ان ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها اذا تقرر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن ان يستغنى عنها فانهي التربية التي تناسبها ؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب اولا بد فيها من ابطاله ؟ وهل يعمل فيها على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ؟

ففي المسألة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلان المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تعود الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللواتي يشاركن اقاربهن الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأتها وتستمر عليه من غير انقطاع والا ضعف صحتها وصارت عرضة للأمراض . ذلك لان النوميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبه الجسم وما يفقده بحيث لو اختل هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها . والأمراض التي تصيب الانسان بسبب اهماله

استعمال قواه الجسمية ليست بأقل عدداً ولا بأخف ضرراً من الامراض التي تصيب من ينفق قوته ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها. ثم ان ما تقاسيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الا قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المعتودات العمل البدني المتمتع بالهواء النقي. أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لمن على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهن يعشن عليلات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكن فيها فقد بلغ عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة اولادها ووقايتهم من العلل. لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلان الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق واتممتها عليها. فهي التي تضع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنتشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً للامة بعد ان كانت اخلاقاً للعائلة كما كانت اخلاقاً للعائلة بعد ان كانت اخلاقاً للام. هذا يدلنا على ان المرأة الصالحة هي أنفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي أضر عليه من الرجل الفاسد. ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنس بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلو من شأن المرأة ما لا تعلو من شأن الرجل

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية. هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقته امكنه ان يوجه اعماله الى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

ولا تتحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضاً الى تعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج الى تعلم مبادئ قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأة الى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد . حتى اذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمر شوقها الى الحق فتتحرك دائماً اليه وتعتبر به . وأضف الى ذلك انه ينبغي على البنت ان تعلم صناعة الطعام وترتيب البيت ولا بدّ هنا من توجيه النظر الى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتسمية الميل في نفسها الى الفنون الجميلة . واني على يقين من ان اغلب القراء لا يستحسنون ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار . وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى حدّ يأسف عليه كل من عرف ما لها من الفائدة في ترقية احوال الامم هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد ينسأها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً . هذه هي التربية السكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة فتعدها لان تكون انساناً يكسب عيشه بنفسه وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة والهناء وأماً صالحة لتربية اولادها

مى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكانها العقلية تكون قد بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها فما الذي ينبغي ان تكون عليه بعد ذلك؟ وكيف تعيش؟ أم تحجب في بيتها وتمنع عن مخالطة الرجال ام تطلق لها الحرية في ذلك؟ هذا هو موضوع البحث في المسألة الثانية والثالثة وستتكلّم عليهما معاً لما ينههما من الارتباط

رأى المتقدّمون على تحرير المرأة اننا تطرّفنا في مسألة الحجاب وانما اشرنا برفعه تقليداً للعادات الغربية وزعموا ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليه ضرر لها ولذلك ذهبوا الى وجوب استبقائه والمحافظة عليه وقالوا ان الذي حطّ بالمرأة عن منزلتها انما هو عدم التربية فلو تربّت تربية حسنة لامكنها وهي في الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او كتب في هذا الشأن لا نزال على رأينا ولم يزدنا تكرار البحث فيه الا وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليه

ولا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا الا الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي التعلّم وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عمله فيها الحصول على الشهادة الدراسية وانه متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها بعض ظرفاء الفرنسيين (جلد حمار) عدّ بالغاً في العلم والادب حد النهاية . ونحن على خلاف ما رأوا نعتقد ان التربية

لا تقوم بالمكث التحصيل الا ذلك لان نظريات عامة ادبية فلا قيمة تطبيقها والحد وضررها . وهه لا تكون هذه وكذلك الفائدة في ضب لان قهر الان هذه القوة في الادبية وانما فز اولف كل هذه الاش درجات وام والحجاب ولا تبصر الامير علي ان لا يكون سنين في المد بجسمها وعقل الكون ولط ان تقاسمتا اف والافكار و

لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة وإنما كل ما يستفيدهُ الصبي من ذلك في أيام التحصيل الأولى هو الاستعداد لتكميل عقلاء وخلقِهِ

ذلك لان الصبي في السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمره لا يعرف من العلم الا نظريات عامة ومساائل كلية يحفظها في جمل مختصرة . ومهما كانت هذه القضايا علمية او ادبية فلا قيمة لها الا بظهورها في العمل وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي تدخل فيها او تخرج عنها وجهات تفهمها وضربها . وهذه التطبيقات هي الواسطة الوحيدة في فهم القواعد على حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الا ألفاظاً وخيالات

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق . اذ لا شيء على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط شهواته وقهره نفسه ولكن لا شيء اصعب في العمل من ان يأتي ذلك بالفعل . لان قهر الانسان لهواه وجعله تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة . ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينه وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنه بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتعرض للملاقاة الحوادث وتعود مغالبتها والتغلب عليها

فزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرجات وامامها تهزم النفوس الضعيفة وتسقط الى اسفل الدركات

والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس لأن المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم الا من نوافذ الجدران او من بين استار العربة ولا تمشي الا وهي كما قال الامير علي القاضي « ملتفة بكفن » لا يمكن ان تكون انساناً حياً شاعراً خبيراً بأحوال الناس قادراً على ان يعيش بينهم

ولا يكفي لاجراج المرأة المصرية من هذه الحياة الصناعية التي يشكو الكل منها ان تمكث بضعة سنين في المدرسة ثم تنتقل منها الى بيت تحجب فيه بقية عمرها بل يلزم ان تستمر في الاعناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة . يلزم ان تضع يدنا في يدها ونسير معها في الارض وزينا عجائب الكون ولطائف الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات الزمن الحاضر . يلزم ان تقاسمنا افكارنا وآمالنا وافراحنا وآلامنا ونحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من الاخلاق والافكار والمباحث وتهيدنا بحملنا على رعاية الحشمة والتأدب في القول

عليهم بحكامهم
شهوات لا ز
نعم ان
اوجدوا بعاد
اسواق يحكمها
ولم يسجل
جهد طاقتها

حاذر
عرفه المتأخر
سنن الكائنات
ارض او اح
المضنيات بل
استخراج ال
ولذا تر
والبنية فرض
بصاحبه ان
جسدياً كان
لا يعد الاش
للقرائح والع
قالوا لا سقط
سر هـ
للصناعات و
الاحتفاظ بـ
وقد رأينا كـ
ما ابرمه او
ولو علـ

شرف العمل

شرقي بحث على العمل الحر

لمحمد كرد علي

وزير المعارف السورية سابقاً
ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

من اربع وثلاثين

سفر في المقطف

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت به جمعية « العروة الوثقى » في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى « محمد علي » رأس الاسرة الخديوية . وقد دبت الايام ودرجت الشهور وما برحت الهمم متقاصرة والمبالغ التي جمعت لا تسد عوز النصف مما ينبغي لهذا المشروع الجليل

لا اشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصوله اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل يكشف القناع عن وجه الحقيقة وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الامارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش مضت قرون على قومنا حسبوا الخير برمته محصوراً فيهم وان فضل الله لم يؤته ولن يؤته سواهم وان عندهم كل شيء وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يغنيانهم عن تعرف كل جديد . اغتروا ويا لضيعة الامل بطواهر الحال ذاهبين الى ان الاغيار مهما بلغوا من درجات الرقي بفضل عقولهم لا يدركون شأو سلف هذه الامة في كل مناحي الحياة فاكتفوا من ثم بملايات هي بالاطفال أليق منها بالرجال وبالامم المائتة اشد علاقة منها بالامم الحية ولما انسال تيار الغرب على الشرق واستصفي معظمه واستبيح حتى البقية او كاد اصبح القوم يشعرون بأن تلك الدماوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طول فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التغذية بالاقوال اذ هي لا تغني غناء الافعال بحال من الاحوال بلغ اهل بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد ايقانهم بأن من خرق الرأي قيمة المحكوم

عليهم بحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لا سيما وقد اثبتت التجارب ان اغلبهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وأمرأ جبايات لا أمرأ زراعات وصناعات
نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار الممالك الاسلامية كان بحسنات ملوك وامراء اوجدوا بعلمهم وعدلهم العالم والعامل فانقلب الامر الى ضده لما قضي عليهم حتى قيل « الدول اسواق يحمل اليها ما يروج فيها » ولكن من قال اتا لم تكن في كل ايامنا اهل اتكال مجسم ولم يسجل بأن كل ما اتت به الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منه النفوس الا جهد طاقتها ومبالغ حاجتها

حاذر الاسلام من عواقب الكسل فحض على العمل ولم يأمر بالزهادة على النحل والذي عرفه المتأخرون المعطلون وجاء حائماً على الاخذ من خيري الدارين غير أمر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنت لصالح العمران ما وجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او اجادة صناعة وتجارة لكثرة ما دسه المشعوذون من الزهديات المشبطات والخرافات المضنيات بل ولولا الحاجة الطبيعية الدافعة في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكر في استخراج البر من سنبله او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب
ولذا ترى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانية بصبغة دينية فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية . وقام بعد السلف خلف وهموا الدخول في غمار العاملين مزرعاً بصاحبه ان كان له ما يكفيه من حطام الدنيا . وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسدياً كان او عقلياً لا يثلم شرف الآخذ نفسه به . وان كل ما ساع ربحه وجوزّه قانون لا يعد الاشتغال به عورة في وجوه الاحساب ولا مضية للاستعداد والكفاءات ولا متلفة للقراخ والعقول . قال علي كرم الله وجهه اني لا ارى الرجل فيعجبني فأقول آله صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

سر هذا الخراب العظيم الذي تصاب به البيوتات في مصر والشام احتقار الاجداد والاباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفاؤهم من تربية ابناءهم بأن يغرسوا في عقولهم حب الاحتفاظ بثرواتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يعملونه بعد وفاة والديهم الجري على آثارهم . وقد رأينا كثيرين جزعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم فأوقفوها ولكن ابناءهم وورثتهم نقضوا ما ابرمته اولئك المورثون وتصرفوا فيها بما شاءوا
ولو علم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخريتهم لا اولادهم بل الملكات الصحيحة

فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تبذل العناية في استثمارها واستنباتها وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى للفقراء ابناؤهم ما يرتفعون به عن الدنيئة اذا تجردوا يوماً عما يملكونه

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم وتسمع من انبائها عجباً كانت بما من من غوائل التبدد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابه . وتدارك اهل الغرب سر هذه القاعدة فرأينا ثمات من بيوتهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة عدة قرون وبطون على حين لم تدم نعمة بيت في بلادنا الا ثلاثة اجيال في الغالب

ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالى قارة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبرائهم في احتقارها فحققت الا بقايا تدل على القديم دلالة الاثر على مؤثره . وليت شعري هل اضمحلت بأسباب خارجية أم داخلية وجدت في جو البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة نابذ أهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكن خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلادة . ام عرت اهل البلاد امور طبيعية ربت فيهم الخمول وعششت الجبر المحض في قلوبهم فطفئت جذوة العمل من رؤوسهم . وسكان الاقطار الحارة على رأي العمرانيين تضعف قواهم العقلية والجسدية وتغلب عليهم الخفة والطيلى فيطربون للجزئيات ويتأثرون بها ولا يكون للكتليات ولا يحزنون عليها وكلما درت اخلاف الطبيعة وأمرعت اكناف الغبراء بحيرات الخضراء وأصبح الرزق ميسوراً اخضب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصناعات وانحلال الاجسام بحيث بعدت عن العمل فلم لم يُصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي بما أصبنا به منذ قرون وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتها متشابهة بطبائع اقاليمها وأهلها . وها انتا ترى الفرس وهم اخواننا في الانحطاط لم يزالوا متوفرين على الصناعات شأنهم في القديم وامتازوا بها على مجاورهم امتياز الانكليز على جميع امم الغرب بملكهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلائع من جيش المشاركة وغيرهم كالقواعد والمخلفين

وبلغنا لهذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبخارى والافغان انهم يقضون الساعات في عمل ما من نجارة وحدادة وحياسة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها ويعودون بالمرانة عليها عضلاتهم وان لم يتوقع اكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لعهدنا فانه لا بد لكل واحد منهم ان يختص بصناعة تفيد مجتمعه وتسليه في وحدته وترويض جسمه وترفع قدره

ومثلهم

المؤسس الثاني

عاش بصقل

الانكليز كان

كان سمساراً

وهو مرتد

وكثيرون

روزي بري كبير

هارنجتون

بدر

(١) راجع

جزء

عن نسبة البطالة اليه « وغبار العمل خيرٌ من زعفران العطلة ». ولعلَّ الفرس ورثوا حب الصناعات فتسلسلت فيهم لانهم من اصل آريّ يجتمعون والسكسونيين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألا وان الصناعات ليست كما يعتقدونها في بلادنا من أشربت قلوبهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل . فقد مارسها كبار رجال الخليفة وما تقزّزوا منها وهم ينزعون الى اسمي المطالب وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجاراً وموسى راعياً ومحمد تاجراً وصحابه كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان بزّازين وعمرو بن العاص جزازاً وسعد بن ابي وقاص ييري النبال وابو حنيفة النعمان خزازاً يبيع الخبز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على غناه يجلب المواشي الى الكوفة والثعالب صاحب اليتيمة كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعه وابن حوقل الجعفي كان تاجراً وياقوت الحموي الجعفي اشتغل بالتجارة وابو بكر القفال الفقيه المروزي كان ابتداءً اشتغاله بالعلم على كبر السن بعد ما افنى شببته في عمل الاقفال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليق وبيعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجاً . وهكذا لو تقصيت سير المشاركة من قبل نجد في علمائهم وامرائهم الفلاح والنساج والحائك والفرّاء والخياط والصفار والقصار والمعمار والحجار والعطار والبيطار والدهان والسمان

ومثلهم كثير في المغاربة ^(١) فقد كان من الصنّاع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاينا وكان افلاطون الحكيم زياً تاً يطوف بلاد مصر وسينوزا الفيلسوف اليهودي عاش بصقل زجاجة المناظر ولينيوس النبائي تعلم وهو يعمل في السكافة وشكسبير رأس شعراء الانكليز كان يدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجراً ويبي الفلكي كان سمساراً ويوحنا ستورت ميل الفيلسوف فاحصاً في شركة الهند الشرقية . وتعلم فرغوسن الهيثية وهو مرتدٌ بجلود الغنم على رؤوس التلال ، ومملر درس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع . وكثيرون من الاحياء يتجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقشة واللورد روزبري كبير وزراء انكلترا له تجارة واسعة يبيع اللبن واللورد لوندندري يبيع الفحم واللورد هارنجتون يبيع الثمار والبقول

(١) راجع كتاب سر النجاح لمعرب منشيء المقتطف فقيه الغنية من اخبارهم

لاجرم ان النهوض بالشرق متعذر ما لم يسع اليه كبرأؤه ومتى فكرت الطبقة العالية فيما انتهت اليه حال البلاد يحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرهما من الرجال العاملين يُرجى للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقه الغرب . واليك مثالا من حال هذين الرجلين في العلم والعمل

كمال بك رأس النهضة العثمانية الاخيرة وقائد عصابتها واكبر كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية . ومن جملة ما عمله في احدى نقياته الى جزيرة رودس ان تقرب من بعض معلمي الكتاتيب وطفق يصلح لهم طرق التدريس ويث الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم النافع ولم تمض سنوات حتى تخرج بفضلهم نحو ثلثمائة طالب قاموا بدعوتهم واهتدوا بهديه

وكان من امر هدايت باشا انه مر بحلب على ماروي فاضل حكيم ذاهبا الى البصرة واليا عليها فلما كان يطوف ازقة الشهباء بصرفا فعلا يحمر الطين على طريقة صعبة لا يحسن بها فوقف قائلا للفاعل ما هكذا يعمل الطين وأشار عليه بأسلوب أسهل وأحسن فلم يفهمه فما كان من المشير المشار اليه الا ان خلع حذاءه وسراويله وراح من ساعته يقوص في الطين الى نصفه ليعلم العامل كيف يحبل التراب . وصارت القاعدة التي علمه اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فيمثل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترقي البلاد في شؤونها المادية والمعنوية ومن لنا بأمثالهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة او معملا للصناعة والزراعة والتجارة . وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعة واحدة فللكون سنن لا يتعدها ولا ارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان نهض بأنفسنا لا بحكامنا ونتشبه بالناجحين ما ساعدت المكنة ونبدأ بالجزئيات لنصل منها الى الكليات

والعالم ميدان جهاد لا تنفع فيه الا الحكمة العملية ولا يسبق الا من توافرت لديهم ادوات الكفاح ونفت في نفوسهم روح العلم . وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلادة والتجادة وسر النجاح مكتوم في بطون الليالي لا يفشى الا لمن تسعه صدورهم . وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين . فطوبى لمن بورك له بساعات حياته فانفقها في جلب المنافع ودرء المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمر ركاز إيريز فضن بهما وسعى في ايقاظ شرقتنا من رقدته المزمنة ولنعاشه من صرعه المحزنة

فلسفة الاحلام

من عشرين سنة

في المختطف

لفيلسوف هنري برغس

ان الموضوع الذي اريد الكلام عليه الآن كثير التعقيد يتناول مسائل مختلفة مما هو في حد الغموض والاشكال بعضها سيكولوجي (نفسي) وبعضها فسيولوجي وبعضها مما وراء الطبيعة ولا يمكن استيفاء الكلام عليها الا في ساعات كثيرة ولذلك اغض الطرف عن كل ما لا تمس الحاجة الى ذكره واقتصر على ما قلّ ودلّ

يمكن تحديد الحلم بأنه ادراك اشياء لا وجود لها في الخارج فاني ارى في حلمي رجالاً وأشعر اني كلمهم وسمعت كلامهم ولم يكن امامي رجال ولا انا تكلمت . وأشعر كما اني رأيت اشياء حقيقية وأشخاصاً معلومين لكني لا ارى أثراً لتلك الاشياء وأولئك الاشخاص حينما استيقظ فكيف حدث ذلك

ولكن لم يكن هناك شيء اي ألا يكون حول النائم شيء مادي يؤثر في مشاعره وقت الحلم اي في عينيه وأذنيه وسائر اعضاء جسمه

اغض عينيك وتأمل فيما يترأى لك وأنت مغبضهما . قد تقول انك لا ترى شيئاً . ولكن كرر اغماض عينيك وتأمل كأنك تتبين شيئاً تراه فتصور انك ترى اشياء كثيرة ترى اولاً فضاء اسود ثم قد ترى في هذا الفضاء نقطاً منيرة تحيى وتذهب وتعلو وتهبط رويداً رويداً وكثيراً ما ترى بقاءً مختلفة الالوان وقد تكون ألوانها قائمة وقد تكون لامعة وهي تتسع ثم تضيق دوائيك وتتغير شكلها ولونها سريعاً او بطيئاً وتدور على محاورها بسرعة تهر النظر . وقد بحث علماء النفس والفسيولوجيا في سبب هذه البقع وتغير ألوانها وعلوها بما يصيب شبكية العين من تغير دورة الدم فيها او من ضغط الجفنين على الحدقة وتأثير ذلك في عصب البصر . ومهما يكن سببها فهي اساس الاحلام كلها فهي اسبابها الداخلية ويضاف اليها اسباب خارجية

وهي ما قد يؤثر في عيني النائم من صور المرئيات لان العين تميز بين النور والظلمة ولو كانت مطبقة الجفنين وقد تميز بين نور ونور. وفعل النور بالعينين ولو كانتا مطبقتين يؤثر في كثير من الاحلام فاذا ادخل مصباح الى غرفة بغتة وكان النائم فيها غير مستغرق في نومه فقد يحلم انه رأى ناراً شبت في منزل فأحرقته.

مثال ذلك ان رجلاً اسمه ليون حلم ان تيارو الاسكندرية احترق وسطع نور النار حوله ثم انتقل هو فجأة الى البركة التي في قلب المنشية فدارت النار على السلسلة التي حولها ثم انتقل الى باريس في زمن المعرض واذا النار شابة فيه فاضطر ان يشترك في معمة كبيرة واستيقظ حيثئذ وفتح عينيه فرأى ان الممرضة دخلت غرفته ويدها مصباح ليلى وقع نوره على وجهه بغتة

وحدث مثل ذلك لرجل آخر كان مريضاً فانه حلم انه عاد الى البحرية التي كان فيها قبل مرضه وذهب الى طولون ولوريه والقرم والقسطنطينية ورأى البرق وسمع الرعد واشترك في معركة بحرية ورأى لمعان النار من افواه المدافع فاستيقظ مذعوراً واذا هو يرى الممرضة دخلت غرفته ويدها مصباح ليلى وقع نوره على وجهه. ونور المصباح الذي دخلت به الممرضة سبب الحلم الاول والثاني حالما وقع على العين اي انه نبه الحالم الى صور محفوظة في ذاكرته

واذا كان النور مستطيراً مستمراً كنور القمر كان تأثيره في النائم غير تأثير النور الساطع الذي يقع بغتة فانه يحلم حيثئذ انه يرى فتاة جميلة المنظر او نحو ذلك من الاحلام التي تروقه

وكما يؤثر النور في عيني النائم تؤثر الاصوات الخارجية في اذنيه عدا ما فيهما من المؤثرات الداخلية كالطين والدوي والصفير ونحو ذلك مما قد نشعر به ونحن مستيقظون وقد لا نشعر ولكننا نشعر به حتماً ونحن نيام. فاذا تشقق الاثاث من شدة الحر او وقع المطر او هبت الريح او قصف الرعد اثرت كل هذه الاصوات في اذني الحالم فحوّلتها الى حديث او غناء او صراخ او ما اشبهه. لكن الاصوات لا تؤثر في احلامنا كالالوان لان اكثر الاحلام نظري لا سمعي فكثيراً ما يحلم النائم انه يتكلم مع شخص ويحدثاحادثة طويلة ثم يشعر انه لم يتكلم بل كان عاجزاً عن النطق وان محدثه لم يتكلم ايضاً بصوت مسموع بل كان يتخاطب بينهما بالافكار ويكون ذلك اذا لم تسمع الاذن صوتاً لان الانسان لا يقدر ان يستنبط شيئاً من لا شيء اما اللمس فتأثيراته كثيرة اكثر من مؤثرات السمع ويمكن ان تتكلم ساعات عما يحلم به الانسان من تأثير اللمس فيه وهو نائم لان هذا التأثير يمزج بالصور التي ترد الى الذهن عن طريق البصر فينوّعها وينسجها تنسيقاً مناسباً له فكثيراً ما يشعر النائم بخفة غطاءه فيحسب انه

لابس ثياباً رقيقة لا تدفئه او انه عارٍ او حافٍ واذا كان يحلم حينئذ انه في احد الشوارع
شعر ان الناس ينظرون اليه غير مستعربين ولو استغرب هو ظهوره امامهم على تلك الصورة .
وهذا النوع من الحلم يحلم به كل احد . ومن الاحلام التي يحلم بها الجميع الطيران في الهواء
او في الخلاء واذا حلم الانسان هذا الحلم مرة تكرر حلمه به مراراً ويقول في نفسه ان
طيراني في المرة الاولى كان وهماً واما الان فهو حقيقة لا ريب فيها . ولكنه اذا استيقظ حينئذ
لم يتعذر عليه تمليل هذا الحلم اذا انعم نظره وذلك انه يكون محملاً على فراشه وقدماه غير
ماستي الارض فهذا الشعور بانه محمول على غير قدميه يجعله يعتقد انه طائر واذا كان نائماً على
احد جانبيه حلم انه طائر على ذلك الجانب

ومن اهم تأثيرات اللبس ما يشعر به النائم من حركات اعضائه الباطنة ولا سيما امعائه فان
هذه الاعضاء تتحرك على الدوام في النوم كما في اليقظة اما في اليقظة فقلما نشعر بحركاتها لانشغالنا
عنها باعمالنا المختلفة وليس الامر كذلك ونحن نيام فالمعرضون لالتهاب الحنجرة واللوزتين يحملون
ان قد ضيق خناقهم حتى كادوا يخنقون ومتى استيقظوا وزال الحلم زال هذا الشعور ايضاً
ولكن لا تمضي ساعات كثيرة حتى يصابوا بالالتهاب حقيقة اي انهم يشعرون به وهم نيام قبلما
يشد حتى يشعروا به وهم مستيقظون . وقد ذكرت امراض وآفات كثيرة حلم بها البعض وهم
نيام قبل اصابهم بها فعلاً بحسب الظاهر ولذلك رأى بعض الفلاسفة مثل شو بنهور ان في داخل
الوجدان صدى ما يقع من الاضطراب في المجموع العصبي السمباثوي وقال غيره مثل شرز ان
كل عضو من اعضاء الجسم يسبب حلمًا خاصاً به . والف بعض الاطباء مثل اربنغوس كتباً
قالوا فيها انه يمكن الاستدلال بالاحلام على نوع المرض . واخيراً ابان المسيو تسيه كيف ان
الاحلام المختلفة تدل على الآفات التي تصيب اعضاء الجسم المختلفة كأعضاء الهضم واعضاء التنفس
واعضاء الدورة الدموية

وزبدة القول اننا ونحن نيام لا تنقطع مشاعرنا عن التأثير بالمؤثرات الخارجية بل تبقى تتأثر
في النوم كما تتأثر في اليقظة . ولو لم يكن فعلها محكماً في النوم كما في اليقظة وان المؤثرات التي تؤثر
فينا في اليقظة ولا نشعر بها لانشغالنا بغيرها يبقى تأثيرها فينا فنشعر به ونحن نيام اذ تنقطع
لافتنا . فجمال شعورنا لا يضيق ونحن نيام بل يتسع ولو في بعض الجهات . نعم انه يضعف
في شدته ولكنه يتسع في نطاقه فيأتينا بتأثيرات كثيرة مشوشة وهذه التأثيرات هي الخيوط التي
تنسج منها احلامنا ولو كانت غير كافية وحدها لنسج الاحلام لغموضها وعدم وضوحها فاذا شعر

البقية لا يراها
غولشيدر ومما
وحذا بعضاً وع
قصيرة جداً لا
ان يقرأ تلك
الحروف المك
يعني عقله ولذ
الحروف التي
اي جعلته يتد
وعليه فالقراءة
يدركه واكثر

النائم بشيء من النور والظلمة فقد يتصورها كتاباً ابيض الورق اسود الحبر او بيتاً ابيض الجدران اسود الشبايك او نحو ذلك من الصور التي فيها ابيض واسود . والذاكرة تحكم بأن ما يراه النائم هو هذا الشيء او ذاك . فاذا كان الانسان نائماً نوماً عميقاً فذاكرته التي تنسج احلامه من الامور المحفوظة في ذاكرته تتبته بالتأثيرات الخارجية والداخلية التي تحدث له حينئذ فيتولد الحلم من مجموعها وقد تكون هذه المحفوظات اموراً قديمة لا يتذكرها الانسان وهو مستيقظ فتستخرجها الذاكرة من اعماق نفسه وهو نائم . والغالب انها اشياء وقع نظره عليها واصوات دخلت اذنيه وهو غير منتبه . او تكون من بعض محفوظات الذاكرة التي نسي اكثرها وبقيت فضلاتها في مخادع الدماغ فلتقطها الذاكرة حينئذ وتمزج بعضها ببعض على غير نظام وتخلطها بالتأثيرات التي تقع على مشاعر النائم مما حوله

فالانسان
به وهذه الصور
ذلك الوقت فهو
والظاهر
يستدعيها . ويؤ
كلمة غير مألوفة
واحد الى جا
فيقول الراي
ذكر برغنس
والكلمة التي
اسم شجرة مخ
اذنيه كلمة مدينة

واني اعتقد ان كل سيرتنا الماضية محفوظة بتفاصيلها في نفوسنا لم يفقد منها شيء . كل ما شعرنا به وادركناه وافكرنا به واردناه من اول ما ابتدأ شعورنا . كل ذلك محفوظ في مخادع النفس ولكنه غير ظاهر للعيان فهو يتوق الى الظهور ولكنه لا يجد اليه سبيلاً من تلقاء نفسه ولا نحن مهتمون بأمره او متفرغون له لان لدينا مشاغل اخرى تشغلنا عنه . ولكن اذا اتفق ان انقطعنا عن اشغالنا اي عملاً يتسلط على ذاكرتنا ونمنا تخلصت هذه المحفوظات من قيودها وخرجت من مخادعها وبادرت كلها يزحم بعضها بعضاً لتحضر امام الذهن في وقت واحد فيتذكر عليها ذلك لكثيرتها ولا يصعب علينا ان نعرف ايها يتمكن من الحضور . فالمستيقظ يتذكر الامور التي لها علاقة بما حوله من المراتب والمسموعات والمهوسات وحينها ينام يحدث مثل ذلك اي انه يتذكر ما يلائم المؤثرات التي تؤثر فيه حينئذ ظاهراً وباطناً كالاشعة التي تتلألأ امام عينه ولو كانتا مغمضتين والاصوات التي تقرر اذنيه ومن مجموع هذه وتلك يحدث الحلم اي ممياً شعر به المرء وهو نائم ومن الصور المرسومة في ذهنه من شعوره السابق . ثم ان الشعور الحاضر لا يكون واضحاً جلياً فتختار له الذاكرة الثوب الذي يلائمه وتلبسه اياه

فالحلم مثل كل المدركات في تولد وتكسفه . فاننا اذا نظرنا الى جسم من الاجسام فما نراه منه قليل في جنب الصورة العقلية التي تريها اياها الذاكرة فالذي يقرأ هذه الصفحة لا يرى كل كلمة من كلماتها وكل حرف من حروفها ولو اراد ان يتبين كل كلمة فيها وكل حرف لقضى في ذلك ساعات كثيرة والحقيقة ان الذي يحسن القراءة لا يرى من الكلمة الا بعض حروفها وقد لا يرى من العبارة الا بعض كلماتها او ما يكفي للاستدلال على البقية وفهم المعنى . وهذه

(١) « المقتطف
بعض حروفها ومع
وبعض الحروف
(٢) (المقتطف
مقي خزنت صور
المألوف او رسم

البقية لا يراها ولكنه يتصور أنه رآها^(١) وقد ثبت هذا بتجارب كثيرة من ذلك تجارب غولدشيدر ومُلّر فانهما كتبا بعض العبارات المألوفة واخطأ في كتابتها عمداً فأبدل بعض حروفها وحذف بعضها وعرضت هذه العبارات في غرفة قليلة النور امام رجل ثم انيرت بالنور الكهربائي برهة قصيرة جداً لا تكفي القارئ للمرور بنظره على اكثر من ربع الحروف ومع ذلك سهل عليه ان يقرأ تلك العبارات من غير خطأ . ولما سئل عن الحروف التي رآها حقيقة ذكر بعض الحروف المكتوبة وبعض الحروف المحذوفة ايضاً حاسباً انه رآها بعيني رأسه والحقيقة انه رآها بعيني عقله ولذلك يرى القارئ صحيحاً بعض الحروف المرسومة خطأ . ويفسر ذلك بان الحروف التي وقعت صورتها على عينه ايقظت في ذهنه صور هذه الكلمات كما كان يقرأها قبلاً اي جعلته يتذكر صورها الصحيحة . فالذي يدركه القارئ حينئذ هو ما يتذكره لا ما يراه . وعليه فالقراءة السريعة نوع من معرفة الغيب لان ما يراه القارئ حينئذ هو جزء صغير مما يدركه واكثر ما يدركه كان مخزوناً في دماغه^(٢)

فالانسان وهو مستيقظ يفعل دوماً ما يفعله وهو نائم اي انه يدرك صورة ناقصة لما يشعر به وهذه الصورة تنبه الصورة الكاملة التي في ذاكرته وهذه الصورة الكاملة تكون كامنة في ذلك الوقت فتوقظها الصورة الناقصة وتنبيه الذهن لها

والظاهر ان محفوظات الذاكرة ترتب وتتساق بحسب اجناسها وانواعها حينما يحدث ما يستدعيها . ويؤيد ذلك تجارب اجراها منستربرج قبل غولدشيدر ومُلّر وهو انه كان يكتب كلمة غير مألوفة كتابة صحيحة ويعرضها لعيني الراي مدة قصيرة جداً لا تكفي لرؤيتها جيداً ويقيم واحداً الى جانب الراي مهمس في اذنه كلمة اخرى لا مشابهة بين معناها ومعنى الكلمة المكتوبة فيقول الراي انه رأى كلمة تشبه الكلمة المكتوبة في صورتها والكلمة التي سمعها في معناها (وهنا ذكر برغنس الكلمات التي كتبها الممتحن وهي المانية وهي بمثابة لو كانت الكلمة المكتوبة مفتون والكلمة التي سمعها شجر فانه يقرأ زيتون كانه رأى الواو والنون وسمع كلمة شجر فتنبهت في ذهنه اسم شجرة محتومة بالواو والنون . وكذلك اذا كانت الكلمة المكتوبة فستق وهمس واحد في اذنه كلمة مدينة فانه يقرأها دمشق وهلم جرا)

(١) « المقتطف » ويصدق هذا بنوع خاص في قراءة الخط فان بعض الكتبة لا يكتبون من الكلمة الا بعض حروفها ومع ذلك يقرأها بسهولة من اعتاد قراءتها وقد يترك الكاتب ومرتب حروف الطبع بعض الكلمات وبعض الحروف خطأ فلا ينتبه القارئ لهذا النقص بل يقرأها كأنها موجودة لان ذاكرته تحضرها امام ذهنه (٢) (المقتطف) ويتضح ذلك من ان المبتدئ بالقراءة يضطر ان يرى كل كلمة وكل حرف ولكن متى خزن صور الحروف والكلمات في ذهنه وتعلقت بمعانيها صار يقرأ « كرجا » ويكتفي برؤية شكل الكلمة المؤلف او رسم العبارة

وهذا هو تعليل ما ندركه وما نحلم به فانه يكون في الحالين من مؤثرات حقيقية تؤثر في المشاعر ويكون فيها امور مخزونة في مخادع الذاكرة تتهز الفرصة عند ما تفعل هذه المؤثرات فتظهر من مخادعها وتمزج بها

ولكن ما هو الفرق بين الحلم والادراك في اليقظة او ما هو النوم من حيث فعل العقل ان كان العقل يعمل في النوم كما في اليقظة على ما تقدم ولماذا نسمي فعله في اليقظة ادراكاً وفي النوم حلماء اي ماهي خواص النوم العقلية

الآراء كثيرة في هذا الشأن فقد قال البعض ان الانسان يتجرد عن العالم الخارجي وهو نائم ويبطل شعوره به. ولكننا انما في ما تقدم ان المشاعر تشعر في النوم ولولم تؤد الى الذهن صورة واضحة لما تشعر به. وقال غيرهم ان النوم يوقف فعل القوى العليا من قوى العقل كان مراكزها تصاب بنوع من الشلل الوقي. ولا اظن ان هذا القول رهين الصحة. نعم اننا لا نستدل الاستدلال المنطقي غالباً ونحن نيام ولكننا لا نكون عاجزين عنه حينئذ فقد نستدل ونحن نحلم ونقيم اقيسة منطقية صحيحة محكمة بل التجاسر واقول ان الذي يحلم يفرط في الاستدلال واقامة الاقيسة المنطقية فيكثر شططه ولو اكتفى بالمشاهدة والمراقبة لجاءت احلامه قليلة الاضغاث والسخافات لكنه يحاول تعليل كل ما يشعر به فيجمع بين المتناقضات ويرتكب الشطط. وهذا لا ينبغي ان قوى العقل العليا تكون ضعيفة على نوع ما وقت النوم ولذلك تضعف قوة الاستدلال المنطقية ويصير منطق النائم صورة فقط. وعليه فلا المشاعر تتوقف عن عملها وقت الحلم ولا قوة الاستدلال

هذا من حيث الآراء ولكننا لا نعرف حقيقة الاحلام فعلاً ما لم نبحث فيها بانفسنا. ولا يستطيع الانسان ان يبحث في كيفية الحلم وهو نائم يحلم ولكنه قد يستطيع ان يتنبه حينئذ الى كيفية تدرجه من النوم الى اليقظة اذا عقد نيته على ذلك. واسمحوا لي ان اذكر لكم كيف امتحنت انا ذلك في نفسي. حصلت اني كنت اتكلم في موضوع سياسي امام جماعة من رجال السياسة فسمعت لغطاً زاد شدة رويداً رويداً حتى صار صياحاً وضجة كبيرة واذا انا بقاتل يقول (اخرج اخرج) وحينئذ استيقظت فسمعت كلباً ينبح فكان على الذات التي استيقظت حينئذ ان تقبض على الذات الحاملة وتقول لها لقد سمعت كلباً ينبح فظننته غوغاء تضج فلا ادعك تذهمين ما لم يخبرني ماذا كنت تفعلين حتى ارتكبت هذا الخطأ. فتجيبها الذات الحاملة اني كنت بطالة لا افعل شيئاً وهذا وجه الفرق بيني وبينك فانك انت اذا سمعت كلباً ينبح لا تعلمين ان الصوت نباح وصاحبه كلب من غير روية بل لا تصلين الى الحكم بان الصوت نباح والناجم كلب الا بعد جهد جهيد ولو بدا ذلك منك من غير ان تتبهي له بحسب الظاهر لانك تعودين الى معلوماتك

السابقة وما حتى تري ولا فلا يكون الذاكرة لا يوسعها من لحظة لادراك تكتفين بالشعور الى ما تموت وتخزن في مخادعها ما يناسب الحلم مستمر ولكنه بدنيه ولكنه لك وهو اني لا اهتم بشي الاهتمام بامور تهدد الطفل لا وقد تس

انا الذات الحاملة الدائرة الضيقة والارادة والنفسك الى الطريقة البدنية في لحظة واحدة

هذا ما واسهبا. وتشتغل في الجزء ٥

السابقة وما خزنه فيها في ذا كرتك وتجميعها وتوجيهها الى هذا الصوت وتقابلين بينه وبينها حتى ترى واحداً منها ينطبق عليه تمام الانطباق واذا اخطأت في هذه المقابلة والمطابقة اقل خطأ فلا يكون الاستدلال صحيحاً بل نوع من الحلم وهذا التطبيق بين الصوت المسموع ومحفوظات الذاكرة لا يتم الاً بجهد كما يفعل الحيايط الذي يجرب ستره خاطها على بدن من خيوط له فانه يوسعها من جهة ويضيقها من اخرى حتى تتطبق عليه تماماً . ولذلك فأنت تبذلين جهداً كبيراً كل لحظة لادراك ما تشعرين به . وحياتك في اليقظة حياة جهاد وعناء حتى في ساعات العطلة ولا تكفين بالشعور والتطبيق بل تخفين عن امور كثيرة تقع تحت حسك فلا تنبهين لها ولا تنبهين الا الى ما تختارين . لكن هذه الامور تدخل ذهنك عن طريق المشاعر اردت او لم تريدي وتخزن في مخادع الذاكرة وتظهر وانت نائمة فما دمت مستيقظة فأنت تختارين مما في ذا كرتك ما يناسب الحالة التي تكونين فيها وهذا الاختيار المتواصل هو ما نسميه بالذوق السليم وهو جهاد مستمر ولكنك لا تشعرين بثقل وطأته عليك كما لا يشعر المرء بثقل الهواء الذي يضغط على بدنه ولكنه يتعبك حتماً . ولا يفعل الذوق السليم فعله الاً بتعب وشقة . هذا واكرر ما قلته لك وهو اني اختلف عنك في اني لا افعل شيئاً . فالجهد الذي تعانينه انت لا اعانينه انا لاني لا اهتم بشيء وما النوم الاً الابتعاد عن الهموم . اي ان نوم الانسان يكون على قدر انصرافه عن الاهتمام بامور الدنيا . فالوالدة التي تنام الى جانب سرير طفلها لا تسمع هزيم الرعد ولكنها تسمع تهدي الطفل لانها تكون نائمة عن الاول ومستيقظة للثاني وما دام المرء يهتم بشيء فهو غير نائم عنه وقد تسأليني ماذا افعل حينما احلم فأخبرك ماذا تفعلين انت وانت يقظي . انك تأخذيني انا الذات الحاملة — الذات الحاوية لماضي تاريخك تأخذيني وتضغطين علي حتى ادخل في الدائرة الضيقة التي تخطينها حولك . هذه هي اليقظة او حياة المستيقظ الطبيعية حياة الجهاد والارادة والعزم . اما الحلم فهو الحالة التي تفنن فيها حينما تهملين امرك وتفقدن قوة توجيه نفسك الى امر واحد اي حينما تبطلين استعمال ارادتك . والامر الذي يستدعي الايضاح هو الطريقة البديعة التي تجربن عليها في توجيه كل ما فيك من القوى الى الشيء الذي يهتك وذلك في لحظة واحدة من غير تعمُّل . الا ان ايضاح هذه الطريقة من متعلقات الفلسفة العقلية

هذا ما تقوله الذات الحاملة للذات المستيقظة . ولو زدنا في استنطاقها لزادت شرحاً واسهاباً . وخلاصة الفروق الجوهرية بين الحلم واليقظة ان القوى العقلية التي تشتغل في اليقظة تشتغل في الحلم ايضاً ولكنها تكون حرة في الحلم ومقيدة في اليقظة . فالحلم يشغل الافعال العقلية

كلها ما عدا القيد والاهتمام . والحالم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنه لا يقيس ولا يطبق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً غنياً . فحسبان النباح ضجة استنتاج بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بأنه نباح كلب لا يكون إلا بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي ينقص الحالم وبه يمتاز عن المستيقظ

وبهذا الفرق الجوهرى نفهم مزايا الاحلام أي مميزاتها فيفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقلما يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث بحسب اهميتها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر به الحالم وما يتذكره بل كثيراً ما يطبق الحالم امرأ على أمر يخالف له أو يطبق اموراً متخالفة يأتي بها من ذاكرته على أمر واحد يشعر به . مثال ذلك أن ترى عيناه نقطاً بيضاً في بقعة خضراء فيتصورها مرجاً أخضر فيه أزهار بيض او طاولة البلياردو وعليها كرات العاج أو نحو ذلك مما يجتمع فيه الاخضر والايض ويكون محفوظاً في ذاكرته . وتتسارع هذه الصورة من الذاكرة وكل منها يحاول ان يالصق بالتأثير الذي دخل ذهنه فقد تتوالى عليه الواحدة بعد الاخرى فيرى أولاً مرجاً ثم طاولة بلياردو وقد يظهران دفعة واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بلياردو في آن واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء إلى غيره حالاً وإذ يرى العقل ذلك يحاول إيضاحه فيزيده غموضاً

ولهذا السبب عينه ينفي الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظته لقضى في تذكرها يوماً كاملاً لانه وهو في اليقظة يعيش مع غيره من الناس فيرى ما يجري له متتابعاً بحسب اتصاله بهم كأن معاشرته لغيره بمثابة ترس ساعة له اسنان كثيرة تنقسم بها حركة زنبلكها إلى ساعات ودقائق بدلاً من تركه ينحل في وقت واحد . وهذا الترس المسنن لا وجود له في الحلم فلا محل فيه للتحكم والتدقيق وما يقتضيان من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبق ما في نفسه على ما هو خارج عنه

بقي ان نلعل كيف ان همود العقل يجعل الحالم يقدم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع أنها تطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍ سوى من الاراء المشاعة اتنا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصة . وهذا يصدق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي تفكر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اتنا

لا نكون نائمين النوم الحقيقي المريح بل النوم الذي نستيقظ منه متعبين كما تألمتم
 اما الاحلام التي نحلها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا
 خطوراً وبالمواضيع التي مرت بنا ولم نعلم النظر فيها . وإذا حلمنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب
 ان يكون بالطيف منه لا بالمهم فاذا كنت في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولمادنت مني
 اجفلت عن غير قصد وغير دواع خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان
 مركبة صدمتني ومزججها علي ولكني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً . واذا سهرت على
 مريض مشرف على الموت وخطر ببالى انه قد يشفى ولو كان الرجاء من شفائه مقطوعاً ثم تمت
 فقد احلم انه شفى . والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر
 ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمه هي في الغالب الامور التي تمر في باله وقت
 اليقظة مروراً لا التي ينعم نظره فيها ويعلق قلبه عليها . ولا غرابة في ذلك لان الذات التي تحلم
 هي الذات التي لا هم ولا تعنى والصور التي تجتمعها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة
 من غير تعب ولا عناء

أما إذا كان النوم عميقاً جداً فيحتمل أن تكون أحلامه غير ذلك ولكن هذه الاحلام
 تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ وإذا تذكر شيئاً منها شعر كأنه آت من مكان
 سحيق وزمان بعيد دلالة على انه تذكر في حلمه اموراً مرت عليه في صباه ولما استيقظ حاول
 ان يسترد بهجة الصبا فقالت له هيهات
 فالى أحلام هذا النوم العميق يجب أن يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تتجلى
 محفوظات الذاكرة بعد أن يكون صاحبها قد نسيها ولكي يعلموا الامور التي تدخل في دائرة المباحث
 النفسية . ولا أجسر أن أبدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا أحجم عن الإعجاب بالغيرة
 والهمة اللتين يعمل بهما أعضاء جمعية المباحث النفسية فان كان التلبيث يؤثر في أحلامنا فمن المحتمل
 أن يكون أشد تأثيرها فينا ونحن نأمنون هذا النوم ولكنني أكرر ما قلته سابقاً وهو أنني لا
 أستطيع أن أبدي رأياً في هذا الموضوع . وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فأقف عند
 عتبة المجهولات وستكون أهم أعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في أعمق أسرار الوجدان أو
 فيما نسميه بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي أن الباحثون سيكتشفون فيه مكتشفات عجيبة لا تقل
 أهميتها عن أهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية هذا ما أرجوه وأعانه
 واجعله مسك الختام

الساعة من كل
أرى فتاة تسير
الكنيسة لاح
الزاعمون ان
اما الكنيسة

قرب الكاهن
لا اعرف

اعلى درجات
شكر المخلوق
وراء جميع
الحاجة البشر
وتنبض بالحياة
واحدة دون
تعد منها ارقا

هذا التأثير
شتت افكاري
دخول السماء
ارباع . أما

وكم كنت ظا
الكنيسة يقف
وظل

من صور وتم
صبايان وطا
تذكارات لا

موعظة شهر الورود

من خمس عشرة
سنة في المقنط

للمرئسة « مى »

دنا المساء فهنرني طرب الربيع ورغبت في الخروج والتجوال لاشارك الطبيعة في افراحها
كأنني حسبت جدران البيت تقطع الصلة بيني وبينها ، وتشعرني بأن الكون حرمني من مشاركة
موجوداته الهائقات بأريج ايار بين الفصون وزينة الارض العروس
خرجت وليس لي وجهة معينة اطلب بداهة احياء قلما اخترقتها . فسرت في شارع قصير
على مقربة من شارعنا كأن نفسي المتيقظة لبث داعي الاخضرين المحيطين بهاتيك المنازل :
اخضر يبسط على ارض الحديقة ظنفسة مخملية ، وأخضر يتعالى ظليلاً فيعكس طيف افئافه
على وجه الجدران الشاهقات

سرت متمهلة انتقل من رصيف الى رصيف ، والشمس آخذة في التحدر وقد انكسرت
حدثها ولطف نورها حتى بدت الاشعة حزينة بما مازجها من معاني الفراق . وما كان اندر
المركبات والسيارات في ذلك المنعرج ، والمارون يتبادلون نظرة كأنهم لقلتهم يقولون « أرايت ؟
لا احد الا أنا ! »

اتيت على آخر الشارع فنفذت منه الى شارع رحب طويل هو شارع ماريت باشا المؤدي
الى دار الآثار المصرية . فخطوت مترددة بين العودة من حيث أتيت ومتابعة المسير الى
الامام . واذا بناقوس يبدق على مقربة مني ولرنيته ازاء الغروب دوي متوسل حنان . فالتفت
الى جهته فوجدتني امام كنيسة صغيرة رأيتها مراراً ولم ادخلها مرة

وقفت اتأمل واجهة الكنيسة وأدير نظري في الحديقة التي تتقدمها وكانت تجتازها بعض
السيدات . فلما توارينا وراء باب الكنيسة تبادر اليّ انه يُحتفل بصلاة الشهر المريعي في هذه

الساعة من كل يوم على طول الشهر ، لان ايار (مايو) مكرّس للمذراء . ولم يعد يقتضي الا ان اُرى فتاة تسير بخطوات عصفور في ثوب ازرق كزرقة الاحلام وتتوارى هي ايضاً وراء باب الكنيسة لاجد مني شوقاً الى مشهد الهياكل وتوقاً الى رائحة البخور . اضحكوا ما شئتم ، اتم الزاعمون ان الثوب المليح دعائي ، وان زينة البسيط وتخريمه الدقيق كان له مع المرأة مني احاديث اما الكنيسة فكانت مملوءة بالمصلين ولم يخل في مقاعدها الا مكان واحد جثوت عنده قرب الكاهن الراكع امام المذبح يتلو المصحف باللاتينية فيرد عليه الجمهور بلمهجة الخاشع المهيب لا اعرف شيئاً اجمل واسمى من الصلاة في اي دين من الاديان ، لانها رفع النفس الى اعلى درجات الارتقاء ومحاولة الدنو من روح الحياة الكبرى . هي مناجاة العابد للمعبود ، هي شكر الخلق للخالق واستعطافه لاستئصال عطايه . وما اعذب هذا الاعتقاد ان في السماء هناك وراء جميع القوى والعجائب الكونية الهماً قديراً لا يقضى دونه امر ، لديه النعم يفيضها على الحاجة البشرية ، وعزة يتلاشى حياها ضعف الانسان ، وجود يعم البرايا فتموج وتتوغل وتنفض بالحياة والقوة والتحول . الا اني لا استحسن الصلاة الآلية المستطردة على وتيرة واحدة دون ان يشترك فيها العقل والقلب ، — الصلاة المتعاقبة الفاظها بين الشفاء والاصابع تعد منها ارقاماً معينة — لانها ابعث الى التنويم المغناطيسي منها الى الايقاظ الروحي . قد يكون هذا التأثير من تقبّل الشيطان في التجربة والخداع . قاتله الله ! لقد وسوس في صدري حتى شئت افكاري وحملي على احصاء الحاضرين . وكانت النتيجة اني جزمت بأن النساء اسبق الى دخول السماء نسبة الى عددهن في الكنيسة ، اذ لم يكن بين مائتي امرأة الا رجلان وخمسة ارباع . أما الرجلان فرجلان ، وأما الخمسة الارباع فصبيان صغار خمسة جاءوا مع امهاتهم . وكم كنت ظالمة في الاحصاء والحكم ذلك اني عند الخروج وجدت جمهور الرجال في مدخل الكنيسة يقفون هناك مراعاة للسيدات وتكرماً منهن هن بالمقاعد

وظلّ الخناس الوسواس يجربني فحسن لي تفحص المعبّد فتفحصت جدرانها وما قام عليها من صور وتماثيل ، وهندسته وما ميزها من نقوش ورموز ، وهياكلها وما تناسق عليها من صابان وطاقت ازهار — تلك الازهار ذات الانحاء السري تتخللها شموع كأن لها تذكارات لا ذعة في شفق الغيبوبة والنسيان

لكل شيء في العالم نهاية . صمتت الاصوات فشى الكاهن الى الدرابزون امام المذبح الكبير وبدأ موعظته الايطالية . وكان يقول اشياء عادية بصوت المثبت و اشارته مرتبكة كأشارات القلاميذ في حفلة توزيع الجوائز . ولكن لم يلبث ان ارتفع صوته وركزت هيئته واتسعت اشاراته ولعت عيناه وهو يقول :

« الى مريم ربة هذا الشهر الجميل يجب ان تلتجى النساء جميعاً . فالامهات يتعلمن منها التجميل بالصفات التي احاطت بها ابنا يسوع : وهي الحنان والحصافة والمحبة الصادقة التي لا زهو فيها ولا تهور . لقد كانت ، وما زالت ، وستبقى ابداً اسمى مثال للامومة القدسية ، تسير الامهات وراعاها مستوحيات اساليب التربية والتهديب

« اليها يتجىء اليتامى الذين لا ام لهم فيجدون في حضنها الراحة والعطف والمساعدة . اليها تلتجىء العذارى لانها ابهى مظهر لاظهر والحشمة والوداعة

« اسمعن يا اخواتي يا نساء القاهرة ! اليكن أوجه هذه الكلمات فأقبلنها لانها خلاصة اعتقادي ، تعلمن الحشمة من مريم انتن بنات اليوم الناسيات . ما وقار المرأة واحترام الناس لها الا نتيجة حشمتها وعفتها . ! قد تكن عفيفات طاهرات في قلوبكن ولكن كيف يصدقن الرأي ويحسن الظن بكن وانتن تسرن في الشوارع بهذه الازياء الحديثة التي تعري منكن العنق والنحر والذراعين ، هذه الازياء الشريرة بأقشمتها الشفافة ، الشريرة بقصرها وضيقها ، التي تعدم لابستها كل همية وجلال

« اللجب تزين ؟ اللجب تنهن في هذا التهنك ؟ ألا فاعلمن اذاً ان حب الرجل لا يكتسب بالتهتك بل بالتكتم . الرجل محارب من طبعه يهوى الفتوحات ويستमित في الاخضاع ينأ هو يعرض عن كل ما لا يكلفه المأ وكدداً . فلماذا يسعى اليكن وانتن تخطرن في كل مكان ؟

« ام انتن تزين للجمال ؟ ولكن هل الجمال في الزينة والاناقة وملاحة الوجه وتناسب الاعضاء ؟ كلا ! كم من امرأة تحسب آية تناسب وملاحة وهي مع ذلك غير جميلة اذا سر امرؤ بمشاهدتها مرة او مرات فهو لا يتمنى مجالستها ويمل كلامها وسخافتها بعد ان يعرفها قليلاً اذ يرى ان احسن ما فيها هو هذا الشيء الخارجى الذي لا يكفي لامتلاك القلوب واكتساب الارواح « ألا فاعلمن ان النساء اللاتي كن ذوات أثر في اعظم الرجال وذوات سلطة وشوكة

حزنَ جمالاً أعظم من هذا الجمال الحسيس وأبقى . لقد كان لهنَّ جمال النفس الذي يزيد
الايام رونقاً بينما هي تحكُّ القشرة هنا وهناك وتوسعها كل ساعة ذبولاً واتلافاً . كان لهنَّ جمال
العقل وجمال القلب ، وجمال حسن التصرف ، وجمال اللطف الصحيح ، وجمال المحبة الطاهرة
العميقة المستخفة بالمظاهر التي لا يفرها جمال الشباب وجمال الاناقة وجمال الازياء

« أتعلمن ما هو الشباب والجمال ؟ هما حديقة تملأ الازهار النضرة والعطور المنعشة ، يقف
امامها المارئون معجبين . وما هو الا يوم وليلة فتمر العاصفة صارعة اشجارها ، مبددة ازهارها
مبيدة عطورها ، وتغادرها خالية الا من اكوام التراب والاغصان المكسرة . هذا ما تسمونه
جمال الشباب اي جمال القشور . اما الجمال الآخرف هو جمال الجوهر . الآلام تطهره ، والمصائب
تجلوه ، والعواطف تفعمه قوة ونبلاً . هو الجمال الذي يبقى نامياً مدى الحياة . هو مسعد
العائلة ، هو مساعد الزوج ، هو مذهب الاطفال ، هو السلام والخير والبركة . ولتحفظه المرأة ...
اسمعن ايها السيدات ... لتحفظ المرأة ذلك الجمال . عليها ان تكون وردة تحيط بها
الاشواك ... »

انتهت الموعظة . فغزف الارغن الشجيّ وابتدأ الزياح فاشترك الجميع في الترتيل وتصاعدت
الشعائر نحو الله ملحنة انغاماً ومحترقة امام هيكله بنحوراً

وعند خروجي من الكنيسة كان الظلام يغمر المدينة ومضيئو المصابيح يجرون في الشارع
حاملين المشاعل . فوقف احدهم يتفرج على السيدات وهو يفتنُّ عن اسنانه البيضاء ، ويثني على
كل مارة الثناء المعتاد قائلاً بلهجة المصرية النعشة « انت يا واد يا حلو ! انت ياللي زي الباشا !
انت يا واد يا حلوة »

هذه هي موعظة شهر الورود : على المرأة ان تكون وردة تحيط بها الاشواك . وما « اشواك »
الوردة النسائية غير التكلم والحشمة والطهارة كما قال ذلك القس . فان عجبتم اليوم لهذا الكم
الطويل الذي يتعثر قلبي بأذياله فاعلموا ان سببهُ موعظة شهر الورود . وان اعرضت عن ذلك
الثوب الشفاف الساحر واستبدلته بهذا الشبيه بثوب ايننا الواعظ لكثافته فما سببه الا موعظة
شهر الورود . وان غادرتكم الآن ، فما ذلك الا لاني اريد ان اسمع موعظة شهر الورود

النهضة الشرقية الحديثة

وأظهر مظاهرها

من عشر سنوات

في المقطف

مختارات من استفتاء للمقطف

تم سنة ١٩٢٦ — ونشر سنة ١٩٢٧

ترجم عن مجموعه

للشيخ مصطفى عبد الرازق

أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة في الشرق الأدنى هي النهضة الفكرية التي تزحزح الشرق عن جموده والتي هي أساس لكل نهوض

بدت مظاهر الجمود العلمي في الشرق ، حين عدا على الشرق الجمود ، من وجهين : احدهما — صبغ العلوم كلها بصيغة واحدة ، والذهاب بغاياتها جميعاً الى وجهة دينية ، ليست هي الغاية التي تتجه اليها العلوم بطبيعتها

فعلم العروض الغرض منه ان تعلم ان القرآن الكريم ليس بشعر وعلم الحساب تعرف به تقسيم الموارد على النظام الشرعي وعلوم الحياة والفلك تهتدي بها الى القبلة ومواقيت الصلاة والفلسفة يراد بتعلمها الرد على ما تتضمنه من آراء مخالفة للدين والامر على هذا المنوال في سائر العلوم

ولاشك ان توجيه العلوم في هذا الاتجاه ضيق دائرتها وانحرف بها عن مذاهبها ، ووقفها عن التقدم ، ووسمها في قواعدها وشواهدا واغراضا بسمه خاصة هي سمة الدين التي لا تحتل كل ما تحتل حرية البحث العلمي من فروض وتجارب وشكوك والوجه الثاني — تغلب الاسلوب الديني على اساليب النظر المنطقي في جميع مناحي البحث ، وهو متصل بالوجه الاول

الدين يعتمد على نصوص مقدسة مصدرها الوحي الالهي ، وكل جهد التفكير الانساني فيها هو تفهمها وتأويلها ، والتماس حكم ومؤيدات من جانب العقل لما جاءت به
اما البحث العلمي فهو يتناول الاشياء والحوادث والمعقولات ، يحلل مركباتها ، ويؤلف بسائطها ويستقرى جزئياتها ، ويصل بين عللها ومعلولاتها
هما اسلوبان متباينان ، قد لا يستغني الانسان عنهما ، لكن لا يجوز له الخلط فيهما
على ان انحطاط الشرق ، وتقصير الهمم فيه ، وارتباك العقول ، وفقدان روح الحرية والاستقلال ، كل اولئك خلط بين الاسلوبين بل بما احدهما ، واصبحت العلوم ديناً تحترم نصوص المؤلفين السابقين فيه كما تحترم الكتب المنزلة ، ولم يبق للباحثين الا ان يتدارسوا ما كتب الاولون ، ويخدموه بشرح او حاشية او تقرير وهكذا جمد العقل وجمد العلم وجمد الدين

ثم جاءت النهضة العلمية الحديثة في الشرق ، تفصل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، وتخلص اساليب البحث العلمي من الاسلوب الديني
نشأت هذه النهضة في مصر باتصالها بالمعارف الغربية ، فقد جاء مع (بونابرت) علماء كانت آثارهم بزوراً لم تذهب كلها بذاً
وارسل محمد علي الكبير الى اوربا بعثات علمية اختارها من الازهر . فذهبت متينة باخلاقتها الدينية وتعليمها الازهري ، وعادت أشد متانة واوفر كفاية بما كسبت من معارف جديدة ، وبما عرفت كيف تفصل بين وجهة النظر الديني ووجهة النظر العلمي
اخذوا يضعون في ضروب من العلم مختلفة مؤلفات ليست متوناً ولا شروحاً ولا حواشي ولا تقارير ، وليست على ذوق الدينين وما ألفوا من أساليب وأخذوا يعرفون خير ما عند الفرنجة من كتب في الفنون التي درسوها . واليهم يرجع الفضل في النهضة العلمية الحديثة وقد وصل اثرهم الى المعاهد الدينية نفسها ، التي نشأوا فيها نشأهم الاولى ، فتنبه اهل تلك المعاهد الى صنوف من العرفان لم يعرفوها ، واساليب من التفكير والبحث والبيان لم يألفوها
واذا كان ذلك مما أثار كفاحاً بين الجمود الذي لا يريد تغييراً والنهوض الذي يريد ان يحل العلم من عقالة ، ان يجعل للدين سبيله خالصة ، فهو قد أنبت بين الدينين انفسهم فكرة اصلاحية . وأنهم من بينهم مصالحين يعملون على تقرير حرية العقل واعتبارها عما جاء به الدين وكانت خدمة هؤلاء المصلحين للدين والعلم خدمة جلييلة بما أيدوا حرية العقل من وجه ديني

وبما حسمو اسباب عداوة بين الدين والعلم كان رجالٌ يثيرونها في نفوس الجماهير حرباً مدمرة
خدم هؤلاء المصلحون دينهم ، اذ ردّوه الى ينابيع الصافية ، وجرّدوه من التشويه
والسخف ، وأبرزوه كما أنزله الله من السماء نقيّاً حراً سمحاً كريماً
وخدم هؤلاء المصلحون النهضة العلمية في مهدها ، وصانوها من طغيان المجاهدين ، وردّوا
عنها كيد الكائدين

ولقد كان الامام محمد عبده يهتف في الناس بكل ما أوتي من قوة الايمان وقوة العقل ، ان
ليس من الدين ان يرمى بالكفر اهل النظر العقلي وان زلوا ، فانما هم يطيعون الله في تحريك
عقولهم « ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانه »
اما الذين جاؤوا بعد الشيخ محمد عبده يقذفون كل مفكر بالكفر ، فأولئك في ايمانهم
ضعف وفي عقولهم

ومن العوامل التي لها في نشر الحركة العلمية في الشرق أثر معاهد العلم التي انشأها الاجانب
ولئن كان في كثير منها منازع مؤذية ، فقد تضاعف كل اثر لها غير صالح الى جانب أثرها
العلمي ، فان العلم يأبى بطبعه الا ان يكون مثمراً ثمرة خير
ومن قبل ما قال الغزالي : « طلبنا العلم لغير الله فأبى الا يكون لله »

وقد نشأت الصحافة مع نشأة النهضة العلمية . فكانت مظهرها قوة وضعفاً وتأثرت بها وأثرت فيها
لكن الصحافة كثيراً ما تراعي هوى الجمهرة من قرائها ، وكثيراً ما يكون هوى العلم
غير ما تهوى الجماهير

بيد ان مجالات علمية نشأت في مهد علمي وحملت لواء العلم ، قد ادت للعلم احسن خدمة بتيسيرها
مباحثه العويصة ، ومنابرتها على بث التفكير العلمي ، والمبادئ العلمية وقد كانت ولا تزال ، مدارس
صالحة لطوائف من المتعلمين لا يتنهاها ان تسير حركة الرقي الفكري في العالم الا من سبيلها

واذا ذكرت النهضة العلمية في الشرق الادنى وذكر انصارها فالمقتطف جدير بان يحمل
راية سبق في هذا الميدان
خمسون عاماً من اعوام الجهاد في خدمة العلم وحرية الفكر في الشرق ينظمها الدهر فوق
جبين شيخ المجالات ، اكليل مجد ونخار

طرائع التفكير الحر

لسامي الجريديني الحامي

في التاريخ نهضات كثيرة منها ما كان سياسياً نقل السلطة من يدٍ الى اخرى ومنها ما كان اجتماعياً قضى على نظم موروثه وتقاليد معبدة ومنها ما كان ادبياً غيّر نظام التفكير وفكّ العقل من قيوده.

فهل عندنا في الشرق مثل هذه النهضات ؟ او بالاولى مثل هذه الثورات ؟ ولماذا تقول النهضة في « الشرق ». اني لا احبّ هذا التعميم — فها هو الشرق ؟ ومن هم الشرقيون ؟ ولماذا نسير وراء هذا التقسيم القديم الاعمى فنفصل العالم الى شرق وغرب قف امام خارطة العالم واجعل اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً ويمينا شرقاً ويسارها غرباً تر مصر مع افريقيا في الجنوب لا في الشرق . بل انت ترى اوربا نفسها شرقاً اذا قيست بأميركا ألاّ إنه خطر لقدماء الاغريق ان يقسموا العالم الى شرق وغرب يجب ان نسير نحن وراء هذه القسمة

انها ليست على شيء من حقيقة الجغرافية وهل يصح ان نكون نحن شرقيين مثل اليابانيين والصينيين وبُعَدنا عنهم جنساً ودماً وديناً بعد ما بين السماء والارض . وهل يصح ان يكونوا اقرب الينا منا الى اليونان والبلغار والتليان وبيننا وبين هؤلاء ربط عديدة لا تجدها بين الصين ومصر مثلاً او نقصد الى القول بأن النهضة في مصر ترحي الى انهاض الحجاز والعراق وفلسطين وسوريا وتركيا وما الى هذه البلدان التي تجمعناها جامعة قديمة

الحقيقة اننا لا نجروء على القول بالقومية بعد . اننا لا نجسر ان نقول ثورة مصرية او ثورة سورية او ثورة تركية فنعمم ونقول شرقية كأننا لم نعتد بعد التفكير تفكيراً قومياً لحدائثه عهدنا بمثل هذا التفكير . اللهم الاّ الا تراك فقد ساروا على غير ما نسير نحن عليه ولعلمهم شدوا الرحال في سيرهم شداً سريعاً قد لا يكون ممدوح العاقبة لبعد ما بين الغرض الذي يرمون اليه وتاريخ

عنصرهم المعروف . ولكنهم في نظري الشعب الشرقي الوحيد السائر الى غاية محدودة على طريق محدودة — لذلك يصح لنا بحق ان نقول « نهضة تركية » فانها ثورة سياسية واجتماعية تهيأ لها ما يهيأ لكل الثورات — زعيم يقود رامياً الى غرض وسير حيث الى هذا الغرض وجهاد مع اجنبي آثار فيهم روح القومية باستفزاز عواطفهم وهكذا سيل الشعب في تكوين قوميتها . دع عنك ما على هذه النهضة من انتقاد ليس هنا محل البحث فيه

اما في ما سوى ذلك فأين النهضات في « الشرق » اذا سلمنا جدلاً بهذا التقسيم الذي يفصل العالم الى شرق وغرب

نحن من الذين يعتقدون ان الحضارة الغربية خير الحضارات التي يتعين علينا اقتباسها كما اتنا من الذين ينظرون الى الامر الواقع فيرون انها هي الحضارة السائدة العالم ونحن من الذين يعتقدون ان طريق نجاحنا في مسالة هذه الحضارة وتكييف حضارتنا عليها تكييفاً لا يناقضها بل يماشيها ذلك ان التاريخ يقص علينا قصص اصطدام الشرق بالغرب منذ العصور الاولى حتى الساعة فما قص الا حديث اصطدام كانت نهايته انهزام الشرق امام الغرب — فالعاقل من اعتبر وعرف ان يتلمس طريقاً غير طريق جربة فقاده الى مواطن الخطر

ونحن من الذين يعتقدون انه لا بقاء لنا في معترك الحياة الدولية الا اذا كوّنّا قوميات شرقية مستقلة مثل القوميات الغربية . فكما انك لا تطمع في تكوين شركة تجارية او جمعية ادية الا اذا عثرت على « شخصيات » مستقلة هي افراد الرجال كذلك لن نكون اهلاً لدخول المجتمع المتمدن ان لم تكن لنا شخصية صحيحة وهي القومية بما تعنيه هذه القومية من معان وما تفرضه من تبعات وحقوق

فليست الحضارة الغربية لباساً يرتدى او لغة يرطن بها بل هي اساس عميق للحرية : حرية الفكر والقول والعمل ، وبناء شامخ للنظام : النظام القائم على هذه الحرية فهل عملنا على اقتباس هذه المدنية ؟

اني على الرغم مما بي من التشاؤم عند ما ادرس تاريخنا القديم وعند ما انظر الى حاضرتنا ، اني على الرغم من ذلك اظن اننا وقد احتسكنا مكرهين بالغرب قد بدأنا ثورة فكرية لا بأس بها فالتفكير الحر اساس كل نهضة سياسية كانت ام اجتماعية . ولا تسلم عما يؤدي اليه هذا

التفكير . لا . دعه يسير . فهو يقاوم ويُقاوم وتصطدم حريتهُ بحريات أخرى وهكذا الى ان يتم النصر للفكر الصحيح

فما لاشك فيه ان جرثومة التفكير الحر بدأت في مصر وفي سوريا منذ نيّف وخمسين عاماً — بداية بكتّاب فكروا تفكيراً حرّاً صدم ما في الجماهير من عقيدة موروثية فوققوا في سبيلها ولكن الفكرة نمت فجاءت بقوم قاوموا استبداد الحكماء في عز جبروتهم الطاغى ووقفوا في وجه رجال الدين ينعون عليهم جهلهم فما زالت حتى زحزحت ما كان لنفوذهم من مقام على ان التفكير الحرّ في مصر وسوريا لم تتح له عوامل سياسية تساعد

فقد كان اختلاف الحكماء في اوروبا وتضارب مطامعهم السياسية مما جعل بعضهم ينصر لوثّر في إصلاحه وبعضهم يشجع الهوجنوت وبعضهم يحمي قولتير وهكذا وجد المفكرون الاحرار الفقراء من يأخذ بأيديهم على غير قصد فساروا يحملون شعلة فكرهم الى ان حرقوا الهشيم القديم اما عندنا فقد اتفق فيما مضى الجمهور مع حكامه المستبدين فكانوا يقاومون كل تفكير حرّ اينما ظهر

ولكنه على الرغم من هذا ظلّ حياً وها قد بدت طلائعه تظهر ظهوراً لم نعهده من قبل فهل يتم له النصر او يظلّ محصوراً في دائرة ضيقة كما كان في الماضي فلا ينمو ولا يعيش ؟ لا اعلم ان تاريخ اضطهاد التفكير الحرّ لتاريخ مجيد . ومجده تاج يلبسه كل هؤلاء الذين اضطهدوا وعذبوا وحوكموا وسجنوا في سبيل تفكيرهم

وها قد ذهب الآمرون بالتعذيب والناهون عن الحرية ولم تبق الا ذكرى الابطال — ابطال المفكرين تفكيراً حرّاً

فان نحن اجتزنا العقبة وعبرنا السبيل كما عبره اسلافنا المفكرون الاحرار غير مباين بما تلاقيه من اضطهاد او عقاب فانا نكون حقاً قد وضعنا الاساس المتين ونكون قد مهدنا الى نهضة اجتماعية وسياسية تأتي بأسرع مما نظن فنتبوا مكاتفا في مجتمع الحضارة الصحيح فالحرية أساس كل بناء في حضارة جديدة بأن تعيش . فاذا قام شعب بنهضة سياسية لا تكون الحرية اساساً فيها فلن تكون تلك النهضة الا قلقاً غايته التخلص من نير الى نير ونقلاً للحكم من يد الى يد أخرى — وهذا ما نعوذ بالله منه

هـرية الدآب

لعباس محمود العقاد

ما هي النهضة ؟ هي الخروج من حالة الجمود إلى حالة الحركة ، او هي الانتقال من المحاكاة والتقليد إلى عهد الاستقلال والحرية . فاذا أردنا أن نقوم نهضة بقيمتها الصحيحة فنبعث عن دلائل الحرية فيها فثم النهضة وثم يكون أظهر مظاهرها

يبدأني أقسم الحرية إلى نوعين : نوع أسميه الحرية المادية وأعني به الحرية الاضطرارية أي الحرية التي لا نكون أحراراً في طلبها بل نعهد اليها مكرهين مدفوعين بحكم الأحوال القاهرة وبواعث المعيشة ، وتلك حرية ناقصة مبتورة لانها حرية من لا حرية له في الاختيار فاذا تبدلت أحوال المعيشة فضاعت بنا عاداتنا وعقائدنا في أحوالنا الجديدة فبرمنا بها ونقضناها عنا فتلك حركة مباركة وحرية طيبة ولكنها على هذا حرية تعلوها حريات ومنزلة لا تغبط الامم على الوقوف لديها وليس يصعب عليك أن ترى مثلاً لها في الحيوان يضيق به الحبس فينطلق منه أو يثقل عليه القيد فيعالج كسره أو في الجماد يتقدم لانه لا يستطيع أن يقف مكانه أو يتحرك لانه محمول على الحركة ونوع آخر هو الحرية الروحية او هو الحرية التي لا تدفعك اليها الضرورات المألوفة والمطالب السوقية وإنما يدفعك اليها اتساع افق النفس وسمو معاني الحياة والطموح الى غايات من الرفعة والجمال يشتهاها الانسان الكامل وهو موفور الجسد مكفي المؤنة . فهذه الحرية هي الحرية النفيسة الغالية وهي مقياس النهضة الشريفة وفضيلة الانسان على سائر المخلوقات ، وهي الحرية التي تترجم عنها الادب والفنون والفلسفة الروحية وما اليها من التعبيرات « الجميلة » عن اشواق الحياة ولقد سألتوني : « ما هي أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وأبقى آثارها ؟ » فرأيت اذن ان أظهر مظاهر نهضتنا وابقى آثارها هو « حرية الآداب » او هو حركة التجديد في الشعر والكتابة والفن لانها الحركة التي لا تنقيد بمحاكاة قديم ولا بمحاكاة حديث ، ولانها ترجمان تلك الحرية التي نحن احرار في طلبها بقدر ما يكون الانسان حراً في هذا الوجود ، وليست بترجمان حرية نحن مدفوعون اليها بدوافع الاضطرار الكثيف والمطالب التي يشبهنا فيها الحيوان وقديرو جدها مثل في الجماد على ان هذه الظاهرة — بعد — ضعيفة الاثر قليلة المحصول ، فاذا هي بلغت أشدها وأوفت على تمامها فهناك تبث في الشرق عن جميع ظواهر النهضة التي عرفتها الامم فلا يعوزك منها دليل ، بل هناك لا يعوزك حتى الدلائل على النهضة « المعيشية » التي تعوزنا الآن لاتنا نتمشى مع البواعث الوقتية مسخرين خطوة بعد خطوة ولا ننبعث الى الحرية بشوق في النفس وحب للجمال . فالحقيقة اننا اليوم لانضارع غيرنا في الاختراع والابتكار ومجارات حاجات المعيشة لاسباب خلاصتها انهم يفهمون الجمال ونحن لا نفهم الجمال ، لا انهم خلقوا بمعدات وأعضاء ونحن خلقنا بغير معدات وأعضاء

منذ
الوسطى و
البركانية التي
بها ومقام تا
في تكوينها
وفي أ
وفيه مر قب
النجوم التي
أيضاً الفوها
فأنشأ
الطبيعية ووه
انتقل مركز
وعرفت
الدينية أساس
وكان لشدة
الهداية وال
وريب تعذب
وأخذ يبحث
همته وضعفت
لايمانها فلم يفلح
فعندي

النهضة الفكرية الحديثة

للدكتور بايرد ضدج

رئيس جامعة بيروت الاميركية

منذ بضع سنوات لقيت عالماً عربياً من علماء الهيئة ، اقتبس معارفه من كتب القرون الوسطى وبنى على كتاباتهم آراءه في حلقات زحل وأقمار المشتري وعدد النجوم الثوابت والفوهات البركانية التي تبدو على وجه القمر ، وكانت هذه الآراء مبنية على مقام الكتاب الذين فاهوا بها ومقام تلاميذهم الذين تناقلوها على مرّ العصور ، ولم يكن المرقب والبحث العلمي نصيب ما في تكوينها

وفي أحد الايام زارنا في جامعة بيروت الاميركية فذهبت معهُ في المساء إلى مرصد الجامعة وفيه مرقب قطر بلورته ١٢ بوصة ، فشاهد بأَم عينيه بواسطة هذا المرقب ، أقمار المشتري ومجاميع النجوم التي كشفت حديثاً وأثبتت وجود عوالم في الفضاء الانهائي لم تكن معروفة قبلاً وشاهد أيضاً الفوهات البركانية التي على وجه القمر وغير ذلك من غرائب الافلاك

فأنشأ يخبرني حينئذٍ كيف انتضت عليه سنون والفلسفة رائده في درس هذه الظواهر الطبيعية ووصف مقدار سروره لانه أتيحت له فرصة يرى حقيقةً بعينه . ففي لحظة واحدة انتقل مركز السلطة الفكرية لديه من كتاب القرون الوسطى إلى ما كشفتهُ آلة علمية حديثة وعرفت رجلاً آخر من لبنان تلقى العلوم اللاهوتية في حداثة وجعل ما جاء في الكتب الدينية أساساً لمعتقدهِ وإيمانه . وكان راسخ الاعتقاد بيوم الدينونة ، وبوجود «سما» و«جهنم» وكان لشدة إيمانه يتدفق حين الوعظ بآيات الكتاب حتى أصبح في بلدته عالماً يدعو الناس إلى الهداية والخلاص . ولكنه اختلط بكثيرين من رجال العصر وشبابه فأخذت تتطرق اليه شكوك وريب تعذب نفسه المطمئنة . أخذ يرتاب في محتويات الكتب الدينية كلما ازداد تعمقاً في درسها ، وأخذ يبحث عن الحقيقة في مكان آخر . ولما فقد ثقته في صحة الوحي تزعزع إيمانه وبردت همته وضعفت قوته عن دعوة الناس وردهم إلى التوبة والخلاص وحاول أن يجد أساساً جديداً لإيمانه فلم يفلح ولبت يتسكع في الظلام

فعندي أن أظهر مظهر في النهضة الشرقية الحديثة هو أن الناس أخذوا يفقدون ما لهم من

المنفعة في تقاليد آبائهم كقاعدة لمعتقداتهم الدينية والادبية ودليل لسلوكهم وانهم اخذوا يبحثون عن اساس آخر لهذه المعتقدات

لما اندلعت السنة الهيب في ازمير قبيل استيلاء الاتراك عليها سنة ١٩٢٢ هرب كثير من سكانها إلى الميناء. وقفوا هناك على الحد بين البر والبحر يشاهدون بيوتهم وكل ما فيها من عزيز لديهم قتاله يد الفناء، ورأوا النيران تلتهم كل شيء حتى لقد كانوا في خطر منها على الثياب التي يرتدونها فدفعهم اليأس إلى الماء يسبحون إلى المراكب التي في المرفأ أو خارجة لعلمهم يصلون إلى مركب يعيشهم. ولكن المراكب والسفن كانت مزدحمة باللاجئين إليها، فغالبا الأمواج حيناً حتى وهنت قواهم وابتلعهم العجج

هكذا يرى كثيرون من الناس أن التقاليد والمعتقدات القديمة التي قدسها آباؤهم وجروا عليها تنهار إلى الحضيض انهاراً سريعاً يهدمهم بهدم معتقدتهم الشخصي. فيندفعون مدبرين عنها يبحثون عن أساس جديد لمعتقد جديد فيتلمس كثيرون منهم في الظلام ثم يهبطون إلى هوة الشك أو يغرقون في لجة « المادية »



وهذا المظهر من مظاهر النهضة في الشرق لا يقتصر على مذهب دون مذهب أو على جنس دون آخر. أن الثوار في روسيا نقضوا الكنيسة والعائلة وغيرها من أركان الحياة الدينية والاجتماعية. والبوذيين في الصين أدخلوا معادهم من التماثيل لكي ينشئوا فيها مدارس علمية حديثة. ومنذ بضعة أسابيع كنت في تركيا فشاهدت فيها بعيني، القيود القديمة التي كانت تقيد بها المرأة، والاحترام لرؤساء الدين، والايان بالوحي الالهى — شاهدت كل ذلك ينهار أمام المذاهب العلمية الجديدة وحرية الحياة الاوربية

وفي البلدان العربية نعرف كثيرين من الرجال والنساء الذين لا يهتمون باحترام التقاليد والعادات والاعياد التي أحبها آباؤهم وجروا عليها. كذلك نجد جهلاً معيماً بأقوال الكتب الدينية واعراضاً عن الصلوات العامة وفي الوقت نفسه نرى ازدياداً في تعاطي المسكرات وانتشار الآفات الاجتماعية. وميلاً إلى احلال المسرات والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة. وزاد في نشر ذلك وقوع الحرب وتحيش الجيوش وانتشارها في مختلف البلدان

ففي الحين الذي نرى فيه افراد الجيل الجديد يدبرون عن معتقدات آبائهم القديمة تراهم ايضاً يقبلون على الفلسفة القديمة القائلة « لنا كل ونشرب لا تنا غداً نموت » مضى على مصر والعراق وفلسطين وتركيا نحو خمسين سنة، أي منذ ما انشأ المقتطف وهي

تقطع شوطاً من أشواط العمران يقع بين عهدي الفدنية (الاقطاع) والدمقراطية . اي انقلاب تم في هذه السنين ! ها سكك الحديد والسيارات والطائرات والتلغراف والتلفون، تطوي الابعاد الشاسعة حتى كادت تمحوها . وها مذهب النشوء الجديد أخذ العلم بقيمة مقام القول القديم بالخلق المستقل . لقد أثبت باستور أن الامراض تنشأ عن احياء صغيرة هي الميكروبات . وأصبح الزمن يقاس بسني النور ، والتاريخ بالعصور الجولوجية المتطاولة . وصُدم الاعتقاد بإمكان حدوث العجائب صدمة عنيفة ، وصار الكون آلة تتألف من جواهر وأيونات ، تربطها معاً نواميس طبيعية كشفها البحث والامتحان . في كل هذا يبحث الشبان والشابات عن معبود آبائهم وفي الغالب لا يجدونه . يقولون اذا كانت الارض كرة فأين جهنم ، واذا كان الفضاء غير محدود فأين السماء

وقد فازت النساء في كثير من البلدان المجاورة للبلدان الشرقية بحق الانتخاب ، وعليه ترى اخواتهن في الشرق يطالبن التحرر من القيود التي قيدن بها ، القيود المبنية على تمييز بين الرجال والنساء . اضيف الى ذلك ان الامم التي تجري على العادات الاوربية في معيشتها اخذت تنتشر في الارض ولها من جيوشها وسائل منظمة لنيل المطامع البشرية

ما اعظم التجارب التي يتعرض لها الشبان والشابات في الشرق . انهم معرضون لفقد ما لهم من الثقة في عادات آبائهم وتقاليدهم ولاحدهم على العادات الغربية غير عارفين هل هذه العادات نتائج الارتقاء الحقيقي او هي سراب يلعب ويخفي وراءه المعايير

ما من حيل في التاريخ واجه طائفة من المشكلات كالمشكلات التي يواجهها ابناؤنا الحيل الحاضر ، وما من جماعة من الفتيان والفتيات وجدت امامها ما يثنيها عن الايمان الصحيح كفتيان الشرق وفتياته في هذا العصر . وسواء تمكن المتقدمون في السن من قبول الآراء الجديدة والجري عليها او لم يتمكنوا ، فانهم لا شك يستطيعون ان يعطفوا على الشبان الذين تمزقهم هذه الشكوك المؤلمة . وسواء اردنا او لم نرد ، لا نقدر ان نقف سداً في سبيل تيار ما يسمى مدنية وما يحمله معه من آراء جديدة في العلم والاجتماع

وعليه ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة هو هذا الميل الى هدم التقاليد القديمة كأساس للمعتقد والسلوك . وعملنا هو ان نساعد النشء الجديد ليجد اساساً لمعتقدات تعصمهم من احتقار الدين وتقودهم الى الاحتفاظ بأعلى مستوى ادبي حتى يعيشوا لتحقيق الغايات الروحية الرفيعة

في قلوب النوابع

لامين الرياحي

ان أظهر هذه المظاهر ما يراه كل الناس ، كالملايس الافرنجية ، والاسواق المرصفة والارتال الكهربائية ، والسيارات ، والابنية التي لا شرقية تُعرف ولا غربية — انها كلها من مظاهر التطور ، وقد تعد من مظاهر النهضة . ومما لا مرية فيه اننا غيرنا عاداتنا في الملابس والاسفار ، وصرنا نفضل الجادة المرصفة على الرمل والغبار ، والكهرباء على الحمار . ولا فرق مختارين كنا في ذلك او مرغمين

هو التيار الاوربي والناس امامه كالرمال في طريق السيل . فانا وان لذت لنا قراءة الاخبار واستماعها عن اجدادنا منذ خمسين سنة فلا يلد لنا ، ولا نستطيع الا بوثة نصفها عقل ونصفها جنون ، ان نعود الى ما كانوا يلبسون ويمتطون ، ويبنون ويفرشون . على اني اذا تصورت الشيخ ناصيف اليازجي مثلاً والدكتور يعقوب صرّوف — الشيخ ناصيف في عمامته وانبازه ، جالساً على «طراحته» يدخن غليوناً الطويل وهو يكتب ، والدكتور يعقوب في بزته الافرنجية ، مكشوف الرأس ولا غليون حتى ولا سبحة بيده — كستوقفي الصورة الاولى وان كان قلبي وعقلي يتجهان حباً واحتراماً الى الثانية . نعم ان المسألة ذوقية لا اجتماعية

ولكني اسأل القارئ ان يتصور مؤسس مصر الحديثة ، محمد علي الكبير ، بعمامة البيضاء الوافرة ، او في طربوشه المغربي ، وهو متربع في ديوانه ، او تمتط صهوة حصانه ، ثم يتصور احد حكام هذا الشرق الادنى اليوم الذين يقيدون انفسهم بأربع اذرع من الجوخ الانكليزي او الافرنسي ، ويجلسون في السيارة وهم يدخنون السيكارة — يتصور الصورتين ويسأل نفسه ايتهما ادعى الى الوقار والاعجاب . أنة الصورتين أنفم وأجل وأجل ؟ هذا في الظاهر ، في القيافة . ولا أثير في قلب القارئ الاشجان فأسأله ان يقابل بين مؤسس اكبر النهضات الشرقية العربية الحديثة ، صاحب الطربوش والسرwal وبين حكام هذا الزمان الدستوريين

ليست أظهر المظاهر اذن من اركان النهضة الشرقية ، ولا هي برهان على النهضة الثابتة التي فيها رقي حقيقي ومعنوي

وما هي ياترى هذه النهضة ؟ النهضة في القاموس الطاقة والقوة ، او هي الطاقة على النهوض

مما نحن فيه الى شيء أرفع منه . ولكن روح الزمان اكسب اللفظة معنى آخر او ظلاً من المعنى جديداً . اني افهم بالنهضة الثورة على القديم الذي امسى عقيماً ، والقديم الذي صار بالياً ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً ، ان كان في الاحكام ، او في العقائد ، او في الآداب ، او في العلوم ولهذه الثورة مظاهر يراها كل الناس فهي اذن اظهرها ، ولكنها ليست بأهمها . ولها مظاهر لا يراها الا فريق من الناس ، وقد لا يراها غير الخاصة من ذوي الالباب ، وهي في نظري اهمها اما تلك التي يراها كل انسان ويشارك اليوم فيها ، فيحضر او يكسب في سبيلها ، انما هي هذه الاحكام الدستورية التي حلت محل الحكم التركي القديم . ولكنها في مظاهرها مدعاة لغير الاحترام فلو عاد الوالي الذي كان يحكم بغداد منذ خمسين سنة ، ورأى الملك فيصلاً يلعب « التنيس » واصدقاءه الانكليز ، هز رأسه مبتسماً وهو ينسل ، كي لا يخجل صاحب الجلالة ، بين التخييل ولو عاد الحديوي اسماعيل ورأى هذا البرلمان المصري الباهر وهؤلاء الافاضل المبكين بالثوب الافرنجي الرسمي — اسود على ايض — وينهم لطخ من العائم لرفض ان يجلس على العرش المعد له قائلاً — ايها السادة المسوّدون اني افضل ان اكون واحداً منكم على ان اتقيد بارادكم كلها ولو تجسد ثانية احد ولاية الشام وشاهد ما حلّ بدمشق في السنة الاخيرة لرفع يديه الى السماء شاكراً شاكراً معاً . وما هي مظالمنا يا ربنا اذا قيست بأعمال المتمدين ؟

ولو أتيح للامير بشير الكبير ان يزور اليوم سراييت الدين فيرى من على هذه الجمهورية اللبنانية لضرب الارض بغليونه ، وعاد دافع العين الى قبره حكومات جمهورية ديمقراطية ! واحكام برلمانية ابتدائية ! هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية العربية اليوم ، واقلها اهمية ، اذ لا رقي فيها سياسياً او اخلاقياً ، ولا قوة حقيقية او معنوية . فهل تظنها في هذا الشكل الصناعي — وقل المدرسي التمريني — تدوم طويلاً . لا ورب القوة ! فلما ان يقوم عليها حاكم من اهل البلاد — حاكم بأمره — وسيفه — مثل مصطفى كمال او ابن سعود ، واما ان ينهض الشعب بأسره على اولئك الذين يرومون استعمار الشرق الادنى بواسطتها فيصبون على دورها البنزين ويوكّلون بها النار

وأية مهزلة ، بل أية مأساة اشد من هذه التي يشترك فيها الوطني المزيّف ، والاجنبي المضيف ؟ هل تريدون حكومة دستورية ، وملكاً مقيداً ، وبرلماناً ؟ هاكم ما تريدون . وكلهم

مقيدون ، الملك والبرلمان والدستور . كلهم مقيدون من اجلكم ايها الشرقيون .
هي ذي هبة السياسة الاوربية الحرة للشرق الطالب الحرية والاستقلال . هي ذي التعلية
التي يعللون بها اليوم هذا الشرق القديم الجديد

ان هناك مظهراً آخر يستحق فعل التفضيل وهو المدارس . نعم ان تعدد المدارس في مصر
وسورية ، وفي العراق ايضاً ، من اظهر مظاهر النهضة الشرقية التي تبدو للعيان فيراها كل انسان
وليست هي بأهم من الدستور والبرلمان . ليست هي عنواناً — عنواناً في الاقل — للتهذيب
الاخلاقي القومي ، والتهذيب العلمي العالي

والسبب في ذلك هو ان اكثر هذه المدارس لا تزال مقيدة اما ببرنامج ديني واما ببرنامج
اجنبي . او ان اكثرها لا يزال بيد رجال الدين الوطنيين منهم والاجانب . وهناك عدد ليس
بقليل من المدارس الاجنبية التي لا يرى مديروها في تاريخ العالم كله ما هو اهم واعظم وامجد من
تاريخ بلادهم . — شرلمان وركاردوس قلب الاسد ، وبطرس الاكبر هم هم ابطال التاريخ . بل
ابطال العالم : — قل لي يا ولدكم كان عدد ابناء شرلمان ؟ وأهم كان يفضل شرب الجعة على
شرب النبيذ ؟ — وقل لي ما اسم البطل الغوثي الذي كسر الاناء الروماني ؟ قر تاجودسك . —
حمار . اسمه قرسنجاتوريكس . انه والله لعلم جميل . ولا اظن احداً من طلبة هذه المدارس
يعرف اسم طارق بن زياد !

ليست الاحكام البرلمانية اذن ، ولا تعدد المدارس بأهم مظاهر النهضة الشرقية . وان كانت
من اظهرها . ولعمري ان مدرسة مثل مدرسة المعلم بطرس في زمانه لاصح وانفع من هذه
التي يتخرج الشبان فيها متفرنحين ، لا يعرفون لغتهم ، ولا تاريخ بلادهم ، وقلما يحترمون غير الاجنبي
ان مظاهر النهضة الشرقية التي لا تستحق افعال التفضيل بالمعنى الذي افصحته عنه ، ولكنها
من الاهمية في اعلى مكان ، انما هي المظاهر العلمية ، والادبية ، والاصلاحية التي تشتعل مصابيحها
على الدوام في قلوب افراد من الناس ، في قلوب نوابغ الامة . هي المصاييح ، مصاييح العلم والادب
والشعر والفنون ، ترسل اشعتها الفضية والذهبية الى قلب المجتمع الانساني ، الى مصدر الحياة فيه
فتثير تدريجاً اظلم طبقاته ، واقصى زواياه الدامسة

أجل ان كتاباً واحداً او مقالاً واحداً او فكرةً واحداً فيه حقيقة جديدة مفيدة للناس ، ترسله

حرّاً في الناس لأشدّ فعلاً وأثبت نفعاً وأعم خيراً من كل ما تحي به الحكومات والمدارس المقيدة عفواً أيها القارىء. قد تسرعت، فاستثيت، فقلت «المقيدة» ! وما الحكومات على أنواعها غير قيود للناس، وآلات لجمع الضرائب، وإقامة الحروب. أجل. وما فضل الحكومات، مقيدة كانت أم مطلقة، في تاريخ الأمم، أو بالحري في تاريخ الرقي والعمران؟ هل سمعت في زمانك أو قرأت أن حكومة من حكومات العالم اكتشفت اكتشافاً، أو اخترعت اختراعاً، أو أقدمت على إصلاح اجتماعي أو سياسي من تلقاء نفسها؟ أخشى أن تخرجني الحكومات عن الموضوع إذا سألت سؤالاً آخر

أعود اذن الى النهضة الشرقية العربية فأقول ان الفضل الاكبر فيها هو للعالم الذي يخدم العلم من اجل الحقيقة اولاً وآخرأ، وللاديب الذي يرفع ادبه على ثلاثة اركان هي الذوق السليم، والقصد القويم، والخلق الكريم، والمصلح الذي يفادي بكل ما هو عزيز لديه، حتى بحياته، في سبيل عقيدة يتقن ان فيها الخير كل الخير للناس. وان اجمل ما في هذه النهضة، وأثبت ما فيها، هو النفر من العلماء والادباء، والمصلحين الذين لا يقيمون بغير الحقيقة، والفن، والضمير. ولاشك ان عددهم أخذ في الازدياد. ولاشك ان من يقرأونهم، ويقبلون عليهم، ويتناقلون اقوالهم وافكارهم، يُعَدُّون بالالوف اليوم وقد كانوا منذ خمسين سنة يعدون بالمئات

ومن نتائج هذا الازدياد في عدد الذين يقبلون على الادب الجديد، ويطالعون الكتب العلمية والاصلاحية، هو اننا اصبحنا اكثر علماً واكثر احتراماً للعلم من اجدادنا، واكثر حرية كتابةً وقولاً، واكثر تساهلاً في المعتقدات، وأشد ميلاً الى التألف والتضامن في سبيل الوطن اقول اكثر تساهلاً على الرغم من ضجة في مصر أحدثها كتاب في النقد الادبي لاديب من المجددين وكتاب في الاصلاح الديني لعالم من العلماء المصلحين. فلو ظهر هذان الكتابان منذ اربعين سنة لكان السجن او الاغتيال جزاء الشيخ عبد الرازق والاستاذ طه حسين الى الامام؟

اتنا في تقدم. وان الفضل الاكبر في ذلك عائد الى مجلتي المقتطف والهلal، والى اولئك الادباء المجددين والمصلحين الصادقين الذين ينبذون القديم—القديم العقيم، والقديم البالي، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً—ينبذونه ويقولون، بلغة المعري ابي العلاء، عليه بهلة المتباهلين

الثورة المقبلة

للمرشد بنو نصر

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمل

من سبع سنوات
في المقتطف

عن كاهل عامل واحد . فاذا حذفنا ما في
هذه العبارة من المبالغة المقصودة وجدنا فيه
نصيهاً كبيراً من الحقيقة

لقد زادت قوة الانتاج في كثير من
الصناعات نحو خمسمائة ضعف في ١٥٠ سنة

بإدخال الآلات البخارية

والكهربائية الى المعامل .

فاذا حسبنا ان مائة عامل

كانوا يستطيعون من مائة

وخمسين سنة ان يصنعوا

مقدار كذا من صنف ما في

اسبوع اصبحوا الآن

يستطيعون ان يصنعوا

خمسمائة ضعف ذلك المقدار

في الوقت عينه ولكن بمساعدة

الآلات . ومع ذلك لا نرى نقصاً في ساعات

العمل يوازي هذا التقدم في سرعة الانتاج

ولا زيادة في اجور العمال تتفق معه . على ان

الانصاف يقضي علينا بأن نقول ان الثورة الصناعية

زادت الثروة العالمية فهدمت السبيل لسكان

هل يزيد رغد العيش ورخاء الناس
بازدياد المكتشفات العلمية وتكاثر المستنبطات
العجيبة واتقان الوسائل الصناعية على اختلافها؟
ان نظرة عجيلى الى دور الصناعة تكفي لان
تقع الناظر بان السيطرة على قوى الطبيعة
واستخدامها في الآلات

ينحرف من عبء العمل

الشاق عن كاهل الانسان ،

وترفع مستوى معيشته .

فاذا ذهب احد المفكرين

مرتأباً في فائدة هذه

المكتشفات والمستنبطات

متسائلاً فيما ينه ويين نفسه

« هل يستفيد العمران شيئاً ما

من المكتشفات والمستنبطات

التي ينتظر تحقيقها في قرن من الزمان »

حسبه الناس متعنتاً ليس له مسوغ فيما يذهب

اليه . ومن الاقوال الماثورة عن الفيلسوف

جون ستيورت مل قوله « اني ارتاب في ان

الآلات الصناعية قد خففت عبء العمل اليومي

ان قيمة هذا المقال تعلو في عيني
القارئ اذا عرف أن واضعه كتبه
في اواخر سنة ١٩٢٨ حينما كانت
الازمة الاقتصادية العالمية في مستهلها
او عند ما قال علماء الاقتصاد ورجال
المال والاعمال ان انهيار الاسواق
المالية حينئذ ليس الا اضطراباً
وقتيّاً لا يلبث ان يزول . وقد كان
هذا المقال خاصاً بالمقتطف

الارض المتزايدين عاماً بعد عام ان يعيشوا في مستوى من الرخاء اعلى من مستوى اسلافهم .
واظهر الصفات التي يتصف بها تقدم علمي ميكانيكي كالتقدم الذي شهدناه منذ اواسط القرن
الماضي صفتان : الاولى — تجمع الثروة في ايدي افراد قلائل من سكان البلدان الصناعية . والثانية —
زيادة المشتغلين باعمال غير منتجة . لذلك يتعذر على اصحاب الصناعات ان يمنحوا العمال المنتجين
ما يستحقونه من الاجور . ولا ريب في ان التقدم العلمي والصناعي افاد فائدة غير مباشرة جماعات
السكان الذين لم يشتركوا في تحقيقه كعمال . واشهر هذه الفوائد ارتقاء طرق المواصلات ورخصها
وتعدد وسائل اللهو والمطالعة والتهديب ورخص السيارات واتقان المخاطبات اللاسلكية وما اليها
والسبب في ان التقدم العلمي والصناعي لا يظهر له اثر في رخاء الجمهور وهناءته هو ان بلدان
الارض لم تنظم بعد انتظاماً يمكنها من استهلاك كل ما تقذف به المصانع الى الاسواق . لذلك
تكون النتيجة الاولى التي تتجم عن استنباط وسيلة ميكانيكية جديدة لترقية الصناعة ان يستغنى
عن عدد من العمال لان اصحاب الصناعة اذا احتفظوا بجميع العمال واستخدموهم في ادارة الآلات
الجديدة زاد ما تنتجه المعامل عن حاجة الاسواق اليه . لذلك يعتمد اصحاب الصناعات الى الاستغناء
عن بعض عمالهم لكي يحفظوا ما ينتجونه ضمن نطاق محدود لئلا يكثُر المعروض وتهبط الاسعار
فاذا ينتظر ان يحدث اذا استمر التقدم العلمي والصناعي سائراً سيراً حثيثاً الى الامام من
غير ان يصحبه تقدم في مقدرة البلدان على استهلاك الانتاج الزائد الذي تمهد له الوسائل
الصناعية الجديدة سبيل الزيادة والسرعة ؟ ان مقدرة البلدان على استهلاك البضائع المختلفة يتوقف
على مقدرة الطبقة المعروفة بطبقة العمال على الشراء . فاذا لم تزد قدرتهم على الشراء لم يتسع
نطاق الاسواق المختلفة لاستهلاك ما تنتجه المصانع وصرنا حينئذ نحشى ثورة صناعية اخرى .
وكل الدلائل تدل على اننا قريبون جداً من انقلاب خطير الشأن في وسائل الصناعة العلمية .
اذ يظهر لي اننا على عتبة عصر جديد تستعمل فيه العلوم الكيميائية في الصناعة فتحدث ثورة اعظم
اثراً وابعد مدى من الثورة الصناعية التي احدها استنباط الآلة البخارية . وكيف اجلنا الطرف
نجد ان العلوم مطردة التقدم لان كل اكتشاف جديد يحفز العلماء الى البحث والاستقصاء ويفضي
الى مكتشفات كثيرة . وقد يكون في امكان الكيميائيين ان يزدوا خصب الارض في مدى
قرن واحد زيادة تجعل الناس في غنى عن اربعة اخماس الاراضي المزروعة الآن . فيقضى على
كثير من المواد الخام المستعملة الآن في الصناعة وتحل محلها مواد مركبة كيميائياً . ان
تقدماً في هذه الناحية من نواحي العمران يقرب رأساً على عقب توزيع العمل بين الناس وتعود
الزراعة لا تحسب الركن الاساسي في ثروة الامم

تحيي الثورات احياناً فجأة كما جاءت الثورة الصناعية منذ ١٥٠ سنة وفي بعض الاحيان تأتي ببطء

كانها تنظر تضافر العوامل التي تمهد لها السبيل . فهل في العمران الحاضر عوامل تهيأ وتضافر لاحداث ثورة ما ؟

انظر الى المستبطات التي حققت في الخمسين السنة الاخيرة . التافون — المصباح الكهربائي المولدات والمحركات الكهربائية — الاتومويل — المحاطبات اللاسلكية على اختلافها — السفن التي تحرق البترول — الحرير الصناعي — الآلات التي تتبع كالاحياء — هذه هي بعض المستبطات التي قذف بها العلماء والمستبطن والصناع الى ميادين الحياة اليومية

وقد اتقنت الوسائل الميكانيكية المختلفة اتقاناً جعلها كأنها مستبطات جديدة . فقد نشر اتحاد العمال في اميركا نشرة اقتصادية يؤخذ منها ان مقدرة العامل على الانتاج زادت من اول القرن العشرين الى الآن خمسين في المائة وان هذه الزيادة سببها اتقان الوسائل الصناعية الميكانيكية ومما يؤسف له وقد يكون له اثر شديد الخطر في العمران ان كثيراً من البلدان زادت قوة معاملها ومصانعها زيادة كبيرة لا تسوغها حالة الاسواق العالمية ولذلك ترى ان جانباً كبيراً من هذه المعامل واقف عن العمل لا ييدي حراكاً . ففي ١٧ سنة (١٩٠٧ — ١٩٢٤) زادت القوة المستعملة في مناجم بريطانيا ومعاملها من ٨ ملايين حصان الى ١٥ مليوناً ولكن ما تنتجها هذه المناجم والمعامل لم يزد قط . وهذا يعود بنا الى ما قدمنا الكلام عليه وهو اذا لم تنتظم بلدان العالم انتظاماً يمكنها من استهلاك ما تنتجها المعامل التي تكثر ويزداد انتاجها كل سنة باتقان اساليب العلم ووسائل الصناعة لم يجد هذا التقدم العلمي الصناعي نفعاً ما

فالنتيجة العامة التي فصل اليها بعد البحث المتقدم هي هذه : ان التقدم العلمي والصناعي سريع لا تستطيع بلدان الارض ان تجارية بزيادة مقدرتها على الاستهلاك والتكيف على ما تقتضيه الاحوال الصناعية الجديدة . وانه اذا استمر كذلك وقف كثير من المصانع عن العمل ووقعت لا محالة ازمة خطيرة جداً بزيادة العمال العاطلين . ولو كان في الامكان لكان يحسن بنا ان نقف عقداً أو عقدين من الزمان عن الاكتشاف والاستنباط لنعني في أثناء ذلك بتنظيم ما أتناه حتى الآن ومحاولة الوصول إلى نقطة التوازن بين الانتاج والاستهلاك . بذلك فقط تمكن من توزيع المنافع التي تتجم عن ارتقاء العلم وزيادة سيطرته على أساليب الصناعة . وما لم نفعل ذلك بطريقة من الطرق لا بد أن تقيق يوماً فترى الصناعة في ركود وجماهير العمال العاطلين في فقر مدقع . فاذا حصل ذلك صعب على نظام العالم المالي تحمل هذا العبء ان لم يتعذر عليه ذلك وحينئذ ينحني تحته وينهار . ما أغرب النتيجة التي وصلنا اليها — كلما زادت مقدرتنا على الانتاج زادت المصاعب في الاستفادة منها وتوزيع المنتج على جميع طبقات الناس توزيعاً عادلاً لقد صدق قول الشاعر « مجيء المعرفة سريع ولكن مجيء الحكمة بطيء »

مكتبة المقتطف

ذكريات دار المقتطف

— ١ —

للمير شكيب أرسلان

كنت ارى في اخلاق الطيب الذكر يعقوب صرُوف من السجاجة والسباحة والنزاهة والعلو عن سفساف الامور والتزام معاليها ما لا اجده الا في النادر الاندر من البشر ولا شك انه اذا كان اعلى افق من الناس متصلاً باقرب افق من الملائكة فيكون فقيدنا طيب الذكر في الفوج الاول من الادميين الفارطين الى ذلك الافق العالي

كنت في الخامسة عشر من العمر عندما وقع نظري على الدكتور صرُوف لأول مرة في حياتي وذلك في ادارة احدى جرائد بيروت وكان صاحب تلك الجريدة وهو اليوم في عالم البقاء يسأل الدكتور عن لفظة « ميناء » وماخذها ومعناها فأخذ الدكتور يفسر له هذه الكلمة ويذكر له اشتقاقها ومواضع استعمالها وتاريخها من الكلام العربي فدهشت مما سمعت وعرفت مع حدائثه سني يومئذ مزية العالم على الجاهل او المتعالم وقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل كيف سرد عن لفظة واحدة بسيطة جوابها يقع في كلمة واحدة عبارة طويلة لا تجد فيها مع طولها حشواً ولا حرفاً زائداً ولا ناقصاً . إن مثل هذا العالم هو الذي ينبغي ان تشد اليه الرحال . وزاد اعجابي بما سمعت من العلم وما شهدت من اللطف والتواضع وانكار الذات وعدم الصنعة في كيفية الالقاء الذي سمعته

ولم تساعدني الاقدار ان اشاهد الفقيد بعد ذلك الا سنة ١٨٩٠ حينما قدمت الى مصر اول مرة وكنت في سن العشرين فدعاني اصحاب المقتطف الى الغداء عندهم وتذاكرنا في مواضيع كثيرة ولا يزال لتلك الزيارة اثرٌ منطبع في اعماق نفسي . ثم اتيت لي مجالسة الفقيد مرة اخرى وكنت من قبل ذلك اكتب بعض المقالات الى المقتطف وكان المرحوم يستحث همتي في مواصلة

الكتابة العلمية وقال لي مرة من ذاق لذة العلم يجد الكتابة في السياسة إسفافاً لا تطيب به نفسه ولكنه كان كسائر العقلاء يرى أنه لا بد من بعض الأمور في هذه الحياة ولو أتاها الإنسان مكرهاً

وكانت المكتبة قلماً تنقطع يدي وبين الأستاذ وأنا في بعض الأحيان أرسل المقتطف ولي فيه مقالات وجمل كان تواضع المرحوم يحمله لأعلى نشرها فحسب بل على استزادتي من أمثالها . وكانت المحبة بيننا بلغت من الخالص أن كان يستشيرني في أمور تتعلق بمنهج المقتطف والمواضيع التي ينبغي أن يتوخاها ومرة أرادني على أن أكتب بصورة مستمرة وإن أجد للمقتطف مراسلين يصح الاعتماد على علمهم وبلاغتهم فجاوبته بأنني أفضل أن أكون في الكتابة حراً غير مقيد بزمان ولا عدد وإن لا اتقاضى على ذلك شيئاً ولكنني استجبت له أقلام فضلاء مشهورين راسلوا المقتطف بعد ذلك سنين طوالاً وكان منهم الأستاذ الشرتوني طيب الله ثراه والأستاذ كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الذي كنت أنا الواسطة في مراسلته للمقتطف وكانت هذه المجلة من منابر رقيه ومظاهر نبوغه . ومن هؤلاء المرحوم محمد أبو عز الدين رئيس محكمة استئناف الجلاء في لبنان الذي لولا منصبه القضائي لامتع قراء المقتطف بأكثر جداً مما أتيج له

ولما جئت مصر للمرة الثانية وذهبت منها إلى طرابلس الغرب وذلك منذ خمس وعشرين سنة أسعدني الحظ أيضاً بملاقاة الفقيه رحمه الله . وهذه آخر مرة تلاقينا بها لأن الشواغل حالت دون كثرة الاجتماع وكنا من أهل بلاد لا تزال من حرب إلى حرب فكانت السياسة المقبوضة تحول بيننا وبين من نهوى لقاءهم من جلة العلماء الذين الساعة من عشرينم زن الأيام الطوال من عشرة سواهم . ثم جاءت الحرب العامة فانقطعت المواصلات كلها وبقينا لا يعلم الواحد عن الآخر شيئاً إلا من أفواه القادمين حتى أصيب المرحوم بفقد أحد أخوته فأرسلت إليه بكتاب تعزية وجاوبني عليه واستؤنفت بعد ذلك المراسلة بيني وبينه عوداً على بدء . واني أنقل إلى القراء بعض أسطر من جوابه لأن روحه الطاهرة تتجلى في جميع كتاباته وكلام المرء مرآة كاله قال : « تناولت صباح أمس كتاب التعزية الذي تكرمتم علي به فزادني إعجاباً بفضلكم وافتخاراً بصداقتكم وإيقاناً بحبكم ولقد اراني موت أخي ما لا يستحقه من كثرة الأصدقاء والمحبين على تقصيري مع الجميع كما أنه اندرني بقرب الأجل وأنا شديد الشوق إليه لعل أدرك شيئاً من الكثير الكثير الذي أجهله » فلينظر القارئ ما بلغ من هذا الرجل حب العلم حتى أصبح يتوقع الموت بلذة المنتظر من وراء هذه الحياة حياة أخرى أوسع علماً وأصح حكماً

ولما

الأستاذ و
الكتاب
فيما نقله
شيئاً ولطف
نظر الأدب

ثم انه يقول : « من غريب الاتفاق انني قرأت ما كتبتموه في مجلة المجمع عن كتاب « مي » في المساواة قبيل وصول كتاب التعزية بساعات قليلة . والمساواة مقالات نشرت اولاً تبعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقني جداً وصفكم له وارجح انها لم تترجم شيئاً ترجمة لانها تتكلم معي في كل المواضيع الادبية والفلسفية كما تكتب فانها قوية الذائكة الى حد يفوق التصور وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها الفرنسية والانكليزية والاطالية حتى لقد تستشهد في كلامها معي بأبيات من شكبير أو يرون كما تستشهد بالمتنبى والمعري وحفظت ايضاً كثيراً من قصائد شوقي ومطران وحافظ واطنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسية او الانكليزية قبلما تعبر عنها بألفاظها العربية والظاهر ان الذي طبع الكتاب عن مقالات المقتطف غير فيها بعض الالفاظ فصرها ولقد اصبت وأجستكم بوصفكم للكتاب وكاتبته وانصقتموها »

ولما ترجمت كتاب « اناطول فرنس في مبادله » أحببت ان اطلع عليه المرحوم الاستاذ واعرض عليه نشره في المقتطف اذا شاء . فاستحسن الفكرة اولاً وأشار إليّ بارسال الكتاب حتى ينشره في عدة اعداد من المقتطف ثم يجمعه كتاباً على حدة . وكنت قد رأيت فيما نقله « جان چاك بروسون » عن اناطول فرانس كثيراً من الرفث والمجون مما حذفته منه شيئاً ولطفت شيئاً ولذت في اشيائه منه بالمعاريض وظننت ذلك كافياً في تجريد الكتاب مما ينبو عنه نظر الادب وتحمر له ووجهة الحقر . واذا بالاستاذ يقول لي :

« الى ان اطلعت على ما بعثتم به اليّ من « المبادله » كنت احسب الرجل شيخاً جليلاً كبعض الذين عرفتهم في حياتي كقائدك والبستاني واليازجي (يريد استاذ الدكتور قائدك الشهير والمعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي) لكن المبادله صورته لي كاحمد فارس الشدياق كما عرفته في « الساق على الساق » ثم رأيتُه بعد ذلك في مصر . ولا ارى ان كاتب سر اناطول فرانس أحسن في بعض ما نشره عن استاذة وقد اوصينا ان نذكر حسنات موتانا . فهل من حسن الذوق في هذا العصر ما كتبه عن (الهيجان والغامة) وما رواه عن (الصبايات الاولى) و (العناية والعجز) . لو كنا في عصر صاحب الاغاني لالتبسنا بأداب العصر عذراً له

قيل

وكان السع

امام ذلك

ان تسلم

قد كان ي

من العلم

الي ان يع

فأنا

فحسب بل

ولقد

على ذلك

فعلت انه

صديقي هـ

(كوكب

صرّوف

« أما عصرنا هذا لاسيما بين المصريين والسوريين من قراء المقتطف فانتم اول من يقول انه لا محل فيه لهذا التبذل والمجون ولو كان لي معرفة بالسكربتير لكتبت اليه ألومه على ذكر عجز استاذة وبجره . قد يتغير العصر ويتغير نظر الناس في هذه الامور ويصيرون ينظرون الى تحريمها كما تنظر الى تحريم قطاع الطريق من اليونان وأكل الحين في الصوم الكبير ولكن لا بد للمرء من ان يلبس لكل حالة لبوسها . ولولا اعتقادي أن رأيكم في هذه الامور مثل رأيي وانكم كنتم تتعاملون كما وصلتم الى بجرة من هذه البجر وتودون أن لا يكون الرجل كذلك أو ان لا تذكر عنه تلك الهمة لما صارحتكم برأيي . وعليه فانا معيد اليكم الكراس مع هذا البريد راجياً قبول عذري ومسامحتي ان كنت ذكرت شيئاً يشف عن ظهوري فيه مظهر المعلم لمن أعده في المنزلة العليا بين المتأدين بأدب النفس وأطال الله بقاءكم »

فوالله لقد قرأت هذا الكتاب والعرق ينحدر على وجهي من شدة ما خجلت من رجل كنت اوفر له من الحرمة ما لا اوفره لغيره . ولم ألبث ان كتبت اليه بانه قد كان في الكتاب من الطامات الكبرى في هذا الموضوع ما لا يلبس عليه رداء كما يقال ولقد حذفت منها ما ظننته كافياً ولكنني خشيت اذا استقصيت الحذف من غضب هؤلاء الشبان الذين يسمون انفسهم « بالمجدين » والذين قد يستخطون علي ويرمونني بقوارص أنا في غنى عنها . على ان ملاحظتك كلها هي في محالها وما كان ينبغي لمثلي ان يتساهل من هذه العجبر والبحر في شيء . ثم اردت ان امازحه فقلت « وأما ما قلته عن تأديني بأدب النفس فلقد كان ذلك ولكن فيما يظهر إقامتنا باوربة منذ نحو عشر سنوات قد زعزعت اركان هذا التأديب حتى صرنا نترجم مثل هذه الروايات »

ثم اعدت النظر على الكتاب فحذفت منه كل ما لاحظت انه يقع من خاطر الاستاذ صرّوف وأمثاله الكملاء موقعا غير مقبول . ووقعت من اجل ذلك كما حسبت في السنة اولئك الشبان الذين نشروا في تخطيطي من جراء هذا الامر اكثر من مقالة . حتى قيل لي ان بعضهم عمد الى المواضع التي طويتها وأراد ان يترجمها ويسد بها بزعمه ذلك الخلل الذي ادخلته انا على الكتاب ولكنه كان يهمني ان يرضى صرّوف ولا ينتقدي ولو انتقدي بعد ذلك مئات وألوف

لم

اغسطس

قيل ان السيد الجرجاني تناظر مع السعد الفتازاني بمجلس غاص وكان السيد شاكراً حديث العهد وكان السعد شيخ العلماء في وقته فاتهمى المجلس بأن السعد اقر للسيد وان السيد فليج على السعد امام ذلك الجمهور . فساء ذلك تلاميذ السعد ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم . ما كان ينبغي لك ان تسلم لرجل هو في سن احد تلاميذك . فأجابهم وماذا اصنع اذا كان معه الحق . فقالوا له : قد كان يمكنك ان تقول له كيت وكيت في الجواب . فقال لهم ولكنك لا يكون مما حكمة ولا يكون من العلم في شيء . فقالوا له : لكن الناس قد علموا الآن ان السيد اعلم منك . فقال لهم : احب الي ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده عالماً

فأنا كنت أؤثر ان يكون الاستاذ صرُوف راضياً ولو تعرضت لسخط جمهور لا من الشباب فحسب بل من الكهول ايضاً

ولقد ترجم احد البلغاء من اصحابي تأليفاً فانتقده المقتطف في عبارات معلومة . فلم يعض على ذلك ايام حتى قرأت في احدى الجرائد جملة شديدة في الرد على المقتطف تحت امضاء منهم فعلمت انه قد يكون الرد من قلم مترجم ذلك الكتاب او احد اصحابه فأسرعت بالكتابة الى صديقي هذا اعذله على هذا الرد ان كان بقلبه او بعلمه ولم اكتب بذلك حتى نشرت في (كوكب الشرق) جملة ابين فيها فضل المقتطف واصحابه ورأيي الخاص في العلامة الدكتور صرُوف . وبعد ايام جاءني الكتاب الذي يلي بعد الترجمة ...

« وقال لي بعضهم الآن ان في كوكب الشرق كلمة من الامير عني وأتاني بالكوكب فاذا انا بتاج وصولجان وطيلسان . والصائع والمفضل والمتفضل محب كريم لا يرى الا الحسنات ويعظمها الحب في عينيه ولست اجد كلاماً يفي بشكركم » ولما كان في الرد الذي تناول صاحبه به الدكتور صرُوف اشارة الى كونه نصير زويمر . وهو خبر ناشئ عن وهم ككثير من الاخبار التي تعلق بالاذهان ولا صحة لها فقد اوضحت في دفاعي عن الدكتور الخطأ الواقع في هذا الظن . وقد اضحك الدكتور ما قيل عنه فكاتب في جملة ما ذكره : « اما زويمر فهو يعدني اكبر خصم له ومرادي ان اطلعه على ما كتبتم لاقوي حجتى عليه »

لم يذكر لي في هذا الكتاب وهو مؤرخ في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٥ انه صدر مقتطف اغسطس وقد كتب فيه عن رواية آخر بني سراج وقال لي هكذا :

« وطلبت منكم ان تعدلوا عما قلموه في الصفحة ٣٦٦ فان اوربة سائرة مختارة او غير مختارة الى ابتلاع مرافق الشرق ومتى زالت مرافقه من يدا يمانية أمسوا عبيداً فصيره الى الخراب ان لم يتفق رجاله ويفضوا عن كثير مما يفرق بينهم ولا سيما النعرة الدينية ويؤوبوا الى القول المأثور «الدين عند الله المعاملة». وعسى ان تتمكنوا من هبوط مصر في الشتاء القادم فتواصل البحث في موضوع لا تسعه الاوراق واكرر الشكر الجزيل للامير الكريم »

فكنت في الحقيقة اعلل النفس بأمال لقاء هذا الصديق الكبير طاهر القلب وكبير العقل وواسع العلم . وطالما تخيلت وبيا للأسف المجالس اللطيفة التي كنت سأحظى بها منه ولكن الاجل قضى على هذا الامل وكم من حسرة تنزل مع الانسان في التراب . ولما جاءني نعي المرحوم كان اول ما انطق لساني به قول اليازجي الكبير

قد كنت انتظر البشري برؤيته فجاءني غير ما قد كنت انتظر

ولبتت اكرر هذا البيت ولا ازال اكرره كأنه يشفي بعض ما في صدري . ثم لينظر الانسان الى ما كان عليه هذا الفقيد من حب الخير ونقاء الوجدان فقد كنت كتبت له فيما كتبت من الاعتذار عن الرد الذي نشره بعضهم عليه بسبب انتقاده للكتاب المترجم فقلت له ان المترجم قد يخسر بانتقاد رجل عظيم مثله ليس خسارة ادبية فقط بل خسارة مالية . فكتب الي في مكتوب آخر بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٥ يقول لي :

« وأؤكد لكم انني لما قرأت قواكم أن المترجم قد يخسر بانتقادي خسارة مالية تحول غيظي منه الى غيظي من نفسي ولا ادري الآن كيف اكفر عما مضى » ولم يلبث ان نشر في المقتطف قطعة طويلة من الترجمة حتى لا يظن القراء انه يغبط فضلها بمجرد انتقاد بعض عبارات . نعم قد كان في حب الخير والبعد عن الشرامة وحده وكنت قد ذكرت له تصرف الدول التي تزعم انها حاميات الحق والعدل فيما نكثت به من مواعيدها للعرب وما اظهرت من الجشع والطمع بسلب حقوقهم واحتلال بلدانها بعد الحرب الكبرى فأجابني أجزل الله ثوابه عن ذلك بما يأتي قال :

« اما رجال السياسة الذين اشترى اليهم فقد رأيت منهم بعد الحرب ما صغرهم في عيني وجعلهم احقر من ان ادافع عنهم من اكبرهم الى اصغرهم . ابقاني الله واياكم داخل سياج العلم . واطال الله بقاءكم » ولست اكبر هذه العبارة على صحة وجدان الفقيد ولكنني اذكرها في جملة حسناته الكثيرة

— ٢ —

للفريق اصبح باسمنا المعلوم

عرفت الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر وأنا غلام لم يطر شارباي وكنت قادماً من رحلة مع والدي فدخلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي الآن الجامعة الاميركية وكان معي في المدرسة الياس صالح وابراهيم القيم ونحيب صبرا وغيرهم ممن غابت عني اسمائهم لطول العهد. ثم انضم الينا غيرهم منهم جورج فيليبيدس وبقي معي في المدرسة الياس صالح فنلنا شهادة بكالوريوس في العلوم معاً ولكن انتظم غيرهم في القسم العلمي منهم نحيب الصليبي على ان الياس صالح بقي معي من الاول الى الآخر

وكان من اساتذتنا الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر لكنهما كانا يعلمان العلوم العالية كالفلك والكيمياء والطبيعات والصرف والنحو فلم نتعلم عليهما على ان الدكتور صروف علمنا القراءة في كتابه سر النجاح لاتنا كنا صغاراً لم نتطلع نفوسنا الى اكثر من ذلك. والذي اذكره عنه انه كان هادئاً رزيناً يمشي امامنا ذهاباً واياباً وهو يفكر ولكتنا كنا اشقياء وكان احد التلامذة يضع امامه عيدان الكبريت فاذا مشى عليها خرج منها صوت وأظن الذي كان يضعها ابراهيم القيم لانه كان اشقانا ولكن الدكتور صروف كان لا يغضب وانما يهز رأسه فقط ولا يقول شيئاً

ثم ترك الدكتور صروف والدكتور نمر المدرسة وانتقلا الى مصر وانتقل معهما صديقهما شاهين بك مكاريوس ودأوما هناك على انشاء المقتطف ثم انشأ معاً جريدة المقطم ومعهما شاهين بك فانفرد شاهين بك بالادارة والدكتور صروف بالمقتطف والدكتور نمر بالمقطم على ما هو معلوم. على ان الشريكين الآخرين كانا يعملان معاً على إنجاح الجريدين فكان المقتطف والمقطم صنوين لا يفترقان وأظهرهما ببقيان كذلك الى ما شاء الله

وأكملت دروسي العلمية كما تقدم ودخلت مدرسة الطب فأتممت دروسها وانتقلت الى مصر ودخلت الجيش المصري وخدمت فيه زمناً ولكنني كنت نزوعاً الى العلم فاشتغلت مع الدكتور صروف في تحرير المقتطف ولكنني كنت لا ادري شيئاً من قواعد العربية ولا ازال قاصراً فيها على ان الدكتور صروف كان يميل اليّ فلهني ما لم أتعلمه في المدرسة وتمكنت الصداقة بيننا لانه كان على خلاق كريم. ثم سافرت الى العراق وكانت المكاتب مستمرة بيننا الى ان توفاه الله. واني لا ازال حتى الآن اميل الى المقتطف وآله فهم عندي مثل آل بدر

ولا بد لي هنا من ذكر بعض النوادر عن الدكتور صروف وقد استفدت منه شيئاً كثيراً من العلم وليتني اخذت شيئاً من خلقه الكريم فقد كان الرجل الكامل هذا اذا كان في الدنيا كمال فانه كان اقرب الناس الى ذلك . ومن نوادره اني جئت من دمشق هرباً من الفرنسيين فدخلت يوماً عليه وأنا مفلس كالعادة فقلت له لي في ادارة المقطم اجرة برقية دفعها الي اسعد داغر مكاتبكم في دمشق قال لم المبلغ قلت لا اذكر وأظنه خمسة جنيهات ففتح درجاً امامه وكتب تحويلاً بخمسة جنيهات ووقعه صروف ونمر ومكاريوس ودفعه الي وهو اشد خفراً من عذراء وقد كان رحمه الله شديد الحياء الى آخر عمره

وكان الدكتور شميل معهما في المدرسة وكان كثير التردد الى ادارة المقتطف فقد كان المقطم والمقتطف كعبة يقصدها كل من اتى مصر من اهل الشام ولا يكاد يأتي احدهم الا يزور المقطم ليرى الدكتور ويسلم عليهم . وكان الدكتور شميل اذا نادى الدكتور صروف يقول يا صروف واذا نادى الدكتور نمر يقول يا فارس اي انه كان يناديهما كما كان يناديهما ايام التلمذة في المدرسة . وكان رحمه الله ضعيفاً في مسألة الاعمار . وكانت تشتد المناقشة بينه وبين الدكتور نمر احياناً وأذكر مرة انه قال للدكتور نمر يوماً « انا شو يجيني ليك » قال له الدكتور نمر نحن من عمر واحد . نحن عمرنا ستون سنة . واذكر اني قلت مرة للدكتور شميل ألسنت طبيباً من اربعين سنة قال « يعني انت ابن امبارح » وهوى علي بهراوته . رحمه الله وجعل اللجنة مأواه وأطال في عمر الدكتور نمر

مصر الجديدة

امين المعلوف

— ٣ —

نجيب ساهين

ولد المقتطف في بيروت سنة ١٨٧٦ على يدي المولدين النطاسيين يعقوب صروف وفارس نمر ثم انتقلا به الى هذه العاصمة وهو في التاسعة من سنه اي سنة ١٨٨٥ . فلما صدر المقطم سنة ١٨٨٨ استقل يعقوب صروف بتريته وحده تقريباً واستقل فارس نمر بترية المقطم وحده تقريباً ثم جاءتهما الدكتوراه الفلسفية سنة ١٨٩٠ من جامعة نيويورك . فعرفا منذ تلك السنة بالدكتور صروف والدكتور نمر

ودعي كاتب السطور في اوائل هذا القرن الى التحرير في هذا تارة وفي ذلك طوراً . وكانت ادارتهما في حارة فايد التي توصل ما بين شارع عبد العزيز وشارع عابدين فكانت أرى في

الادارة رهط العلماء والادباء والاكابر الذين كانوا يترددون اليها واحداً فواحداً في ساعات مختلفة من النهار — أراهم من بعيد ولا أمد اليهم يدأ لمصافحة لاني كنت اصغر منهم في كل شيء وكنت أشعر كل شعور بوجودهم وهم لا يشعرون بي ولا يعلمون عني شيئاً وسأبدأ الكلام بالمتقدم منهم على قدر ما تساعدني الذاكرة وعلى قدر ما يسمح به المقام

كان ابراهيم بك المويلحي الملقب الكبير يومئذ في ذروة شهرته الادبية كاديب منفرد على اثر اصدار كتابه « ما هنالك ». والاشارة بهناك الى الاستانة « العلية » كما كانت تسمى حينئذ في خلافة السلطان عبد الحميد الثاني . وقد خرج كتابه آية في البلاغة العربية بعدوقوف المويلحي الصغير عليه — اي المرحوم محمد بك المويلحي نجل ابراهيم بك — وهذيه حتى كان كتاب « اليوم » في ذلك الزمان . كان المويلحي الكبير دائم التردد الى ادارة المقطم في صبيحة كل يوم ما عدا ايام الاحد ليستعلم عن صحة السلطان عبد الحميد الذي وقف كتاب « ما هنالك » على ذم ظلمه . وكنا نحن المحررين نعلم بقدمه من عصا كان يحملها ويضرب بها الأرض ضرباً منتظماً ثانية فثانية يسمع صدهاء في ارجاء الادارة والمطبعة ثم يحجى بعده او متأخراً عنه المويلحي الصغير لا بساً ردنحوته كأنه في التشريفة الكبرى وكانت الردنحوت لبسه الدائم لا يستبدل بها غيرها . وقد توفي محمد بك منذ بضع سنين فقط . رحمهما الله

وكان السيد توفيق البكري من أسرة البكري الحسبية النسيبة والناثر المسجع وصاحب المقامات المعروفة باسم صهاريج اللؤلؤ من اصدق اصدقاء المقطم لا يكاد يوم يمر من غير ان يزورها فيه وها يبالغان في اكرامه حتى اصيب بما نغص اصحابه عليه فبات لا يزور ولا يزار وبقي ذلك حاله الى يوم مماته

وكان يزور الادارة آنأ بعد آن الشيخ السادات من أشهر الاسر المصرية الشريفة وكان قصير القامة بدين الجسم احمر الوجه كبير العمامة يتكلم بغمغمة بلدية فاذا وقف بباب الادارة سأل عن صاحبيه بصوت ضخم ولهجة غير مفهومة فهرعوا لاستقباله الى الباب ومشيا حوله يبالغان في اكرامه وكان رفيق الحديث جم الادب تعرف من نظرة اليه انه سليل قوم اكارم وابن آباء أماجد

توفي الدكتور شميدل في اوائل سنة ١٩١٨ واشتهر في الشام ومصر بأنه اول من اتحل مذهب داروين عقيدة له في الشرق الادنى : درس الطب في بيروت وكان معاصراً في شبابه لصاحبي المقتطف ايام كانوا جميعاً طلاباً في جامعة بيروت الاميركية . وكتب كثيراً

وَأَلَّفَ وخطب في تأييد مذهب داروين . وكان يزور ادارة المقتطف يستفسر عن « الحلقة المفقودة » وهل وجدت لا زيادة في الايمان بل للاطمئنان اذ لم يكن في حاجة الى البرهان على ان القرد هو جد الانسان ! !

وَمِنَ كُنْتُ أرى في الادارة اسكندر شاهين صاحب جريدة « الرأي العام » الاسبوعية وسليم سر كيس صاحب مجلة « المشر » ثم مجلة « سر كيس » وكان الاول ابن عم شاهين مكاريوس احد اصحاب الشركة . وصاهر الثاني الاستاذ كريم ثابت نجل خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآن . وكانا كلاهما يحسنان الانكليزية كتابة احسانهما للعربية

وكان صاحب الصاعقة وتلميذ الموليحي الكبير يكثر من زيارة شاهين بك فتعرفت به حينئذ وتمكنت الالفة بيننا . ولما خرجت من المقطم الى « الجريدة » كنت كثيراً ما اجتمع به اذا انتظمت الحلقة في القهوة المناوحة لدار الكتب وكان مركز الدائرة حافظ ابراهيم يتكلم وهو ينفخ في نارحياته ونحن نسمع فلا يترك مجالاً لقائل

كان حافظ قليل التردد الى الادارة الا اذا اراد نشر قصيدة من قصائده في المقتطف او المقطم . وكان صاحبها كثير الطرب بحديثه . وكان المقطم اول الصحف التي نشرت له مقطوعات كان يبعث بها وهو سائر مع حملة دققة لفتح السودان فتشتر بامضاء « احد ارباب السيف والقلم » ثم عرف واشتهر ان ذلك العلم هو حافظ ابراهيم وكان يوز باشيئاً . ولم أر شوقي مرة في ادارة المقطم في عهد سمو الحديوي عباس لاسباب سياسية . ولكن الدكتور صرُوف كان يقدر شعره كما يقدره كل اديب يعرف معنى الادب

زارني الاستاذ العقاد يوماً في ادارة المقتطف بعد عودتي من « الجريدة » اليه وطلب مني ان اقدمه الى الدكتور صرُوف في شأن من الشؤون فامتلكت حالاً وقلت للدكتور ان الاستاذ العقاد يريد مقابلتك فابتسم تلك الابتسامة البريئة الماثورة عنه وذكر استيائه من الحملة على شوقي ولكن قال ان هذه الحملة على استهجانها اياها يجب ألا تحول دون مقابلته لاديب مثله . ثم قابله فلقني العقاد كل لطف منه . والظاهر ان هذه المقابلة بين الدكتور صرُوف والاستاذ العقاد لم تكن الاولى فان الاستاذ العقاد ذكر في تأييده للدكتور صرُوف انه قابله لما كانت دار المقتطف على مقربة من شارع عبد العزيز وانه اطلع اولاً في حديثه على اسم المعري في المقتطف ولذلك نشر فيه بحثه في المقابلة بين المعري وداروين وشو بنهور

وزاملت في المقطم المرحوم اسعد خليل داغر اللغوي المعروف والشيخ يوسف الخازن صاحب الاخبار المصرية سابقاً والارز في بيروت حالاً والاديب اللغوي رشيد عطيه من اشهر الصحافيين في الارجتين الآن . والمرحومين سامي قصيري واسحق صرُوف

لست اعلم عن شركة اختلط اصحابها على الغرباء عن الادارة كما اختلط اصحاب المقطم عليهم فقد سمعت الذين يطلبون مقابلة الدكتور صرّوف نمر او نمر بك، مكاريوس . وهذه الاسماء اسماء ثلاثة لا واحد ولا اثنين

ولا اعرف مجلة او جريدة لا بست صاحبها كما لا بس المقتطف الدكتور صرّوف او المقطم الدكتور ر (ليسمح لنا النحويون بعدم التوثيق الآن) حتى ان الذي كان يقرأ المقتطف في عهد الدكتور صرّوف كان كأنه يرى الدكتور امامه ويصيب في وصفه اذا طاب ذلك منه . وكان هذا شأن المقطم ايضاً

وكان الدكتور صرّوف يعنى بتشديد الراء كتابةً وطبعاً في اسمه لما سمع الرطانات الكثيرة ومع ذلك فقد حزن وابتسم لما علم ان الشيخ الدمرداش قدم لمقابلته وسأل عن الدكتور صرّوف بفتح الصاد وضم الراء بتخفيف !

واخوانا المصريون يصرون على التلفظ بأسماء بعض السوريين كما يستحسنون هم لا كما تلفظ اسماءهم مع انك اذا اخذت في حركة اسم مصري قامت القيامة عليك . فبالا مس كان احد هم يرسم على الشيخ العدوي بفتح ففتح فلم يفهمه احد او فهمه ومكر وسأل من هذا فقيل له العدوي بكسر العين وكان هذا السوري قد عرف المرحوم وقيل له أنه من بني عدي بفتح العين فاراد ان يستعمل قواعد النسبة الصربية في اصلاح اسم قديم لفظ به بكسر العين منذ عهد بعيد فطاش سهمه

ولا زال ادارة المقتطف كما كانت من قبل سوق عكاظ او مباءة لجيل جديد من الادباء لا يعرف الجيل القديم . واذا وقف بهم احد من بقايا الجيل القديم انكروه كأنه سامري ! او خيل اليه انهم كذلك فعلوا فان لم يصدق تخيله فان سوء الظن من حسن الفطن ومن هؤلاء كاتب هذه السطور والفريق امين المعلوف ومصطفى صادق الرافعي واسماعيل مظهر واقل منهم عتقاً واكثر جدة محمود الديايطي وعبد الرحمن شكري . ولولا خوفاً ان يتهموني بتكبير اسنانهم وتصغير سني لمدحتهم بما مدح به الفرزدق آباءه وهو يقارع جريراً حيث قال اولئك آباي فخني بمنلهم اذا جمعنا يا جرير الجامع

وكما كان المرحوم الدكتور صرّوف نقطة الدائرة في حلقة ادباء عهده وعلماهم فكذلك محرر المقتطف الآن هو نقطة دائرة الجيل الجديد من جعل ادارة المقتطف جمعاً له ، ان كان دون مجمع جرير والفرزدق والاخلط في الشعر فهو فوقه في العلم الحديث . والفضل في ذلك لثلاثة عشر قرناً تفصلنا عنهم . والا فأن نحن منهم

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثامن والتمانين

صفحة	
٥٦١	بعد ستين سنة : للدكتور فارس نمر
٥٧١	نحية وزير المعارف : لمعالي محمد علي علوبه باشا
٥٧٢	نحية وزير المعارف السورية : لمعالي الامير مصطفى الشهابي
٥٧٤	المقتطف والحركة الفكرية : للدكتور محمد حسين هيكل بك
٥٧٧	تطور التعليم في مصر : لمحمد العشماوي بك
٥٨٨	تطور حياتنا العقلية : لاحمد لطفي السيد باشا
٥٩٠	تطور التعليم في الازهر : لفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي
٥٩٤	التعليم الجامعي : للدكتور طه حسين
٥٩٦	البحث العلمي في مصر : للدكتور محمد مصطفى مشرفة
٥٩٨	المدارس في ربع قرن : لامين سامي باشا
٦٠٢	العلم والاجتماع : لاسماعيل مظهر
٦٠٨	الاتجاهات السياسية : لامين سعيد
٦١٧	اطباء الشرق : للدكتور كرنيلوس فانديك
٦٢٣	هرم الجزيرة والشعري : لمحمود باشا الفلكي
٦٣٠	النباتات المصرية واستعمالها طبياً : للدكتور حسن باشا محمود
٦٣٦	الباب والباية : للسيد ميرزا فضل الله الايراني
٦٤٢	التربية والحجاب : لقاسم امين
٦٤٦	شرف العمل : لمحمد كرد علي
٦٥١	فلسفة الاحلام : لهزري برغنسن
٦٦٠	موعظة شهر الورود : للآنسة « مي »
٦٦٤	النهضة الشرقية الحديثة : ترشح الشرق عن محمود : للشيخ مصطفى عبد الرازق.
	طلائع الفكر الحر : لسامي الجريديني . حرية الآداب : لعباس محمود العقاد . انهيار
	التقاليد القديمة : للدكتور بايرد ضدج . في قلوب النوابع : لامين الزيجاني
٦٧٨	الثورة المقبلة : للورد سنودن
٦٨١	ذكريات دار المقتطف : للامير شكيب ارسلان وللدكتور الفريق امين المعلوف
	ولنجيب شاهين